أمير المؤمنين (ع)

في

شعر السيد الحميري

تأليف

العلامة الدكتور عبد الرسول الغفاري

أستاذ الأدب العربي بجامعة كاشان

www.haydarya.com

أمير المؤمنين (ع)

في

شعر السيد الحميري

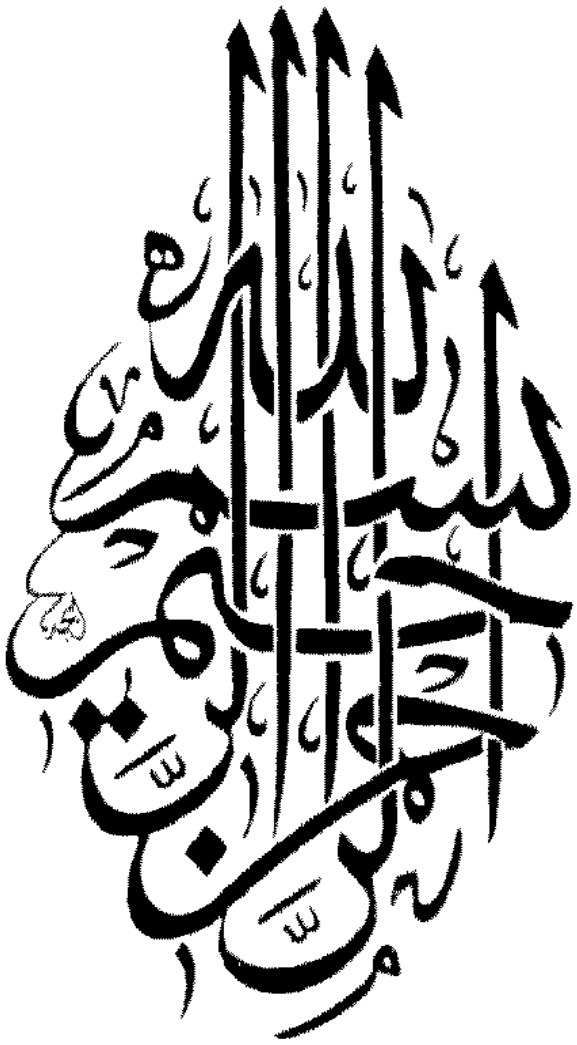

أمير المؤمنين (ع)

في

شعر السيد الحميري

تأليف

العلامة الدكتور عبد الرسول الغفاري

أستاذ الأدب العربي

الخضراء

مكتبة الروضة الحيدرية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار القارئ / الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون: ٠٣/٤١٢٢٥٦ - ٠٣/٩٠٢٩٤٤

Email:dar_alkari@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعتبر السيد الحميري، ابو هاشم اسماعيل بن محمد من الشعراء المخضرَمين، إذ عاش عزّ الشباب والدولة الاموية إلى الأفول، كما عاصر الدوله العباسية في أوج قوتها وشبابها حتى صار به العمر إلى سنّ الشيخوخه أو قريب منه.

وهذه الفترة التي عاشها السيد من حياة الدولتين قد شهد فيها العالم الإسلامي أبشع صور الاضطراب السياسي والنزف الدموي بحيث لم يكن له مثيل في التاريخ، إذا ما استثنينا واقعة كربلاء ومأساة الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام، من قبل.

وقد جنّد السيد الحميري شعره وأدبه لأجل قضية مهمة أخذت حجمها السياسي والعقائدي في كل الادوار والأعصر، واهتمّت بها جميع المذاهب والفرق والاحزاب، ودافعت عنها دفاع المستميت، حتى كلّ سعاها، وانطفأ جذوتها بسقوط عرش الظالمين في الشام، ليبقى صوت الحق مدوّياً عبر العصور، وعلى مَرّ التأريخ، ليبقى حيّاً طالما له من يدافع عنه ويضحّي لأجله، وطالما له أصحاب شرعيّون.

فالقضية المهمّة التي شغلت الاذهان والاقلام، هي مسأله الإمامه والخلافة، إذْ تاه فيها قوم، ونجا آخرون. وسجّل كل حزب بما لديه من دليل

وحُجج، وانقشع الظلام بوجه الصبح السافر، واندحر الباطل أمام سطوة الحق والفكر الجلي، ولم يبق للباطل من نصير، إلّا من اعمىٰ الله قلبه وبصره، فراح يتخبّط في ضلاله خبط عشواء، وما للظالمين من نصير.

فالدفاع عن الإمامة والخلافة بدأ منذ أن اطبق النبي ﷺ عينيه ليرحل إلى الرفيق الاعلى تاركاً فيهم القرآن الكريم والعترة الطاهرة ليتمسّكوا بهما كيلا يضلّوا. لكن اطماع القوم أبت إلّا المخالفة والخصام، فنشأت النزاعات السياسية بين المهاجرين والانصار، فتمخّض عن هذا النزاع سقيفة بني ساعدة، وقد شهدت هذه السقيفة خصومات شديدة، وإلى اليوم نتذوّق مرارتها، ونحسّ بوغزها الشديد المُدمي في كل آن، حتىٰ سفكت الدماء وهتكت الاعراض وسبيت النساء... كل ذلك من إفاضات السقيفة.

وقد تزامن الادب مع تلك الاحداث، وأخذ يسير جنباً إلى جنب ليصوّر أحقيّة أهل البيت عليهم السلام في الخلافة، فكان أدباً ثرّاً بحججه، ناصعاً في صدق ولائه، مشرقاً بعواطفه؛ فهو أدب يدافع عن عقيدة مُثلىٰ وعن ذوات مطهرات وتوجّعه للاحداث الدامية التي حلّت باهل البيت من خلال تظافر يد الجور والطغاة على هضم حقوق هؤلاء الاطهار والتنكيل بهم.

فقد صوّر لنا هذا الادب مدىٰ تطاول الامويين والعباسيين واعتدائهم علىٰ ذرية الرسول ﷺ. فالمعتدون من أصول عربية ينتمون إلى آل سفيان وآل مروان وآل العباس، وإن هؤلاء قد دفعهم طموحهم إلى أن يضعوا السيف في رقاب ولد علي وفاطمة؛ انهم العلويّون، وانهم الأئمة المعصومون وهم العترة الطاهرة، الذي خصّهم صاحب الرسالة بأحاديثه الشريفة، وقرنهم مع القرآن، فقال ﷺ فيهما: اني تارك فيكم الثَّقَلَين؛ كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي....

وعليه فان الاديب قد استعان ـ في حجاجه ـ بالاحاديث النبوية التي فيها مخزون كبير من الادلة والتي تعضّد حقوق علي عليه السلام وابنائه، بالاضافة إلى الآيات والسور التي نزلت بحقّهم.

فكيف لا يحترق الشاعر ـ المنصف ـ أسىً وجوىً على هذا التعدّي السافر الذي استطال تلك القرون إلى أربعةَ عشر قرناً من الزمان ... ؟!

لهذا رفع الادب آنذاك راية الجهاد إلى جانب راية الجدل والخصام، ليقف إلى جنب أهل البيت عليهم السلام منتصراً لهم، وذاباً عن حقوقهم، انه موقف جميل، بل وأكثر جمالاً انه جاء باسلوب تغمره العاطفة والخَيال من جانب، ويعلوه الحزن والتفجّع من جانب آخر.

ثم لا ننسى ان أكثر المراحل ـ من الحياة السياسية ـ التي مرّ بها هذا الادب الصادق كان ثورة عنيفة بوجه الحكومات وكما لا يخفى على الدارس ان الكثير من اولئك الشعراء الذين حملوا مشعل الفكر والادب الشيعي كانوا علماءً وفقهاءً ترجع الامّة إليهم في حلّ مشاكلها، لذا فهو أدب رصين في اسلوبه، عميق في فكرته، سهل ممتنع في طرحه، مشرق في أدلّته، نافع في وجوده وموقعه.

وعليه لا تجد قصيدة أو مقطوعة شعرية ـ احتجاجية ـ إلّا وقد استندت على الكتاب والسنّة في تقديم الدليل تلو الدليل والحجة تلو الحجة.

إلى هنا عرفنا ان محور الكلام في آداب العصور الاولى، وبالذات صدر الاسلام، هي الخلافة والإمامة. وابرز شخصية سياسية دارت حولها بحوث الإمامة هي شخصية الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

إذاً ولد هكذا أدب في بيئة عربية بعيدة عن كل المؤثرات الخارجية. ويكفيك صدق هذه المقالة منتدى اعضاء السقيفة وابطالها السياسيين: فمن

تصفّح بطون الكتب؛ التاريخية والادبية، فسيجد ذلك التراث الادبي بثوبه العربي الاصيل[١].

وعلىٰ مرّ الايام، واتّساع الرقعة الاسلامية لتشمل مساحات كبيرة من بلاد أفريقيا وآسيا وأوربا نجد هذا الادب الصادق سار في تلك البقاع كالنار في الهشيم، وكالسيل العرم، حتى ثبتت أقدامه، وزعزع عروش الطغاة، وأطاح بعشرات التيجان والملوك، فناصرته شعوب وأمم قد اذعنوا للحق، واهتدوا بهدي الإسلام ورسالة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وشاعرنا الحميري في أدبه يُعدّ صورة من تلك الحياة السياسية بكل أبعادها وخصائصها، فهو عاش ربع قرن من حياته في العهد الاموي يصوّر لنا الكوارث التي حلّت بالأُمّة، والمآسي التي تكررت علىٰ أيدي الطغاة من آل مروان.

وهكذا ينقلنا السيد إلى عصر جديد بعد سقوط الدولة الامويّة ليرسم لنا نزاع الامّة حول احقيّة الخلافة، وتعود صورة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الاذهان ثانية، لان العباسيين جاؤوا بستار مقنّع بقناع أهل البيت عليهم السلام والرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت الدعوة في جذورها لأهل البيت عليهم السلام، ولكن ليس بنو العباس هم اقلّ شراً وخيانة من أبناء عمومتهم الامويين، فسالت الدماء مرة أخرى ليشمخ بالسلطة آل العباس، ويقهر العلويّون من جديد، وهكذا تتابعت الايام والسنين حتىٰ افتضح هؤلاء الجناة بعدما كشّروا عن انيابهم السامة، فملؤوا السهول والهضاب والوديان باشلاء الابرياء من ابناء علي وفاطمة عليها السلام.

---

١ ـ انظر: الفصل الرابع والخامس من كتابنا: (الادب السياسي في صدر الإسلام).

وفي عقيدة شاعرنا ان كل ذلك انما جرىٰ عندما أُقصي أمير المؤمنين عن منصبه وانكروا وِلايته وخِلافته في غديرخم، وجحدوا قول النبي في أهل بيته.

فما كان من شاعرنا إلّا أن يُعلن ويؤكّد للامّـة أقـوال الرسـول ﷺ فـي علي عليه السلام التي طالما سترها الامويّون بكمِّ الافواه أو القتل دونه[1]، وهكذا أبـان السيد في شعره الآياتِ النازلة في علي، كما أخذ يذكّرهم بمناقبه وسـابقته إلى الإسلام وما لديه من معاجزَ وفضائل اختُصَّ بها دون سائر الصحابة.

هكذا وجدنا شعر السيد، وحقاً ان نعنونه بـ«شاعر الفضائل والمناقب».

غير اننا لاننسى الحياة الجديدة التي كان ينعم بها العـباسيّون فـي بـغداد واتّساع رقعة سلطانهم، وما أوجدوه من انحلال وابـتذال وفسـاد فـي أوسـاط الامّة.

ثم تيار الظلم والقتل والتعذيب والسجون، وما إلى غير ذلك مـن وسـائل الاجرام والدمار.

وعليه، فلابدّ من اعطاء صورة مجملة عن الحياة السياسية والاجتماعية والادارية في العصر العباسي الاول، وما رافق ذلك من أحداث وثورات وتقلب في الاوضاع، وقد جعلنا بيان هذا كلّه في كلمة التمهيد، ومن بعده نشرع بعون الله في حديثنا حول السيد، اسماعيل بن مـحمد الحـميري، سـائلين مـن المـولى سبحانه ان يأخذ بأيدنا إلى طريق الرشاد والسداد، إنّه ولي التوفيق.

الدكتور عبدالرسول الغفاري

بيروت / لبنان

---

١ ـ يكفي دليلاً في ذلك: ما أقدم عليه معاوية بن أبي سفيان في قتل حُجر بن عَدي واصحابه الابرياء وهم من خيرة أصحاب أمير المؤمنين، ومنهم له صُحبة مع الرسول ﷺ، وهكذا ما فعله الحجّاج و....

تمهيد

استفاد المسلمون في حياتهم العملية من حضارات الأُمم والشعوب الاجنبية المحيطة بالرقعة الاسلامية آنذاك، إذ اقتبسوا من تلك الامم جملة من العلوم العقلية؛ كالفلسفة والمنطق والرياضيات والهندسة، كما استفادوا منهم في كيفية اصلاح الأرض واستثمارها، وهكذا تعلّموا منهم صناعة بعض الأدوية ومعالجة الأمراض المستعصية والفتّاكة.

ولا يخفىٰ ان هذا التوجّه ـ الى حضارات الامم غير الاسلاميّة ـ قد اصبح جزءاً من اهتمامات الحكّام العبّاسيين بعدما جاءوا الى السلطة، وتأكّد هذا الاهتمام لمّا قويت الدولة الاسلامية واتسعت رقعتها لتشمل ارجاءً واسعة من المعمورة، وعليه فقد اضطرت تلك الدول الى ان تفتح حواراً بينها وبين المسلمين عبر المناظرات العقلية في مواضيع شتىٰ؛ كالوحدة وتعدد الوجود، ومفهوم الخير والشر، وعالم ما وراء الطبيعة و....

ومن جرّاء هذا التلاحم الفكري والعلمي نرى أغلب الشعوب قد تأثرت بالفكر الإسلامي، بينما المسلمون استفادوا من الروم في كيفيّة استخدام بعض المواد الكيميائية لتحويل بعض المعادن إلىٰ سبائك متنوعة ذات مواصفات عالية وثمينة.

وهكذا تعلّم المسلمون من المصريين كيفية استخدام المومياء ومواد

التحنيط في حفظ الأبدان بعد الموت.

وعليه فقد تكوّن في القرن الثاني الهجري جيل جديد له اتصال وثيق بالامم الاجنبية، وله اطلاعه الواسع بثقافات تلك الامم، بينما نجد الجيل الذي عاصر بدء الدعوة الإسلامية انه جيل قريب في ثقافته من الحياة البدائية المتمثّلة بالعهد الجاهلي، وإن البساطة التي ورثها جعلته في حدود تلك الثقافة وهي لا تتعدّى عن معرفته بالانساب والقبائل والعادات والتقاليد العربية البدوية، ومعرفته بالاشعار وأيام العرب، وأخلاقهم التي طبعوا عليها.

أما الجيل الذي جاء بعهدهم ـ الذي عاصر حياة الصحابة والتابعين ـ فقد ارتسمت له ثقافة إسلامية عربية صرفة، إذ احتفظ باسلاميته وبنظم الشريعة الغرّاء مع بقائه علىٰ الالتزامات الاخرى الموروثة عن آبائه الذين لم يبرحوا في ثقافتهم العربية والجاهلية عن الأطر التقليديّة.

ولو انتقلنا إلىٰ الجيل الثالث؛ وهو المعاصر للدولة الاموية وبالاخص المعاصر لفترة الحكم المرواني، نراه متأثراً بالثقافات الاجنبية؛ كالثقافة الفارسية والرومية واليونانية بشكل واضح جداً. والسبب في تأثّر هذا الجيل بتلك الثقافات هو أن جملة من شباب هذا العصر كان ينتسب من جهة الام إلىٰ عنصر أجنبي؛ كأن تكون امّه فارسية الاصل أو رومية، هذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ كان الرقيق في تلك الفترة قد كثر في البيوت وقصور الملوك والحكّام والامراء وذوي النفوذ.

ومن جهة ثالثة ازداد عدد الموالي في العهد المرواني بشَكل ملحوظ. هذه العناصر الثلاثة؛ الامهات الاجنبيّات والرقيق والجواري ثم عنصر الموالي كل تلك الفئات ساهمت في تربية أبناء ذلك الجيل وأثّرت علىٰ حياتهم وعاداتهم

وثقافاتهم، بل هناك طائفة من الرقيق والموالي قد إلتفّ حول اولئك الشباب من أبناء الملوك والامراء، لذا وجدنا أسلوب الحياة المادية والمعنوية والعقلية لهذا الجيل يختلف كلّياً عن اسلوب حياة الجيلَين السابقَين.

كما لا يغيب عن ذاكرتنا ما لمعاوية من خدم وجوار ومستشارين من النصارىٰ والمجوس، بحيث كانوا موضعَ سرِّ معاوية؛ بهم يستعين، وبرأيهم يأخذ.

وكان اولئك الأُجراء يعبثون في البلاد ويجهرون بفسقهم وفجورهم علىٰ مرأىً ومسمعٍ من المسلمين حتىٰ تأثّر بهم أبناء الملوك والامراء.

فهذا يزيد بن معاوية ما بَرِح ينفكّ عن الخمرة متّبعاً في ذلك اسلوب النصارىٰ في حياتهم العابثة.

وهذا عبد الملك وابناؤه اتّجهوا إلى الدنيا ولهوها؛ دنيا الخمر واللعب والقمار والرقص والفجور متأثّرين في ذلك ببعض عادات الروم والفرس والهنود أيّامئذ.

ثم هناك فريق من شباب الامويّين شُغفوا بالعلوم العقليّة؛ فهذا خالد بن يزيد احتكّ بعلماء النصارىٰ ورهبانهم وولع بفن الكيمياء وأنفق الكثير من المال والعمر باحثاً عن هذا الفن الجديد الذي لم يكن يعرفه العرب سابقاً، وأصبح شغوفاً في كيفية تحويل المعادن إلىٰ الذهب، وقد أمر بترجمة بعض الكتب الطبّيّة والكيميائيّة، وفي مثل هذا كلّف عمر بن عبد العزيز أن يُتَرْجَم له كتاب في الطب، كما أنه في عصره دوّن الحديث بصورة رسمية وإن كانت هناك جهود فَردية متفرقة دوّنت الحديث في عصر النبي والخلفاء الأربعة[1].

---

١ ـ لقد تحدّثنا في كتابنا: (صيانة العلوم الإسلامية) عن تدوين السنّة واثبتنا هناك ان الإمام علياً عليه السلام كان أول مَنْ دوّن الحديث. فراجع.

العصر السياسي والعصر الأدبي

جرت العادة عند مؤرّخي الأدب العربي ألاّ يميّزوا بين العصر السياسي وقيام الدولة والعصر الأدبي، حتى استغرقت هذه العادة من عمرها اكثر من قرنٍ من الزمان، مما جاءت دِراسات اولئك المؤرّخين مضطربة، ومن ثمّ الاضطراب في النتائج.

فمثلاً عندما كانوا يؤرّخون لعصر أدبي ما إنّما يؤرّخون بدايته في ظل حكومة ذلك العصر، وهذا لا شك فيه انه خطأ وسببه ناتج من الخلط بين عصرين احدهما قبل نشوء الدولة، والآخر بعد نشوئها، في الوقت الذي ينبغي ان نفرق بين هذين العصرين من خلال محصّلتين هما: المحصلّة الأدبية، والمحصّلة السياسية.

وبعبارة اخرىٰ: ان العصر الأدبي هو عبارة عن مجموع التراث الادبي الذي سبق الحدث الأكبر ألا وهو تشكيل الدولة او الحكومة ـ كبداية ـ ويمتد هذا التراث لِيَشمَلَ نتاج الامّة في ظل سياسي معيّن الى ان ينتهي بسمات جديدة لعصر آخر في ظل حكومة اخرىٰ.

وعليه ان بداية كل عصر ادبي ونهايته يمتدّان زمناً اطول بكثير من العصر السياسي؛ لانّك تعرف جيداً ان قيام سلطة أو حكومة جديدة وسقوط اخرى يعني انتهاء عصر سياسي وابتداء عصر سياسي آخر. ويمكن ان تحدّد هذا كلّه بالسنة والشهر واليوم، بل ويمكن تحديد ذلك باصغر وحدة زمنية كالساعة والدقيقة، امّا العصر الأدبي فليس كذلك لان بدايته متداخلة في عصر سابق، ونهايته متداخلة في عصر جديد. لذا من الصعب جداً تحديد العصر الأدبي

⇐ أول مَنْ دوّن الحديث. فراجع.

وعليه فالدولة هي نتيجة تطوّر الحياة السياسية والادبية، وليست سبباً فيهما.

وهذا الكلام يستدعي أن نقول بحتميّة النضوج الأدبي والسياسي لكل دولة قبل أن تُشاد على انقاض دولة اخرىٰ أو حكومة ما قد سبقتها.

وهذا النضوج يستدعي في مراحله المتقدمة إلىٰ القول بتلاحم أدبي وسياسي في تلك الامّة، أي لابدّ من تلازم بين تطوّر الحياة السياسية والحياة الادبية لكل شعب يسعىٰ جاداً وبإصرار في تغيير الوجوه الحاكمة.

ومعنىٰ التلازم أو التلاحم الذي نؤكّد عليه هو كون كلّ واحد من هذين الجانبين ـ المشار إليهما ـ يكمّل الآخر كمقدمة من أجل تغيير الوضع السياسي الجاثم واستبداله بوضع آخر وحكومة بديلة حكومةٍ أخرىٰ.

فالدولة العباسية نشأت بعد تطوّر وتحوّل جديد في حياة الناس السياسية. أما العصر العباسي ـ أدبياً ـ فقد نشأ قبل نشوء الدولة العباسية.

وكثيراً ما نجد اصطلاحات سياسية لها مفهومها السياسي الخاص جاءت نتيجة لتطور سياسي معيّن، امّا أن يكون هذا التطور سبباً في نشوء ظاهرة أدبية، أو ان الظاهرة الأدبية ترتبط وجوداً وعدماً بعصر سياسي دون غيره فهذا أمر من الصعب توثيقه. بل ان العصور قد تضاف إلى شخص الحاكم أو القائد أو الدولة.

فمثلاً نقول عصر صدر الإسلام ونعني به بداية ظهور الإسلام، أو نقول العصر الأموي ونعني به عصر سياسي آخر مرتبط بحكّام الأمويين، وهكذا عندما نقول عصر يزيد أو عصر المنصور الدوانيقي أو عصر الرشيد أو المأمون، فقد يكون تأثير أحد هؤلاء الحكّام علىٰ الوضع السياسي والتاريخي والأدبي له صداه الكبير فينسب ذلك العصر إلىٰ ذلك الحاكم، وعليه فان التطور الأدبي غالباً

ما يسبق ذلك العصر، فإذا أردنا أن نحدّد فترة معينة أو عصراً معيناً فنقول العصر الأموي أو العصر العباسي فهذا يعني تحديد فترة سياسية لها سماتها الخاصة في عالم السياسة، اما ان نقول إن هذا الحكم أو هذا العصر قد أوجد هذا الأدب، فان ذلك الزعم أو ذلك القول سقيم وبعيد عن الصواب، لأن الأدب السياسي ينشأ غالباً قبل تطور الحياة السياسية للمجتمع فإذا وجدنا تطوراً سياسياً في مكان ما، أيقنّا بوجود الادب السياسي.

وهذه علاقة وثيقة ومتينة تسبق قيام الدولة؛ فكلمة (العصر الأموي) كلمة اصطلاحية سياسية، وهكذا عندما نقول الدولة الأموية في الأندلس، فهي كلمة اصطلاحية سياسية، وكذلك عندما نقول الدولة العباسية أو العصر العباسي فهي كلمة اصطلاحية سياسية.

فنشوء أدب تلك الدولة أو ذاك العصر لم يكن تزامناً مع نشوء نفس الدولة، فمثلاً العصر العباسي قد بدأ تاريخياً وسياسياً بتشكيل أبي العباس السفاح الدولة الجديدة وسقوط الدولة الأموية وذلك في سنة ١٣٢ هـ، اما نشوء أدب العصر العباسي فلا يمكن تحديده بهذه السنة ١٣٢ هـ، بل هو قطعاً سبق هذا التاريخ بسنين طويلة.

فأدب العصر العباسي الذي يُعدّ أحد عصور الأدب العربي قد بدأ في أوائل القرن الثاني الهجري أي قبل قيام الدولة العباسية بثلاثة عقود من الزمان تقريباً وذلك عندما ظهرت تحولات جديدة في المجتمع الإسلامي في أواخر الحكم الأموي. من تلك التحولات ما أمر به الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز، بنقل بعض الكتب الطبّية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وهكذا في أيّامه أمر (جريحاً) بجمع الحديث الشريف، وفي أواخر القرن الأول ينصرف بعض شباب

المدينة إلىٰ اللهو والمجون ويبرز من بينهم شعراء الخلاعة .

في هذا الجو ومع هذه التغيّرات السريعة نجد أن جملة من الشعراء قد نبذوا الالتزام المعهود في القصيدة العمودية التي أشاد بنيانها شعراء الجاهليّة وأرسوا قواعدها لفترةٍ قد تناهز علىٰ ثلاثة قرون من عمر الشعر العربي ، وهكذا ان الثورة علىٰ الشعر القديم قد بدأت في هذا العصر ، كما أن التمرّد علىٰ منهج الفرزدق وجرير والتَحرّر من الشعر التقليدي حمله جملة من الشعراء المولّدين .

وهكذا لو فحصت عن مكانة شعراء الأمويين لوجدت بعضهم يُنسب إلى الدولة الأموية ، ولكن أدبيّاً وفنيّاً يُحسب علىٰ العصر العباسي ، فالوليد بن يزيد كان ولي العهد ، ومن المفروض أن يعيش حياة الأمراء والحكام السياسيين حتىٰ يستطيع أن يدير شؤون الأمّة ويحفظ كيان الدولة ومظاهرها الإسلامية ، إلّا أنّه إرتمى في الرذيلة ، وانغمر في حب الشهوات والملذات ، ومعاقرته الخمرة وتمرّده على المُثُل الإسلامية والقيم الأخلاقية ، وقد طفح شعره بالتمرد والتهتك مما لا غبار عليه وهذا اللون من الأدب من الأَولىٰ أن يُنسب إلى الأدب العباسي لا إلى الأدب الأموي ، ثم إنّ الذين سبقوا الوليد من حكّام الأمويين وإنْ كانوا متمرّدين فاسقين إلّا أنّهم كانوا يحرصون كل الحرص في ان يظهروا للملأ من الناس بعض الالتزامات والتمسّك ببعض الفرائض الدينية . اما الوليد بن يزيد فقد أشاع الفساد والتّهتك وأعلن تمرّده دون أيّ مبالاة ، وهذه حياة جديدة غير مألوفة جرّأت الناس علىٰ إرتكاب الحرام وجذبتهم إلىٰ الرذيلة .

فهذه وامثالها من الظواهر الجديدة الّتي برزت في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري يمثّل حياة أدبية جديدة وعصراً جديداً قد سبق الدولة العباسية في نشوئها وسيطرتها السياسية .

الحياة السياسية في العصر العباسي الأول

بِدء الدعوة للعباسيين

توفي أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة سنة ٩٨ هـ وفي هذه السنة أراد العباسيّون أن ينفّذوا انقلابهم ضد الأمويين وقد عهد أبو هاشم في أمر الدعوة إلىٰ محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إلّا أن أباهاشم كانت حركته في إطار الدعوة إلىٰ الكيسانية امّا محمد بن علي فقد استقل بالأمر وأخذ علىٰ عاتقه الربط بين رجال الدعوة وتنظيم شؤونهم لصالح العباسيين ؛ فعيّن داعياً له في الكوفة واسمه (ميسرة مولىٰ أبيه) وهو فارسي الأصل، وعيّن ثلاثة آخرين يتولّون شؤون الدعوة في خراسان، وفي سنة ١٠٥ هـ انظمّ إلىٰ الدعوة السرية، داعية آخر اسمه (بكير بن ماهان) وهو فارسي أيضاً، وكان من أنشط الدعاة في حينه. ولمّا توفي (ميسرة) قام في أمر الدعوة من بعده في الكوفة (بكير بن ماهان) وقد استخدم محمّد بن علي لقب الإمام وحاول بدهائه ان يكسب بني هاشم والشيعة الموالين لهم وذلك في الإتفاق علىٰ أن تكون الدعوة عامة مبهمة يدعون فيها إلىٰ (الرضا من آل البيت) دون أن يخصّوا أحداً.

وقد التفّت القبائل والناس حول هذه الدعوة (علىٰ غموضها) وبالأخص في الكوفة التي هي موطن الشيعة، وهكذا في خراسان معتمدين في نشاطهم ودعوتهم السرّية علىٰ جملة من العناصر الفارسية المؤيّدة لهذه الثورة.

وفي سنة ١٢٧ هـ تنتقل رئاسة الدعوة والنشاط السياسي إلىٰ (أبي سلمة الخلّال) وذلك بعد موت (بكير بن ماهان) وكان الخلّال يدعو الىٰ العلويين ويتقرّب اليهم ويتودّد إلىٰ كبار الشيعة لذا أطلق عليه (وزير آل محمد).

وقبل اعلان الثورة يحتّم القدّر علىٰ محمد بن علي فيدركه الموت فيخلفه ابنه ابراهيم الإمام الذي أمر أنصاره بإعلان أمر الدعوة في سنة ١٢٩ هـ في خراسان كما أمرهم بلبس السواد، وقد امتثلوا أمره وأوقدوا النيران في ارجاء (مرو) وهي علامة اخرىٰ في اعلان الدعوة وبهذا الاعلان يدخل (ابو مسلم الخراساني) دار الإمارة بمرو فيحتلها وينهي الوجود الأموي من خراسان منذ انتصارهم الأول سنة ١٣٠ هـ.

وبعد سيطرة العباسيين علىٰ خراسان تحركوا نحو العراق بقيادة (قحطبة بن شبيب الطائي) وقد كان الأمر بالنسبة إلىٰ الأمويين في الشام مفاجأة كبيرة ومذهلة مما عمدوا إلىٰ مدبّر الإنقلاب وهو ابراهيم الإمام فقتلوه فقام بالوصية من بعده أخوه أبو العباس السفاح. كما أن الأمويين هيّؤوا جيشاً كبيراً بقيادة (ابن هبيره) ووجّهوه إلىٰ الكوفة واستقرّ الجيشان علىٰ نهر الفرات وكانت معركة الفرات هي المعركة الفاصلة في القضاء علىٰ الامويين في العراق ؟

وقد دارت الدائرة علىٰ أهل الشام وانتصر العباسيّون فيها لكن مع مقتل قائدهم (قحطبة) فتصدىٰ من بعده ابنه (الحسن) ودخل الكوفة منتصراً وبذلك تسقط الدولة الاموية وتقوم الدولة العباسية وعلىٰ رأسها انذاك أبو العباس السفاح.

فالإنقلاب العسكري الذي دبّره العباسيّون نجحوا فيه بأتم نجاح، خاصة في خراسان والعراق فلم يبق امامهم إلّا الشام فجهّزوا جيشاً بقيادة عبد الله بن

علي ـ وهو عمّ السفاح ـ وارسلوه إلى الشام فالتقى مع آخر حكام الأمويين وهو (مروان بن محمد) وكان يقود جيشاً بنفسه، ودارت المعركة في منطقه الزاب الاعلى في شمالي الجزيرة ولم يصمد جيش مروان بل لاذ بالفرار فلاحقتهم الجيوش العباسية المنتصرة وهزمتهم شرّ هزيمة كما ان مروان لاقى حتفه الأخير في منطقة من صعيد مصر تسمى (بوصير).

كشف النقاب عن جذور المؤامرة:

لقد ساهم الشيعة من العرب والموالي في دعم الثورة ضد الأمويين، وقد عرفت ان هذه الثورة كان يدعو لها دعاة باسم الرضا من آل محمّد ﷺ وعلى رأس هؤلاء الدعاة ابو سلمة الخلّال وابو مسلم الخراساني المرزوي وقحطبة بن شبيب الطائي وغيرهم.

ثم هناك عوامل عديدة ساعدت هؤلاء الدعاة على انجاحهم، منها:

أوّلاً: الثورات العلوية المتلاحقة ضد الأمويين مما بدأ الضعف والانهيار يدبّ في جسم الدولة الاموية.

ثانياً: جرائم الامويين مما انهكت الشعوب وشحنتها بالكراهية لهذا البيت الحاكم والحقد عليه.

ثالثاً: تضامن موالي خراسان واتحادهم ضد الحكم الاموي اشعل فتيل الثورة في تلك البلدان قبل غيرها لانها اكثر تضرّراً من بعد شيعة الكوفة.

رابعاً: قيام ثورة الحارث بن سريح منذ عام ١١٦ وحتى ١٢٨ هـ كانت لها الأثر الكبير في زعزعة الحكم الاموي في خراسان وما وراء النهر.

خامساً: انقسام القبائل واثارة الشحناء والبغضاء بين اليمانية والمضرية

ادى الى ظهور العصبية القبلية وبالتالي تحرك الموالي واستشعارهم بالظلم والحيف ومطالبتهم بحقوقهم، وترقّبهم للاوضاع جعلهم يشكّلون قوة ضاربة في المنطقة لتستفيد منها أي حركة ضد الامويين.

سادساً: ظهور ابي مسلم الخراساني بين الشيعة من العرب والموالي ودعوته للرضا من آل محمّد ﷺ واثارة الحماس في النفوس عزّز موقف الدعاة واكسبهم نجاحاً باهراً من خلال الاعلام المركّز في الصلاة والخطب و....

فهذا قحطبة بن شبيب الطائي احد الدعاة للهاشميين قد خطب في موالي خراسان فقال:

(يا اهل خراسان هذه بلادكم وكانت لآبائكم فكانوا ينتصرون على عدوّهم بعدلهم وحسن سيرتهم فلمّا غيّروا وبدّلوا وضلّوا سخط الله عليهم وانتزعها منهم وسلّط عليهم أذل امّة كانت عندهم فغلبوهم علىٰ بلادهم، واستنكحوا نساءهم، واستعبدوا اولادهم وكانوا يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم، فلمّا غيّروا وبدّلوا وأخافوا اهل البر والتقوىٰ من عترة الرسول ﷺ سلّطكم عليهم لينتقم منهم بكم وينالوا جزاء ما جنته ايديهم بسيوفكم ورماحكم).

هذه الخُطبة شحنت الموالي والشيعة بالحماس وروح الثورة ضد الخصوم. بل ان الخطاب كان موجّهاً الى الشيعة بالذات إذ ان قحطبة كان جُل كلامه هو التأكيد على مظلوميّة اهل البيت عليهم السلام، مما ارتاحت له النفوس، نفوس كافة الشيعة سواء كان في خراسان او في العراق، بل سرعان ما انضمّ شيعة العراق الى هذه الدعوة، وكان ابو سلمة الخلال يقودها في الخفاء والعلن ليسلّمها الى الرضا من آل محمّد ﷺ.

فماذا حدث ؟

كانت الكوفة قبل ظهور دعاة العبّاسيين مركزاً لجميع الثورات الشيعية الداعية الى العلويين ضد الحكم المرواني والسفياني، وظلّت هذه الثورات متلاحقة حتى اودت بالعرش الاموي وافلت دولتهم الى الابد في الشرق وذلك في جُمادي الثانية من سنة ١٣٢ هـ.

ولهذه الحركات الشيعية زعماء ودعاة تصدّوا لإقامة دولة تحمل شعار أهل البيت عليهم السلام والدعوة لهم، لكن مما يؤسف له لم يوفّقوا الى هذه الأُمنية، لذا اصبحوا يركَنون الى كل شخص ثائر يدعو الى أهل البيت عليهم السلام فيبايعونه على ذلك الولاء وذلك الشرط ؛ وهو اعادة الحق الى نصابه وتسليم الخلافة الى اهلها الشرعيين من ولد علي وفاطمة عليهما السلام.

بينما نجد زعماء الثورة علىٰ ما بينهم من خلاف ونزاع سياسي قد اتخذوا من آل البيت ستاراً حصيناً في انجاح ثورتهم وجعلوا رمز دعوتهم وشعارهم الاساس هو (الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله) ومن ابرز رجال الدعوة العباسية ابو مسلم الخراساني الذي استطاع ان يبني دعوتهم على اكتاف الشيعة من العرب والموالي، واستطاع بهم ان يمهّد الطريق لثورته ويسيطر على خراسان واطرافها ثم يمّم وجهته مع اولئك الموالي الى العراق وكان شعاره الطلب بدم الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته الكرام والدعوة الى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله، وفي الوقت نفسه كان يخفي وراء دعوته هذه الدعوة الى العباسيين، بينما كان ابو سلمة الخلال هو أحد قادة الثورة كان يعمل باخلاص للعلويين[1] اذ فوجئ حينما وقف ابو مسلم

---

١ ـ ابو سلمة الخلال هو حفص بن سليمان الهمداني صاحب الدعوة العباسية، كان اول من وقع عليه اسم ⇐

يبايع للسفّاح وكان مختفياً بالكوفة ولم يظهر إلا بعد ان نضجت الدعوة وايـنعت ثمارها.

وقد اكد موقف الخراساني داود بن علي بن عبدالله بن العباس في خطبته التي القاها على حشود الشيعة الذين يعملون لصالح البيت العلوي، فقال:

(يا أهل الكوفة لم يقم فيكم بعد رسول الله ﷺ إلا علي بن ابي طالب عليه السلام وهذا القائم بينكم، واشار الى ابي العباس السفاح).

هذه الكلمات جاءت كالصاعقة علىٰ رؤوس الشيعة وقـد انـجلى الأمـر لزعمائهم، فكل ما اظهره العباسيّون انما هو كيد ومكر بانت خيوطه بعد نـجاح ثورتهم وقضائهم على الامويين.

حاول أبو العباس السفاح أن يـبتعد عـن مـركز الكـوفة مـوطن الشـيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام لذا استقر في بلدة قريبة من الكوفة اطلقوا عليها اسم (الهاشمية) ولم تمض إلّا فترة قصيرة حتىٰ توفي السفاح ليأتي أخوه أبو جـعفر المنصور الدوانيقي الذي بنىٰ مدينة بغداد (السلام) خلال أربع سنوات فقد شرع ببنائها سنة ١٤٥ وانتهىٰ منها سنة ١٤٩ هـ.

ولكي نكشف النقاب عن سير الحياة السياسية في العصر العباسي فـلابدّ من متابعة الاحداث منذ قيام الدعوة العباسية وترويجها لفكـرة الرضـا مـن آل محمد ﷺ وهذه المتابعة نوجزها بالشكل الآتي:

١ ـ قيام الدولة العباسية علىٰ اكتاف رجال من الفـرس وقـد تـقدم ذكـر

⇐ الوزارة في دولة بني العباس، وكان ابو العباس السفاح يأنس به ويسمر عنده، وكان ابو سلمة فكهاً اديباً عالماً بالسياسة والتدبير فيقال أن ابا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينة الانبار وليس معه أحد، فوثب عليه اصحاب ابي مسلم الخراساني المروزي فقتلوه بمؤامرة قد حيكت له بالخفاء.

بعضهم: كميسرة، وبكير بن ماهان، وأبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراساني بطل الإنقلاب العباسي.

٢ ـ انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من الشام إلىٰ الكوفة ثم إلىٰ الهاشمية وبعدها إلىٰ بغداد.

٣ ـ نجحت الثورة تحت ظلّ الهاشميين، والدعوة إلىٰ (الرضا من آل محمد) ولو لا هذا الاسلوب لما نجحت الثورة.

٤ ـ لم يشترك في الثورة من عرب الأقاليم إلّا القليل بل أنها نجحت بالعناصر الفارسية وربّما سلك هذا السبيل (محمد بن علي) وصي أبي هاشم والمنظم السرّي للدعوة العباسية حيث انه التفت إلىٰ ولاء تلك الأقاليم؛ فالكوفة علوية في ولائها، والبصرة عثمانية، والشام كله يدين للأمويين، والحجاز لابن الزبير والولاء لأبي بكر وعمر. إذن لم يبق أمام الدعوة العباسية إلّا أن تستفيد من العنصر الفارسي فهو أقرب إلىٰ بني العباس في تعاملهم ضد الأمويين.

٥ ـ بعد خيبة أمل العلويين من الثورة وانطلاء المكر عليهم وإبعاد كبار الشيعة، بل الأذىٰ والتنكيل برجالهم وأئمتهم اندلعت ثورات عديدة ضد الحكم العباسي الغاشم... وسيأتي الحديث عنها ـ بصورة موجزة ـ في الصفحات الآتية إن شاء الله.

٦ ـ اتّجاه الدولة العباسيّة وعناصرها السياسية الى تقليد الحضارة الفارسية، وتمجيد ذاك التراث وتلك الشخصيات، وتعظيم العادات والتقاليد واسلوب الحياة الموروثة من أجيال فارسية سابقة. لذا برز من بين الشعراء العباسيين من يهتم بالنسق الفارسي في العادات والسلوك ويُفَضِّله على النسق والسلوك العربي.

٧ ـ ظهور الزندقة بأجلىٰ صورها في الحكم العباسي والدعوة إلى إنكار الخالق ورواج هذه الأفكار في أمصار عديدة، كما ظهرت افكار الفلاسفة اليونايين والفرس إلى الوجود، وهكذا نشطت المناظرة في اراء الزرادشتية والمانوية والمزدكية، بل وتبنى البعض اراء هذه المذاهب البالية، من تلك الاراء التي راجت في هذا العصر ماكان يعتقده زرادشت حيث ادّعى ان للعالم الهين؛ اله النور واله الظلمة وهي عقيدة يرجع تاريخها الى ق ٧ ق م. وعقائد ماني الذي مزج بين الزرادشتيّة والبوذية والنصرانيّة وقد اباح الزواج من البنات والأخوات، وقال بالتناسخ وقال بتحريم ذبح الحيتان والطير، كما أنه دعا إلىٰ الزهد والتنسك والرهبنة وهذه العقائد يرجع تاريخها إلىٰ القرن الثالث الميلادي.

أما مزدك فقد دعا إلىٰ تقديس النار، والاباحية، والإشتراك في الأموال والنساء وهي عقائد يرجع تاريخها إلىٰ القرن الخامس الميلادي.

إلىٰ جانب هذه العقائد في تقديس النار أو النور... كما عرفت. يبرز في هذا العصر معتقد آخر ينتهي جذوره إلىٰ رجل فارسي اسمه (ديصان) الذي يقول بأزلية النور والظلام.

أما الزندقة فلظهورها أسباب كثيرة، منها: حياة اللهو والترف، والبذخ الذي كان يعيشه المجتمع في ظل الحكم العباسي، ودعوة الشعراء إلىٰ الفسق والفجور واللهو، وترك تعاليم الدين، ومعاداة العلماء والشريعة، كما أن دخول العلوم العقلية من فلسفة ومنطق ورياضيات وبقية العلوم إلىٰ المجتمع الإسلامي، وتبني بعض آراء اليونان الفلسفية كل ذلك ساهم في انحراف جملة من الناس، ولم يقف الأمر عند اكتساب الفلسفة من اليونان، بل أن آراء الهنود والفرس والرومان ساهمت في ذلك الانحراف المتمثّل بالزندقة.

ونستطيع أن نقول ان الزندقة تمثّلت في اتّجاهين:

الأول يمثله أرباب العقائد الفاسدة والجاحدين لفكرة التوحيد والخالق وهؤلاء سخروا من الدين ورجاله، واستهانوا بالشريعة، وخبطوا في كلامهم وتصرفاتهم، ومع كل ذلك كانوا أصحاب عُقَدٍ ومشاكل وانحراف جنسي وخلقي.

والاتجاه الثاني: يمثله الشعراء وأهل الظرف والأدب، إذ استهتر هؤلاء بالدين أيّما استهتار وعاقروا الخمرة ومارسوا اللهو والمجون بكل صوره، والخلاعة بكل ألوانها بل تعدّوا على القيم الدينية والمُثُل العليا والعادات الحميدة والتقاليد الحسنة، وانتقصوا أهل الدين والورع، وطعنوا في العفّة والعفاف والنجابة، واستهزؤا بكل شيء اسمه خير أو صالح أو شرع، وأحلّوا محلها العربدة والشهوة بكل أنواعها المحرمة، وتمادوا في الغيّ والتعدي حتىٰ اشاعوها هرجاً ومرجاً في البلاد.

أما اشهر من عرف بالزندقة فهم: حمّاد عجرد، وابن الكوّا، وبشّار بن برد ومطيع بن اياس وصالح بن عبد القدوس وأبو شاكر الديصاني وعبد الكريم بن أبي العوجاء وابن المقفّع ويزدان بن باذان وحمّاد الراويه والفيض بن أبي صالح النصراني كان جاسوساً علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام، ومحمد بن سليمان النوفلي ومروان بن محمد، وابن طالوت.

٨ ـ النزعة الغرامية والمجون والاتجاه إلىٰ اللهو والفساد وكثرة الجواري والمغنيّات الاجنبيّات وانتشار الخمرة والرقص والسهرات الماجنة كل ذلك قد شاع في الدولة العباسيّة. وكان السبب في انتشار الخمرة في ارجاء البلاد ما ذهب إليه أبو حنيفه في إباحة النبيذ الذي أدّىٰ استعماله إلىٰ التساهل في شرب

الخمر، فجميع المذاهب الإسلاميّة تحرّم الخمرة، بل كل شراب إذا كان مسكراً.

اما أبو حنيفة فقد ذهب إلىٰ أن الخمرة المحرّمة في الإسلام هي عصير العنب وحده علىٰ أساس أن المعنىٰ اللغوي للخمر كما عرفها العرب في وقت نزول القرآن هو عصير العنب أما سائر أنواع العصير المتّخذ من ثمار أخرىٰ فلا تسمى عند العرب خمراً وإنما تسمى نبيذاً. وعلىٰ هذا الأساس ذهب إلىٰ أن النبيذ ما لم يصل بشاربه إلىٰ درجة الإسكار حلال. وهي مسألة انفرد بها وحده وخالفه فيها الأئمة الآخرون[1].

ثم لوجود الأديرة المسيحية عامل مهم في انتشار الخمرة في بلاد الشام والعراق.

٩ ـ المرجئة ومذهب العفو والصفح الذي أوجده بنو أمية قد ذاع وانتشر في زمن العباسيين مما جعل الناس يعيشون حياةً الايمان فيها ضعيف، والالتزام قليل، وقد استند اصحاب هذا المذهب الى القرآن الكريم واحتجوا بآيات تضليلاً على الشباب.

١٠ ـ ظهور الأدب المكشوف أو المفضوح، وكان علىٰ رأس هذه النزعة الوليد بن يزيد بن معاوية (خليع بني مروان) الذي قاد الشباب الى التجرّي ونبذ الطاعة وعصيان المولىٰ والجهر بالمعصية.

١١ ـ ظاهرة الزهد والتصوف وكردّ فعل على الحياة العابثة والمجون السافر خلقت تياراً جديداً ومعاكساً للحياة العابثة. امتدّ اثره الى كثير من الامصار والبلدان الاسلامية، وقد برز من شعراء الزهد: عبدالله بن المبارك ت ١٨١ هـ. وبشر الحافي ت ٢٢٧ هـ. ومحمد بن كناسه ت ٢٠٧ هـ. ومحمود الوراق

---

١ ـ تاريخ الشعر في العصر العباسي، ص ٣٠، د.يوسف خليف / مصر ١٩٨٨.

ت ٢٣٠ هـ ورابعة العدويّة ١٨٠ هـ. ومن الصوفية ابراهيم بن ادهم ١٦٠ هـ وشقيق البلخي ت ١٩٤ هـ ومعروف الكوفي ت ٢٠٠ هـ وابو العتاهية الشاعر الزاهد المعروف.

نشاط الخوارج في العصر الأموي والعباسي

انقسم الخوارج إلىٰ فرق ومذاهب في القرن الأول الهجري وكل فرقة حملت السلاح ضد الدولة الاموية ودخلوا في معاركَ داميةٍ ادّت بهم إلىٰ التمزّق والانحلال والانهزام أمام الجيوش الأموية، مما اتخذوا مواطن بعيدة عن مركز الحكومة.

أمّا أهم فرقهم آنذاك فهي:

١ ـ الازارقه نسبة إلىٰ نافع بن الازرق الذي استولىٰ علىٰ الاهواز وطرد عاملها الأموي ابن زياد، ومن الاهواز شنّ عدة هجومات علىٰ البصرة، ثم قويت شوكة الازارقة في عهد عبد الملك بن مروان، فاغاروا علىٰ العراق مراراً، ولكن نتيجة انقسامهم واختلافهم الشديد أدّىٰ إلىٰ فشلهم وقضىٰ عليهم أخيراً المهلّب ابن أبي صفرة سنة ٧٨ هـ.

٢ ـ النجدات أو النجدية، نسبة إلىٰ نجدة بن عامر الذي استقر في اليمامة والبحرين وراجت دعوته هناك ولمّا لاحقه مصعب بن الزبير انهزم مع أصحابه إلىٰ اليمن فقويت شوكتهم هناك مما أغاروا علىٰ البصرة بقيادة (فديك) مراراً حتىٰ سحقوا جميعاً سنة ٧٣ هـ.

٣ ـ الصفرية، نسبة إلىٰ عبد الله بن الاصفر، تمركزت هذه الفرقة في المَوصل، واستطاعت أن تشن هجومها علىٰ مركز الحكومة في الكوفة، وفعلاً

نجحوا في الاستيلاء عليها واختبئ الحجّاج في قصره خوفاً من سطوة قائد الصفرية؛ شبيب بن يزيد الشيباني، وفي هذا الموقف قال عمران بن حطّان الخارجي يخاطب الحجاج وجبنه:

أسدُ عليَّ وفي الحروب نَعامةُ ... رَبداء تصفرُ من صفيرِ الصافرِ

هلّا بَرزت إلىٰ غزالة في الوغىٰ ... بل كان قلبُكَ في جناحي طائرِ

صَدَعتْ غزالةُ قَلبَهُ بفوارسٍ ... تركتْ مدابِرَهُ كأمسِ الدابرِ

غزالة زوجة شبيب قائد الخوارج وقد اصطحبها معه، وعمران بن حطّان بشعره الانف الذكر يستهزئ بالحجاج ويحقّره إذ أنه اختبأ من امرأة، ولما دارت الدوائر علىٰ الخوارج تمكّن الحجاج من قتل غزالة ولم يتمكّن من زوجها.

ثم يستمر خطر الصفرية إلىٰ أن يتمكّن منهم مروان بن محمد فيجهّز علىٰ قائدهم الضحاك بن قيس الشيباني وبذلك ينتهي خطر الصفرية بمقتل قائدهم في معركة ماردين سنة ١٢٨ هـ.

٤ ـ الإباضية، نسبة إلىٰ عبد الله بن إباض، كانت الإباضية في باديء الأمر من أتباع نافع بن الازرق، إلّا أن عبد الله بن إباض خالفه وانفصل عنه، واتّجه الإباضيون إلىٰ اليمن وحضر موت ثم تمركزوا في عُمان وتزعّمهم في بداية القرن الثاني الهجري عبد الله بن يحيىٰ الكندي، وقد بايعه أبو حمزة الازدي عام ١٢٨ هـ، وقويت شوكت الازدي حتى استولى على مكة والمدينة ثم الحجاز، اما عبدالله بن يحيىٰ الملقب بطالب الحق فقد كان متحصناً في اليمن إلّا أن جيش الامويين أجهز عليه فقتله ومن معه من الإباضية عام ١٣٢ هـ وبهذا ينتهي دور الخوارج ونشاطهم العسكري في العهد الاموي.

هذا كله حدث في القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني أي في ظل

الدولة الأموية. أما في ظل الدولة العباسية والتي يبدأ تأريخها السياسي منذ عام ١٣٢ هـ فنشاط الخوارج أخذ بالضعف لما خلّفته حركتهم السياسية ونشاطهم العسكري من عنف شديد، ومن قتل وتنكيل بالأبرياء، وحروبهم المستمرّة ضد الامويين، وانقساماتهم المذهبية، واختلافهم الشديد في المسائل العقائدية فلم يبق منهم بعد كل ذلك سوىٰ شرذمة متفرّقة في أنحاء الدولة الإسلامية بعضهم سكن في الجزيرة، وآخرون اتجهوا إلىٰ شمال أفريقيا، وبعض سكن خراسان، وثلّة منهم قطن عُمان. ويمكن الإشارة إلىٰ حياتهم السياسية والعسكرية في هذا العصر إلىٰ جملة من ثوراتهم كما حدّثتنا كتب التاريخ:

١ ـ ثورة الإباضيين بقيادة الجُلُندي في عُمان وقد اجهضها السفّاح بعدما جهّز له جيشاً كبيراً بقيادة خازم بن خزيمة[١].

٢ ـ وفي عهد المنصور: ثار ملبّد بن حرملة الشيباني بالجزيرة فقضىٰ عليه خازم بن خزيمة[٢].

٣ ـ وفي تونس ثار الإباضية، فقضىٰ عليهم يزيد بن حاتم المهلبي[٣].

٤ ـ وفي عهد الخليفة المهدي بن المنصور الدوانيقي ثار بخراسان يوسف ابن ابراهيم المعروف بالبرم فتوجّه إليه يزيد بن مزيد الشيباني وحمله أسيراً مع جماعة من أصحابه إلىٰ المهدي فامر بقتلهم وصلبهم[٤].

٥ ـ وثار بقنّسرين عبد السلام الخارجي، فقضيت علىٰ ثورته من قبل بعض القواد[٥].

---

١ ـ الطبري: ٦/١١٤.

٢ ـ الطبري: ٦/١٤١.

٣ ـ الطبري: ٦/٣٥٨ واليعقوبي: ٢/١٢٠.

٤ ـ الطبري: ٦/٣٥٨ واليعقوبي: ٢/١٣٠ والنجوم الزاهرة ٢/٢٧.

٥ ـ الطبري: ٦/٣٧٨ والنجوم ٢/٤١.

٦ ـ وفي عهد الرشيد: ثار الوليد بن طريف الشيباني بالجزيرة فوجّه إليه الرشيد إبراهيم بن خازم بن خزيمة لكنه لم يفلح إذ فتك به الوليد، ومن ثم سار إلىٰ أرمينيه فقويت حركته هناك وكثر جمعه فوجّه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فقضىٰ عليه وسحق أصحابه[١].

٧ ـ وظهر في خراسان حمزة الشاري إلّا أنه فشل في حركته ولقي مصرعه[٢].

٨ ـ وهكذا لقي حتفه ثروان الحروري لمّا خرج في ضواحي البصرة[٣].

٩ ـ وفي عهد المأمون: ثار مهدي بن علوان الحروري في سواد العراق لكنه لحق بمن غبر من أسلافه وأُجهضت ثورته[٤].

١٠ ـ ثورة بلال الشاري في العراق وقد انتهت بالفشل[٥].

١١ ـ ثورة محمد بن عمرو الشيباني بديار ربيعة وقد اخمدها أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري[٦].

بعد هذه الأحداث لم تقم للخوارج قائمة وينتهي نشاطهم العسكري وتضمحل فلو لهم فلم يبق لهم إلّا رسم بعد عين ويكاد شعرُهم وتراثهم الأدبي يختفي ذكره لأسباب اهمّها فساد عقائدهم، وعدم وجود رواة لأخبارهم وتراثهم، كما أن البداوة والنزاعات التي سرت بينهم تعتبر من أهم الأسباب لضياع أدبهم.

---

١ ـ الطبري: ٤٦٥/٦ والنجوم: ٩٢/٢.

٢ ـ الطبري: ٤٧٢/٦.

٣ ـ الطبري: ٤٢٥/٦.

٤ ـ الطبري: ١٤٢/٧.

٥ ـ الطبري: ١٨٩/٧ والنجوم: ٢٠٩/٢.

٦ ـ اليعقوبي: ٢٠٧/٢.

عقائد الخوارج

١ ـ تشترك جميع فرق الخوارج بتكفير أمير المؤمنين ومعاوية ومن ناصرهما بعد التحكيم.

٢ ـ غالوا في الحكم علىٰ مخالفيهم، حتىٰ فيما بينهم والفرق المنشعبة منهم فقضوا بتكفير مخالفيهم وزعموا ان بلاد المسلمين دار حرب، وبهذا استحلّوا قتال مخالفيهم كما استحلّوا قتل شيوخهم ونسائهم وقتل اطفالهم (هذا رأي الأزارقة)، والنجدات علىٰ خلافهم.

٣ ـ أغلب فرقهم تقول ان أطفال مخالفيهم من المسلمين كآبائهم مخلّدون في النار.

٤ ـ كانت غلظتهم علىٰ مخالفيهم من المسلمين اشدّ من غلظتهم علىٰ الكفار؛ (بالخصوص عند الازارقة).

٥ ـ أغلب فرقهم لم تُجز التقية في فعل أو قول (وقد احلّته النجدات).

٦ ـ كفّروا اخوانهم القاعدين عن القتال وهم قادرون عليه.

٧ ـ اسقطوا الحد عن الزاني المحصن، واسقطوا الحد عن قاذف الرجل المحصن وأقاموا الحد علىٰ قاذف المحصنة وهو (رأي تقول به الازارقة).

٨ ـ من ترك واجباً دينياً أو فريضة أو ارتكب كبيرة فهو كافر.

٩ ـ أوجبوا الخروج علىٰ أئمة المسلمين إذا ما ارتكبوا ما يخالف الشريعة.

١٠ ـ اسقط (النجدات) الحد عن شارب الخمر.

١١ ـ اجمعت النجدات علىٰ أن لا حاجة إلىٰ أمام قط بل علىٰ الناس أن يتناصفوا فيما بينهم.

خلاصة عقائدهم انّها لا تتفق مع الروح الإسلامية بل ان مبادئهم قاسية

ونابعة من البداوة ومن قساوة الصحراء، وجلّ الخوارج من البوادي واشدّهم قساوة الأزارقة، وتكاد فرق الخوارج الإباضية والنجدات والصفرية تلتقي كثيراً مع بعضها في العقائد دون فرقة الازارقة.

أشهر خطباء الخوارج

- عبيدة بن هلال اليشكري
- صالح بن مسرّح
- المختار بن عوف الازدي (أبو حمزة الخارجي)
- حيّان بن ظبيان السلمي
- عبد ربه الصغير
- نافع بن الازرق
- نجدة بن عامر الحنفي

نساء خارجيات

- قطام
- غزالة زوج شبيب الراسبي
- حمزة (جمره) زوج عمران بن حطّان
- ليلىٰ بنت طريف

أشهر شعراء الخوارج

- عيسىٰ بن عاتك (فاتك)

ـ الحويرث الراسبي

ـ قطري بن الفجاءة المازني

ـ الطرّماح بن حكيم

ـ زيد بن جندب

ـ فروة بن نوفل

ـ حسّان بن جعدة

ـ معاذ بن جوين

العلويون وحركتهم السياسية ضد العباسيين

لما تنكّر العباسيون لابناء عمومتهم من الهاشميين واستقلّوا بالحكم دونهم واجهوا المناوئيين بالحديد والنار، ممّا أثارت هذه السياسة الكثير من الأطراف خصوصاً بني هاشم فما كان لبني العباس من همّ إلّا ملاحقة الثائرين من العلويين، حتىٰ يصفوا لهم الأمر دون منازع.

غير أن العلويين حاولوا أن يثبتوا للناس كافة ولبني العباس خاصة أنهم أحق من غيرهم بالخلافة بصريح الأحاديث الشريفة وبتأييد من القرآن والسنة. فهذا محمد بن عبد الله الملقب (النفس الزكية) الذي أعلن ثورته علىٰ المنصور سنة ١٤٥ هـ والذي كتب رسالة احتجاجية مفصّلة وبعثها إلىٰ المنصور الدوانيقي بعدما أخذ يُمنّيه المنصور بالمال والأمان لكن لم ينفع ذلك لأنّه لم يكن صادقاً فيما يقول ومما كتبه محمد النفس الزكية:

(إن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وإن أبانا علياً كان الوصي والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن احياء ...).

وقد ردّ المنصور عليه، وبعد ذلك جهّز له جيشاً كبيراً بقيادة عيسىٰ بن موسىٰ واستطاع هذا من القضاء علىٰ ثورة (النفس الزكية) وهكذا نجد ان المنصور والرشيد والمأمون والمتوكّل والمعتصم وسائر خلفاء بني العبّاس ومن عاضدهم من الحكام قد دأبوا علىٰ أن يستأصلوا كل الثورات العلوية وينكّلوا

باشراف البيت الهاشمي ويعملوا السيف برجال أهل البيت الاطهار.

لكن الأمر لم ينتهِ، بل ان العلويين قد ازداد عددهم في الأمصار والبلدان وان التشيّع امتدّ إلىٰ شرق البلاد وغربها، واصبحت عقايد الشيعة هي الرائجة حتىٰ في بيوت ذوي الرئاسة، وعند أهل الحل والعقد، ثم المناظرات العقائدية أصبحت ميزة هذا العصر، وقد حرص العلويّون ومحبّوا أهل البيت عليهم السلام أن يحتجوا بالقرآن الكريم وبأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله ويثبتوا للمسلمين أحقيّة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام بالخلافة، وان وِلاية هذا الأمر إنما هي لهم بلا منازع، ثم أن سيرتهم عليهم السلام من النزاهة والتقوىٰ والورع لا يشك فيها حتى اعداءهم، كما أن علمهم بالشريعة والأحكام وخبرتهم بأمور الناس الإجتماعية والسياسية والرّوحية لا يضاهيهم أحد، فقد جمعوا كل الخصائص الحميدة؛ من نبل وزهد وتقوىٰ وحلم وسخاءٌ في النفس والروح والأخلاق والتهذيب، كما أنهم بعدوا عن كل نقص أو قبح، فهم منزهون عن الرذائل والعيوب، منزهون عن كل المساوئ وما يقدح بالنفس.

فإذا كانت هذه صفاتهم فلماذا لا يحبّهم الناس ؟! ولماذا لا يختارونهم أولياء وخلفاء ؟!

لقد كانت سيرة أهل البيت عليهم السلام نقيّة مهذّبة، كما انّهم تعاملوا مع الناس بنيّات صالحة ولهجة صادقة مما اتّجهت إليهم القلوب والأفئدة وأحبّهم القريب والبعيد واستعذبوا كلامهم واهتدوا بهَديهم، فحجّتهم دامغة، ودليلهم ساطع وقوي، فلا عجب أن يتمسك الناس بعُراهم... بل وصل تأثيرهم إلىٰ البلاط العباسي حتىٰ استمالوا خصومهم، فكم من مناظرة عقدت للإطاحة بهم أو علىٰ أقل تقدير أن يسقطوا في أعين الناس إذا ما فشلوا في تلك المناظرات، ولكن

تراهم يتألّق نجمهم في سماء دولة بني العباس... فهذا المأمون مرات عديدة عقد مجلس المناظرة للإمام الرضا عليه السلام وقد جمّع له من الفقهاء والمحدّثين والفلاسفة والمتكلمين و... ممّا يعدّهم التاريخ جهابذة عصرهم ونوابغ فنّهم، ومع ذلك فقد غلبهم الإمام مما ازداد حاقدوه وحاسدوه غضباً وحنقاً امّا الإمام عليه السلام فلا يزيده إلّا عزة وهيبة ووقاراً.

وشبيه تلك المناظرات حصلت للإمام الجواد عليه السلام والهادي والعسكري عليهما السلام كما حصل أيضاً مثل هذا التفوّق وتلك المجالس والمناظرات لجملة من أصحابهم مما أقلق حكّام الجور، والتاريخ يحدثنا عن جرم اولئك بشكل مفصّل.

ثم أن اجرام بني العباس وظلمهم لم يكن بأقل من جرم وظلم بني أمية؛ وان شيمة الطغاة والظلمة علىٰ مرّ التاريخ هو الإنتقام من خصومهم ومناوئيهم، وأقرب وسيلة للتخلّص من معارضة الفئات السياسية والشخصيات المناوئة هي وسيلة القتل والإبادة.

والذي كان يخامر عقول بني العباس ـ كمن سبقهم من الأمويين ـ هو التخلص من مناوئيهم بوسيلة السيف أو السّم، وقد وقف العلويون بوجه الظلم وملوك الجور لذا لم يسلم منهم إلّا القليل؛ فهم ما بين مشرّد ومنفي، وما بين مقتول ومسموم ولكي نعطي صورة واضحة عن اجرام العباسيين نعرض جملة من أسماء العلويين الذين لاقوا حتفهم علىٰ أيدي حكّام بني العباس وامرائهم.

أيّام السفّاح والمنصور

من العلويين الذين قتلوا علىٰ أيدي: أبي العباس السفاح والمنصور

الدوانيقي هم:

عبدالله بن الحسن المثنىٰ بن الحسن المجتبىٰ بن أمير المؤمنين عليه السلام.

الحسن بن الحسن المثنىٰ.

ابراهيم بن الحسن المثنىٰ.

علي بن الحسن المثنىٰ.

عبد الله بن الحسن بن الحسن المثنىٰ.

العباس بن الحسن بن الحسن المثنىٰ.

اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنىٰ.

محمد بن ابراهيم بن الحسن المثنىٰ.

علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

محمد بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

عبد الله بن الاشتر بن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

ابراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

الحسين بن زيد بن علي.

موسىٰ بن عبدالله بن الحسن المثنىٰ.

علي بن الحسن بن زيد بن علي عليه السلام.

حمزة بن اسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر.

وعلىٰ رأس بني هاشم وقد لاقىٰ حتفه بالسّم الإمام الصادق عليه السلام، قتله أبو جعفر المنصور الدوانيقي.

روىٰ الصدوق قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين البزاز، قال حدثنا

أبو منصور المطرز قال: سمعت الحاكم أبا أحمدَ بنِ محمد بن محمد بن اسحاقَ الانماطي النيسابوري، يقول: باسناد متصل ذكر: انه لما بنى المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ويجعل من ظفر به منهم في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر، فظفر ذات يوم بغلام متهم حسن الوجه عليه شعر أسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فسلمه الى البناء الذي كان يبنى له، وأمره أن يجعله في جوف أسطوانة ويبنى عليه ووكَّل عليه من ثِقاته من يراعى ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشهده فجعله البناء في جوف أُسطوانة فدخلته رقة عليه ورحمة له فترك في الاسطوانة فرجة يدخل منها الرَّوح فقال للغلام: لا بأس عليك فاصبر، فاني سأخرجك من جوف هذه الاسطوانة اذا جنّ الليل، فلما جنّ الليل جاء البنَّاء في ظلمة فاخرج ذلك العلوي من جوف تلك الاسطوانة وقال له: اتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيّب شخصك، فاني انا اخرجتك في ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الاسطوانة لاني خفت ان تركتك في جوفها أن يكون جدُّك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ القيامة خصمي بين يدي الله عزّوجلّ ثم أخذ شعره بالآت الجصاصين كما امكن، وقال: غيّب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع الى امك، فقال الغلام: فان كان هذا هكذا فعرّف امي أني قد نجوت وهربت لتطيب نفسها، ويَقِلَّ جَزَعُها وبكاؤها، وان لم يكن لعَودي اليها وجه، فهرب الغلام ولا يدري أين قصد من وجه أرض الله تعالى ولا الى أي بلد وقع ؟! قال ذلك البناء: وقد كان الغلام عرّفني مكانَ أُمّه وأعطاني العلامة فانتهيت اليها في الموضع الذي دلني عليه فسمعت دوياً كدوي النحل من البكاء، فعلمتُ انها امّه، فدنوت منها وعرفتها خبر ابنها وأعطيتها شَعره وانصرفت.

من جنايات المنصور

روى الطبري عن جوّاد بن غالب قال: حدّثني العباس بن سَلْم مولىٰ قحطبة، قال: كان أمير المؤمنين أبو جعفر ـ المنصور ـ إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى ابراهيم أمر أبي ـ سَلْماً ـ بطلبه، فكان يمهل حتىٰ إذا غسق الليل، وهدأ الناس نصب سلّماً على منزل الرجل فطرقه في بيته حتىٰ يخرجه فيقتله، ويأخذ خاتمه.

قال أبو سهل جوّاد: فسمعت جميلاً مولىٰ محمد بن أبي العباس يقول للعباس بن سلم: والله لو لم يورّثك أبوك إلّا خواتيم مَن قُتِل من أهل الكوفة كنت أيسر الابناء.

أقول: إذا كانت الخواتيم ـ خواتيم المقتولين فقط والذين قتلهم سَلْم لكونهم من اتباع ابراهيم ـ تُعدّ مورد ثراء العباس بن سَلم فكم هم المقتولين من سواهم الذين ازهقت ارواحهم على عهد المنصور ولاسباب مفتعله... ؟![1]

وقال المقريزي: ان المنصور دلّ ريطة بنت السفّاح وامرأة ابنهِ المهدي ـ ولي عهده ـ على بيت، واستحلفها أن لا تفتحه إلّا بعد وفاته بحضور زوجها. وبعد هلاكه فتحه المهدي، وإذا فيه من قتلىٰ الطالبيين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وفيهم اطفال[2].

قال محمد الاسقنطوري[3]: دخلت يوماً على الدوانيقي. أي المنصور

---

١ ـ الطبري ٣/٢٩٤.

٢ ـ النزاع والتخاصم ص١٠٣ ط الشريف الرضي. قم.

٣ ـ محمد بن الاسقنطوري؛ كان وزيراً للدوانيقي وأنه كان يقول بامامة الصادق عليه السلام.

أيام المهدي

وممن قتل من العلويين في حكومة المهدي:

علي بن العباس بن الحسن المثنىٰ.

عيسىٰ بن زيد بن علي عليه السلام.

أيام الهادي

وممن قتل من العلويين في حكومة الهادي:

الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنىٰ (صاحب فخ).

سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنىٰ.

أيام الرشيد

ممن قتل من العلويين في حكومة هارون الرشيد:

يحيىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

عبد الله بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين عليه السلام.

محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ.

الحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار.

العباس بن محمد بن عبد الله بن علي زين العابدين عليه السلام.

اسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

وعلىٰ رأس بني هاشم الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام قتله الرشيد بالسم وهو في السجن ببغداد.

روىٰ الصدوق عن أبيه قال: حدّثنا علي بن ابراهيم بن هاشم، عن محمد ابن عيسىٰ اليقطيني، عن حمد بن عبدالله الغروي عن أبيه، قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي: أدن، فدنوت حتى حاذيته، ثم قال لي: اشرف الى بيت في الدار فاشرفت، فقال: ماترى في البيت؟ فقلت: ثوباً مطروحاً فقال: انظر حسناً، فتأملت ونظرت فتيقنت فقلت: رجل ساجد فقال لي: تعرفه؟! قلت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل عليّ؟ فقلت: ما أتجاهل ولكني لا أعرف لي مولى، فقال: هذا أبو الحسن موسىٰ ابن جعفر عليهما السلام اني أتفقده الليل والنهار فلا أجده في وقت من الأوقات الا على الحال التي اخبرك بها إنه يصلي الفجر فيعقّب ساعة في دبر الصلاة الى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس وقد وكّل من يترصد له الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس! اذيثب فيبتدي الصلاة من غير أن يحدث فاعلم انه لم ينم في سجوده ولا اغفى ولا يزال الى أن يفرغ من صلاة العصر، فاذا صلّى سجد سجدة فلا يزال ساجداً الى أن تغيب الشمس، فاذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ولا يزال في صلاته وتعقيبه الى أن يصلي العتمة فاذا صلى العتمة أفطر على شوى يؤتى به ثم يجدد الوضوء ثم يسجد ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة ثم يقوم فيجدد الوضوء فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر، فلست ادري متى يقول الغلام ان الفجر قد طلع؟! اذ قد وثب هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حوّل اليّ، فقلت: اتق الله ولا تحدثن في أمره حدثاً يكون فيه زوال

النعمة، فقد تعلم انه لم يفعل احد باحد منهم سوءاً الا كانت نعمته زائلة، فقال: قد ارسلوا الي غير مرة يامروني بقتله، فلم أُجبهم الى ذلك وأعلمتهم انـي لا أفـعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم الى ما سألوني فلما كان بعد ذلك حوّل عليه السلام الى الفضل ابن يحيى البرمكي فحبس عنده اياماً فكان الفضل بن الربيع يبعث اليه في كل يوم مائدة حتى مضى ثلاثة أيام ولياليها، فلمّا كانت الليلة الرابعة قدّمت اليه مـائدة للفضل بن يحيى، فرفع عليه السلام يده الى السماء، فقال: يا رب انك تعلم اني لو اكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي فاكل فمرض، فلما كان من الغد جاءه الطبيب فعرض عليه خضرة في بطن راحته وكان السم الذي سم به قد اجـتمع فـي ذلك الموضع فانصرف الطبيب اليهم فقال: والله لهو أعـلم بـما فـعلتم بـه مـنكم ثـمّ توفي عليه السلام.

وروى الصدوق قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بـن مـحمد بـن الحسـين البزاز، قال: حدّثنا أبو طاهر الساماني قال: حدّثنا أبو القاسم بشر بن محمّد بن بشير قال: حدثني أبو الحسين أحمد بن سهل بن ماهان قال: حدّثني عـبيدالله البزاز النيسابوري وكان مسناً، قال: كان بيني وبين حـميد بـن قـحطبة الطـائي الطوسي معاملة، فرحلت اليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فـاستحضرني للوقت وعليَّ ثياب السفر لم أغيّرها وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظـهر، فلما دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست، فأتـى بطشت وابريق فغسل يديه، ثم أمرني فغسلت يدي واحـضرت المـائدة وذهب عنّي انّي صائم وانّي في شهر رمضان، ثم ذكرت فامسكت يدي فقال لي حميد: ما لك لا تاكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علة توجب الافطار ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الافطار، فقال: ما بي

علة توجب الافطار واني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له بعد ما فرَغ من طعامه ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: أنفذ الي هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب فلما دخلت عليه رأيته بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولا وبين يديه خادم واقف، فلما قمت بين يديه رفع رأسه الي، فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال فاطرق، ثم أذن لي في الانصراف، فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول الي وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: أنا لله أخاف ان يكون قد عزم على قتلي وانه لما رآني استحيى مني، قعدت الى بين يديه فرفع رأسه الي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكاً، ثم أذن لي في الانصراف، فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الي الرسول، فقال: أجب أمير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه اليّ وقال لي: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي الى بيت بابه مغلق ففتحه فاذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها، فاذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيّدون، فقال لي: ان امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهم السلام، فجعل يُخرج الي واحداً بعد واحد فاضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى باجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر ثم فتح باب بيت آخر فاذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة عليهم السلام مقيدون، فقال لي: ان امير المؤمنين يامرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج الي واحداً بعد واحد فاضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر

حتى أتيت علىٰ آخرهم، ثم فتح باب البيت الثالث فاذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون عليهم الشعور والذوائب، فقال لي: ان امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً، فجعل يخرج الي واحداً بعد واحد فاضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر حتى أتيت علىٰ تسعة عشر نفساً منهم، وبقي شيخٌ منهم عليه شعر، فقال لي: تباً لك يا ميشوم! أي عذر لك يوم القيامة اذا قدمت علىٰ جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتلت من اولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام ؟! فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر الي الخادم مغضباً وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ ايضاً فقتلته ورَمىٰ به في تلك البئر، فاذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما ينفعني صومي وصلاتي ؟! وانا لا أشك أنّي مخلد في النار، قال مصنف هذا الكتاب: للمنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أيّام المأمون

وممن قتل من العلويين في حكومة المأمون:

علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله.

الحسن بن الحسين بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين.

الحسن بن اسحاق بن علي زين العابدين.

محمد بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين.

محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين.

محمد بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين.

عبد الله بن جعفر بن ابراهيم بن جعفر بن الحسن المثنىٰ.

محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين عليه السلام .

وعلىٰ رأس شهداء العلويين الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام ابن الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام ، قتله المأمون العبّاسي بالسم .

أيّام المعتصم

وممّن قتل من العلويين في حكومة المعتصم :

محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين .

عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار .

وعلىٰ رأس شهداء العلويين الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام قتله المعتصم بعد ما اغرىٰ أُم الفضل بنت المأمون زوجة الجواد ، فهي التي سقت الإمام السمَّ بتوصية من المعتصم .

أيّام المتوكل الذي كرب قبر الحسين عليه السلام وأجرىٰ الماء عليه

وممّن قتل من العلويين في حكومة المتوكل :

محمد بن صالح بن عبد الله بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ .

محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين .

القاسم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين الشهيد .

احمد بن عيسىٰ بن زيد بن علي زين العابدين .

عبد الله بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ .

اقول : ذكر المؤرّخون في سيرة المتوكل افعالاً شنيعة ارتكبها في خلافته منها : انه هدم قبر الحسين عليه السلام واجرىٰ عليه الماء بعد حرثه للأرض ، وان قصة

الماء الذي حار ودار حول القبر الشريف لمشهورة ومعروفة وقد ذكرناها مفصّلاً في كتابنا (كرامات الإمام الحسين عليه السلام) ٢/١١٠.

والمتوكّل كان شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، قال ابو الفرج في مقاتل الطالبيّين: وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظاً على جماعتهم مهتماً بامورهم شديد الغيظ والحقد عليهم... ثم قال: واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي فمنع الناس من برّ آل أبي طالب وكان لا يبلغه ان احداً بر أحداً منهم بشيء وان قل إلا أنهكه عقوبة واثقله غرماً حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يُصَلِّين فيه واحدة بعد واحدة ثم ينزعنه ويجلِسن على مغازلهن عواري حواسر الىٰ أن قُتِل المتوكّل فعطف المنتصر عليهم وأحسن اليهم.

وذكر ان المنتصر سمع اباه المتوكل يشتم فاطمة، فسأل رجلاً من الناس في ذلك فقال له: قد وجب عليه القتل إلا أنه من قتل أباه لم يَطُل له عمر.

قال: ما ابالي اذا أطعت الله بقتله ان لا يطول لي عمر فقتله، وعاش بعده سبعة أشهر[1].

أيّام المستعين

وممّن قتل من العلويين في حكومة المستعين.

يحيىٰ بن عمر بن الحسين بن زيد الشهيد.

الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي زين العابدين.

محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنىٰ.

---

١ ـ البحار ١٨/٧٨١ ط بيروت، دار التعارف، حامد عزيزي.

أيّام المعتز

ممن قتل من العلويين في حكومة المعتز :

اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ .

الحسن بن يوسف بن ابراهيم بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ .

جعفر بن عيسىٰ بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار .

احمد بن عبد الله بن موسىٰ بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنىٰ .

عيسىٰ بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار .

جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين .

ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام .

أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ .

وعلىٰ رأس هؤلاء الشهداء الامام علي الهادي عليه السلام ابن الامام محمد الجواد عليه السلام .

حكومة ابن المعتز

وهل تعلم كم كانت مدة خلافة ابن المعتز حتى اكثر القتل في السادة العلويين ؟

انها كانت يوماً واحداً ثم عُزل!

اقول: كان ابن المعتز شبيه جدّه المتوكّل في النصب والعداء والعناد لاهل البيت عليهم السلام، فصار عاقبة امره انه حبس بأمر المقتدر لكائنة جرت له ثم عصرت خصيتاه حتى مات وكان ذلك في سنة ٢٩٦ هـ ودفن في خربة في نهاية الذلة وصار مصداقاً للخبر المشهور:

(نحن بنو عبد المطلب ما عادانا بيت إلاّ وقد خرب، ولا عادانا كلب إلا وقد جرب، ومن لم يصدق فليجرب).

قال ابن شحنة الحنفي: ولّي ابن المعتز الخلافة يوماً واحداً ثم عُزل. والحق انه اصابته دعوة العلويين فانه كان يقول: إن ولّيت ما أبقيت علوياً فدعو عليه.

هذه الملاحقة الشديدة من قبل العباسيين والتصفية الجسدية للعلويّين خلّفت وراءها الثورات والاضطرابات السياسية في كل بقعة من المملكة الإسلامية التابعة لنفوذ العباسيين، ولو أردنا أن نتحدّث عن الاضطرابات التي حصلت في الدولة العباسية وأثرها على الادب العربي والإسلامي لاستوجب البحث أن نفرد له عدة مجلّدات، ولكن استطيع أن أُوجز الحديث عن فترة واحدة والتي سمّاها الكثير من الباحثين بالعصر الذهبي، الا وهي فترة خلافة المأمون، فالاضطرابات التي حصلت فيها يمكن أن نوجزها على النحو الآتي:

١ ـ خروج جماعة من ولد أمير المؤمنين علي وفاطمة عليهما السلام على المأمون منهم:

ـ أبو السرايا؛ السري بن منصور بالعراق ومعه ابن طباطبا العلوي.

ـ خروج محمد بن سليمان بن داود الحسيني في المدينة.

ـ خروج علي بن محمد بن جعفر في البصرة.

ـ خروج زيد بن موسىٰ بن جعفر في البصرة.

ـ خروج ابراهيم بن موسىٰ بن جعفر في اليمن.

ـ خروج محمد بن جعفر بن محمد في مكة ونواحي الحجاز.

٢ ـ أحداث دمويّة وتصفيات جسدية قام بها المأمون منها:

ـ قتله أخاه محمّد الأمين.

ـ قتله القائد هرثمة بن أعين شرّ قتله.

ـ قتله الإمام الرضا عليه السلام بالسم.

ـ قتله علي بن جبلة العكوك وانتزع لسانه من قفاه.

ـ حارب عمّه ابراهيم بن المهدي حتىٰ اضطره إلىٰ الهروب من بغداد.

ـ نفىٰ طاهر بن الحسين الخزاعي إلىٰ الرّقة.

٣ ـ نقل مركز الخلافة من بغداد إلىٰ مرو في خراسان.

٤ ـ صيّر الشؤون الإدارية وأعمال الخلافة إلىٰ الفضل بن سهل، وفوّض إليه شرقي البلاد.

٥ ـ فوّض جملة من الشؤون السياسية إلىٰ الحسن بن سهل وفوّض إليه غربيَّ البلاد.

٦ ـ اضطراب الوضع السياسي في قم واقدام أهلها علىٰ خلع المأمون.

٧ ـ محنة الفقهاء وابتلائهم بمسألة خلق القرآن وهلاك الكثير منهم بهذا الامتحان العسير.

٨ ـ فتنة ابراهيم بن المهدي وسيطرته علىٰ بغداد ثم هروبه منها.

٩ ـ التغيير في الشعار الرسمي للدولة، إذ كان السواد هو الشعار الرسمي ثم

غُيّر إلىٰ الخضرة وبعد قتل الإمام الرضا عليه السلام أعاده إلىٰ السواد. ولا يخفى لهذا التغيير من بُعدٍ سياسي، من ذلك: مسايرة المأمون للعلويّين، وكسب رضىٰ الموالين لهم من الشيعة.

١٠ ـ تعدد المذاهب والفرق الدينية كالمعتزلة والقدرية والجبرية والمرجئة.

١١ ـ ظهور العصبية القبلية والدعوة إلىٰ القحطانية والنزارية.

١٢ ـ ظهور الشعوبية والافتخار بالعرق الاعجمي.

١٣ ـ انتشار الزندقة والالحاد.

أيّام المهتدي

وممن قَتل في خلافة المهتدي من العلويين:

علي بن زيد بن الحسين بن عيسىٰ بن زيد الشهيد

محمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد

طاهر بن أحمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبىٰ

الحسين بن محمد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد

يحيىٰ بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد

محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبىٰ

جعفر بن اسحاق بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام

موسىٰ بن عبد الله بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ

عيسىٰ بن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي

محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد

علي بن موسىٰ بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن
محمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن الحسن بن زيد بن الحسن المثنىٰ
علي بن موسىٰ بن اسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام
ابراهيم بن موسىٰ بن عبد الله بن موسىٰ بن عبد الله بن الحسن
عبد الله بن محمد بن يوسف بن ابراهيم بن موسىٰ بن عبد الله

أيّام المعتمد

ومن الذين لاقوا مصرعهم من العلويين في خلافة المعتمد :
أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن
أحمد بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين
عبيد الله بن علي بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد
علي بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسين
محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عمر بن علي
حمزة بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر
حمزه بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى
محمد بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي
ابراهيم بن الحسن بن علي بن عبيد الله
الحسن بن محمد بن زيد بن عيسى بن زيد بن الحسين
اسماعيل بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر
محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد الاكبر
ابن الحسن المجتبى

موسى بن موسى بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن المثنى
محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي
الحسين بن ابراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد ابن الحسن
محمد بن عبد الله بن زيد بن عبيد الله بن زيد بن عبد الله بن الحسن بن زيد ابن الحسن
علي بن موسى بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي
علي بن جعفر بن هارون بن اسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي
عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر

وعلى رأس هؤلاء الشهداء الإمام الحسن العسكري ابن الامام علي الهادي إذْ ان حقد المعتمد العباسي دفعه للاجهاز على الإمام حيث دسَّ إليه السم فقتله.

أيام المعتضد

وممن لاقى حتفه من العلويين على يد المعتضد:

محمد بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى
محمد بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام

أيّام المكتفي

ومن العلويين الذين قُتلوا في زمن المكتفي:

محمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين ابن علي بن الحسين عليه السلام

علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن علي عليه السلام

زيد بن الحسين بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام

محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام

وعلى رأس هؤلاء الشهداء الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

أيّام المقتدر

وممن قُتلوا من العلويين في زمن المقتدر:

العباس بن اسحاق بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام

المحسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم عليه السلام

طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي

وفي زمن المقتدر هناك العشرات من السادة العلويين النجباء الذين لاقوا حتفهم باسباب مفتعلة قد سخّرتها جلاوزة السلطان في الاجهاز على هؤلاء الابرار غيلة في سفر أو حضر.

أقول: هذه الاسماء التي ذكرناها من العلويين هم الذين قتلوا صبراً، أو لاقوا حتفهم تحت سياط الجلّادين من بني العباس، أو انهم ماتوا في السجون

التي اسّسها كل من المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل والمعتز والمستعين والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر، وغيرهم من خلفاء الجور من بني العباس، ولكل واحد من اولئك العلويين الشهداء له قصّة في كيفية أخذه أو الاجهاز عليه، ولم نذكر اخبارهم خوف الإطالة، وربما كان لنا فيهم حديث مفصّل في مناسبة أخرى إن شاء الله.

اما الجرائم الأخرىٰ التي ارتكبها اولئك الطغاة من العباسيين، ومن سار في ركبهم كالوزراء والقواد والامراء والقضاة فتنبئُك كتب السيرة والتاريخ عمّا اقترفوه بحق أهل البيت عليهم السلام وبحق البشرية والابرياء... وقد ساهم الشعراء في الكشف عن تلك الجرائم، وإن التراث الادبي بكل فنونه واغراضه يُعدّ من المصادر المهمة في الدراسات التاريخية والادبية للعصر العباسي.

وخير ما نسوقه هنا من نتاج أدبي قصيدة أبي فِراس الحمداني قال:

الدِّينُ مُختَرَمُ، والحقّ مُهتضمُ؛ وفيءُ آلِ رسولِ اللهِ مُقتسمُ[1]

والنّاسُ عندك لا ناسُ، فيُحفظهم سومُ الرّعاةِ، ولا شاءُ، ولا نَعَمُ

إنّي أبِيتُ قليلَ النّومِ، أرّقني قلبُ، تصارع فيه الهَمُّ والهِمَمُ!

وعَزمةٌ، لا ينامُ اللّيلَ صاحِبُها إلّا علىٰ ظَفَرٍ، في طيّه كرمُ

يُصانُ مُهري لأمرٍ لا أبوحُ بهِ، والدرعُ، والرّمحُ، والصّمصامة الخُذُمُ

وكُلُّ مائرةِ الضّبعينِ، مسرَحُها رمثُ الجزيرة، والخِذرافُ والعَنَمُ[2]

يا لَلرِّجالِ! أما لله منتصفُ من الطّغاة؟ أما للدّين منتقمُ؟!

---

١ ـ مخترم: مستأصل.

٢ ـ مائرة: متحركة. الضبعين: العضدين، يصف ناقته بالسرعة. الرمث والخذراف والعنم: نبات تأكله الابل.

بـــنو عـــليٍّ رعـايا فـي ديـارِهِمُ ... والأمـرُ تَمِلكُهُ النّسوانُ، والخَدمُ!
مـحلّئونَ، فأصـفى شـربهم وشـلُ ... عـند الورودِ، وأوفـىٰ ودّهـم لمـمُ[1]
فـالأرضُ، إلّا عـلى مُـلّاكـها، سَـعَةٌ، ... والمـــالُ، إلّا عـــلى أربـابِهِ، دِيَـمُ
ومـا السّـعيدُ بـها إلّا الّـذي ظَـلموا، ... ومـا الغَـنيّ بـها إلّا الّـذي حَـرَموا
للـمتّقين، مِـنَ الدّنـيا، عَـواقِبُها، ... وإن تَـعجّل مـنها الظّـالِمِ الأثـمُ
لا يُـطغينّ بـني العـباسِ مـلكهم! ... بـــنو عـليٍّ مـواليـهم وإن زُعِـموا
أتـفخَرون عَـليهم؟ لا أبـاً لَكُـمُ ... حـــتى كأنّ رسـولَ اللهِ جـدُّكُـمُ
ومـا تـوازنَ، يـوماً، بـينكم شـرفٌ ... ولا تساوتْ بكُم، فـي موطنٍ، قَـدمُ
ولا لكم مِثلُهم، في المجدِ، متّصلُ، ... ولا لجـدّكُـمُ مَسـعاةُ جـدّهِمُ
ولا لعـــرقِكمُ مـن عـرقهم شَـبهُ، ... ولا نَـفيلتكُم مـن أُمّـهم أمَـمُ[2]
قـام النّبيّ بـها، يـوم الغـدير، لَـهُمْ ... واللهُ يشـهدُ، والأمـلاكُ، والأممُ[3]
حتىٰ إذا أصبحتْ في غيرِ صاحِبها ... بَـاتتْ تَـنازعها الذّؤبـانُ والرّخـمُ
وصُـــيّرتْ بـينهم شُـورى كأنـهُمُ ... لا يَـعرِفون ولاةَ الحـقّ أيّـهُمُ!
تـاللهِ، مـا جَـهِلَ الأقوامُ موضِعَها ... لكـنّهم سـتروا وجـهَ الذي عَـلِموا
ثـمّ ادّعـاها بـنو العـبّاسِ إرثَـهمُ، ... ومـا لَـهُمْ قَـدَمٌ، فِـيها، ولا قِـدَمُ
لايُـذكَرونَ، إذا مـا معشرٌ ذُكِـروا، ... ولا يُـحكَّمُ، فـي أمرٍ، لَهم حكمُ
ولا رآهُـــم أبـــوبكرٍ وصـــاحِبُهُ ... أهـلاً لِما طَـلَبوا منها، ومـا زَعـموا

---

١ ـ محلئون: مبعدون. الوشل: الماء القليل. لمم: ذنب.

٢ ـ نفيلة: أم العباس وزوجة عبد المطلب. وأراد بأمهم فاطمة أم عبد الله أبي النبي.

٣ ـ الغدير: هو غدير خم، ويوم الغدير: هو اليوم الذي صرح النبي فيه بقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه الخ.

فـهل هـمُ مُـدّعوها غـير واجـبةٍ ... أمْ هلْ أئـمّتُهمْ فـي أخـذها ظـلموا؟
أمّـا عـليّ فـقد أدنـى قـرابـتكم، ... عـنـدَ الولايـةِ، إن لم تُكـفَرِ النّـعمُ
هل جـاحِدُ يـا بـني العبّاسِ نِعمتَه ... أبُـوكُم، أم عُـبيدُ اللهِ، أم قُـثمُ؟[1]
بئس الجزآءُ جَزيتم في بني حسنٍ! ... أبُـوهُم العَـلَمَ الهـادي وأُمّـهُمُ[2]
لا بـيعةُ ردعـتكم عـن دمـائهمُ، ... ولا يَـمِينُ، ولا قُـربى، ولا ذِمـمُ!
هلّا صفحتم عَنِ الأسرى بلا سببٍ ... للـصّافحين بـبدرٍ عـن أسـيركُمُ؟
هـلّا كـففتم عـن الدّيباج ألسـنكم ... وعـن بـناتِ رسـولِ اللهِ شَـتمكمُ؟[3]
مـا نُـزّهتْ لرسـولِ اللهِ مُـهجتهُ ... عـن السّـياطِ! فَـهلّا نـزّهَ الحرمُ؟
ما نال منهم بنو حربٍ، وإن عظُمتْ ... تـلك الجـرائـرُ، إلّا دون نـيلكمُ
كم غـدرةٍ لكمُ فـي الدّين واضحةٍ! ... وكـم دمٍ لرسـولِ اللهِ عـندكُمُ!
أأنـتم آلُـهُ فـيما تَـرونَ، وفـي ... أظفارِكُم، مـن بـنيهِ الطّاهرينَ، دمُ؟
هـيهات لا قَـرّبتْ قُـربى ولا رَحِـمُ، ... يوماً، إذا أقصتِ الأخـلاقُ والشّـيمُ!
كـانت مـودّةُ سـلمانٍ له رَحِـماً ... ولم يكن بـينَ نـوحٍ وابـنهِ رَحِـمُ![4]
يـا جـاهداً فـي مسـاويهم يكتّمُها! ... غدرُ الرّشيد بيحيىٰ كيف يـنكتمُ؟[5]

---

١ ـ عبيد الله وقثم من أبناء العباس. استعمَلَهما الإمام علي لما تولى الخلافة أولهما على اليمن والثاني على الحرمين.

٢ ـ حسن: هو ابن الإمام علي.

٣ ـ يشير إلى شتمّ المنصور الديباج، بقوله له يا ابن اللّخنا. وكانت أم الديباج فاطمة بنت الحسين.

٤ ـ هو سلمان الفارسي. ويشير الشاعر إلى الحديث القائل: «سلمان منّا آل البيت». ويشير في قوله: (نوح وابنه) إلى كنعان بن نوح جد الكنعانيين. وإلى ما جاء في الآية: «إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح».

٥ ـ يشير إلى فتك الرشيد بيحيى بن عبد الله بن الحسن.

ليس الرّشيد كموسىٰ في القياس ولا
مأمونكم كالرّضا إن أنصف الحكم[1]

ذاق الزّبيريّ غِبّ الحَنث وانكشفتْ
عن ابن فاطمةَ الأقوالُ والتّهم[2]

باؤوا بقتل الرّضا، من بعد بيعته،
وأبصَروا بعض يوم رشدهم وعموا

يا عصبةً شقيت من بعد ما سعدتْ،
ومعشراً هلكوا من بعد ما سلموا

لبئس ما لقيتْ منهم، وإن بليتْ
بجانبِ الطّفّ تلك الأعظمُ الرّمم[3]

إلى آخر الابيات....

---

١ ـ موسى الكاظم الإمام السابع عند الشيعة الاثني عشرية، والرضا هو علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم ومدفن مسموماً في طوس.

٢ ـ الزبير كان قد بايع الإمام علياً بالخلافة، ثم حنث في بيعته

٣ ـ يشير إلى أمر المتوكل العباسي بهدم قبر الحسين بالطف في كربلاء.

الحياة السياسية

لكلّ عصر سماته الخاصة ومظاهره السياسية التي ينفرد بها دون غيره من العصور، فمن مظاهر الحياة السياسية في العصر العباسي هي :

أولاً: نفوذ الأتراك

لقد اهتم المعصتم كثيراً بالعنصر التركي تبعاً لسلفه المأمون الذي حاول أن يدخل هذا العنصر الجديد في الجيش، كي يوجد نوعاً من التوازن بين العنصرين ـ الفارسي والعربي ـ حيث شعر المأمون أن العنصر العربي لا يمكن الاعتماد عليه طالما آزر ـ ذلك العنصر ـ أخاه الأمين، وكانت بغداد قلعة محصّنة له، وامّا العنصر الفارسي فكان يوالي أبا مسلم الخراساني، صاحب الدعوة وبطلها المغامر في ايجاد دولة بني العباس ولمّا فتك المنصور بهذا القائد المؤسس نشبت اضطرابات وفتن امتد اوارها إلىٰ الازمنة اللاحقة، لذا كان المأمون يتخوّف من هذا العنصر الثاني وهم الفُرس ويحذر التعامل معهم.

فالذي أقدم عليه المأمون كان بهدف الحفاظ علىٰ السلطة : وتحقيق المطامع الشخصية لا غير وإلّا كان العنصر العربي آنذاك أشدّ حماساً في الحفاظ علىٰ الإسلام.

ثم كان عصر المعتصم الذي بالغ في الإهتمام بهذا العنصر الثالث، أضف إلىٰ ذلك أنه استقدم عام ٢٢٠ هـ قوماً من بخارىٰ وسمرقند وفرغانه وأشروسه،

وغيرها من البلدان الشرقية، وماوراء النهر، فاشتراهم وبذل فيهم الاموال والبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب، وامعن في شرائهم حتى بلغت عدّتهم ثمانية عشر ألفاً[١] بل أصبح عددهم في أوج خلافته سبعين ألفاً[٢].

والاسباب الداعية للمعتصم في أن يعتمد على الاتراك واضحة جداً اهمّها: ان أُمّه كانت تركيّة من الصغد وقد شابه المعتصم أخواله في مواصفاته الجسدية والنفسية، فكان يتّسم بضخامة البدن وغلظة النفس وسوء الطباع والخشونة والقساوة....

ثم عداوة الفُرس للمعتصم عندما نكّل بالعبّاس بن المأمون والذي كانت امّه من العنصر الفارسي ـ جعلته ينفر من الفرس، ويبغضهم اشدّ البغض، وقد جرّدهم من المناصب المهمة والأعمال الادارية الحسّاسة، كما ان الاعتماد على العنصر التركي وفّر للمعتصم عدة أمور منها:

البقاء في السلطة مدة أطول ومن خلال تلك المدة استطاع أن يبسط نفوذه السياسي على البلاد. ومنها: اخماد الثورات والفتن التي قادها العرب. ومنها القضاء على طموح بعض الشخصيّات التي لها ارتباط بالعنصر الفارسي كما حدث بالنسبة للعباس بن المأمون العباسي في حركته حيث كانت امّه فارسيّة.

ولا يخفى ان الاتراك ما كانوا يتعصّبون للحاكم إلّا طمعاً في المال والمنفعة، لذا أغدق عليهم المعتصم بالمنح والعطايا واقطعهم الأراضي والدور، واهتم غاية الاهتمام برؤسائهم وقادتهم كيما يخلصوا له الولاء.

غير أن كتب التأريخ ـ ومجرى الأحداث السياسية ـ يخبرنا جداً عن دور

---

١ ـ مروج الذهب: ٥٣/٤، تاريخ ابن كثير: ٢٩٧/١٠.

٢ ـ تاريخ الحضارة الإسلامية ـ جمال سرور: ٢٣.

ونفوذ اولئك الاجانب وعدم اخلاصهم للخليفة العباسي فمنذ خلافة المأمون وحتىٰ مجيء البويهيين تطالعنا الاحداث والفتن التي كان سببها الجند الاتراك، وأن مطالبة الاتراك الخليفة بالمزيد من الحقوق والارزاق والمنح بحد ذاته عامل خطير في ارباك الدولة سياسياً واقتصادياً. فكلّما وجدوا الضعف يدبّ في شخص الخليفة ثاروا عليه مطالبين بالحقوق الإضافية، حتىٰ أن بعض أدوار الحكم العباسي في القرن الثالث الهجري تماثل إلىٰ السقوط والانهيار بسبب ضعف الخليفة الحاكم، وعدم سيطرته علىٰ رجال الدولة والمسؤولين حتىٰ وصل ضعف الخليفة إلىٰ درجة انه يتوسّل بقائده التركي ويطلب منه العفو أو السماح، وهذا ما حدث في زمن المقتدر، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

هكذا تسلّط الاتراك علىٰ شخص الخليفة، فاسقطوا حرمته وعمدوا إلىٰ التدخل في شؤون الدولة السياسية والمادية حتىٰ صار لهم النفوذ الكامل في العزل والنصب والسجن والقتل ومصادرة الاموال.

ومن أبرز الشخصيّات التركية زمن المعتصم: ايتاخ، وأشناس، ووصيف، وحيدر بن كاوس المعروف بالافشين، وقد حظىٰ هؤلاء بمنزلة رفيعة عند السلطان وبتقدير كبير، لكن الباحث المتعمّق في سير التأريخ ونفوذ هؤلاء الاتراك سوف يجد أن هؤلاء ليس لهم أدنىٰ وفاء، وان اخلاصهم للخليفة بقدر ما يبذل لهم من مال، أو يرفعهم إلىٰ جاه، وإلّا الحوادث التأريخية تؤكّد خيانة هؤلاء في جميع الادوار، علىٰ أن الاسباب مختلفة من عصر إلىٰ آخر، لكن لا يعدو القول من أن السبب الرئيسي هو المنافع الشخصية والطموحات، وخير دليل نسوقه في المقام هو خيانة الافشين للمعتصم وخيانة ايتاخ للمتوكل ثم اجتماع كلمة (بغا الصغير) و(باغر) حارس الخليفة المتوكل ـ وجمع من الاتراك ـ

علىٰ الفتك بالمتوكل بإيعاز من ولده المنتصر، وفعلاً تم لهم ذلك حيث قتلوا الخليفة مع وزيره الفتح بن خاقان ثم اجتمعت كلمة الاتراك علىٰ قتل المنتصر حيث دفعوا إليه الطيفوري طبيبه فسمّه أثناء قيامه بالحجامة للخليفة؛ سمّه في مشرط حجمه به[1].

ثم خيانة بغا ووصيف للمستعين والتخلّي عنه أيام فتنة المعتز والتي ادّت فيما بعد إلىٰ انتصار المعتز ومقتل المستعين في منفاه في البصرة وهكذا خيانة مؤنس القائد التركي ـ بعد عمل دؤب ـ للمقتدر ثم الاجهاز عليه والفتك به.

والاحداث من هذا القبيل كثيرة جداً قد نكتفي بهذا القدر كمثال علىٰ نفوذ الاتراك وتسلّطهم علىٰ الخليفة وادارة الامور واشعال الفتن وإخراج الوزراء والقيام باعمال الشغب والإغتيال، وربما يأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله.

ثانياً: الأحداث السياسية ونفوذ الخدم وتقلب الوزارة

من الاسماء البارزة في قائمة الخدم الذين لعبوا دوراً سياسياً مهمّاً في أوائل القرن الرابع الهجري: احمد بن نصر القشوري الحاجب، ومحمد بن ياقوت التركي. فأمّا الأول فله مواقف عدائية مع الوزير ابن الفرات مما سببت اقصاء ابن

---

١ ـ قصة المتوكل والفتك به وبوزيره الفتح بن خاقان كان بتدبير من الاتراك وبالاتفاق مع المنتصر بالله ابن المتوكل، هكذا جاء المنتصر بعد أبيه إلىٰ الخلافة لكنه لم يدم في الحكم إلّا دون الستة أشهر. قيل أن المنتصر جلس في بعض الايام للّهو وقد استخرج من خزائن أبيه فرشاً، فأمر بفرشها في المجلس فرأىٰ في بعض البسط دائرة فيها فارسٌ وعليه تاج وحوله كتابة فارسية، فطلب من يقرأ ذلك، واحضر رجلاً، فلمّا قرأ الكتابة، تطّب ولم يشأ أن يترجمها، فألحّ عليه المنتصر، فقال: هذه الكتابة تقول أنا شيرويه بن كسرىٰ بن هرمز، قتلت أبي فلم أتمتع بالملك إلّا ستة أشهر فتغيّر وجه المنتصر وأمر باحراق البساط وكان منسوجاً بالذهب وان شيرويه لما قتل أباه فلم يعش بعده إلّا ستة أشهر إذ مات بالطاعون سنة ٩ هـ وتلك الأيام نداولها بين الناس...، فهي من العبر....

الفرات عن الوزارة عام ٣٠٧ هـ ومراسلة نصر الحاجب لحامد بن العباس في واسط يُمنّيهُ في تقليده للوزارة وفعلاً تم له ذلك، وإلّا أن وزارة حامد لم تدم طويلاً حتىٰ عاد ابن الفرات مرة أُخرىٰ للوزارة بمساعدة أبي نصر بشر بن عبد الله النصراني كاتب مفلح الخادم.

ومن تلك المواقف عداء نصر الحاجب للوزير علي بن عيسىٰ بسبب علاقة مؤنس الطيّبة مع الوزير.

اما دور ياقوت الحاجب فهي لا تقلّ أهمية عن غيره من الخدم. فقد أقصىٰ الوزير ابن مقلة عن منصبه الوزاري عام ٣١٨ هـ بسبب ولاء الوزير للقائد مؤنس علىٰ أن ابن ياقوت الحاجب لم يكن علىٰ وفاق مع هذا القائد.

ومن الاعمال السياسية الخطيرة التي مارسها محمد بن ياقوت هو الضغط علىٰ المقتدر للخروج في محاربة القائد مؤنس وكان اصرار ابن ياقوت علىٰ المقتدر هو الذي أوقع الخليفة فريسة للجند، وضحية لاطماع الغير من الخدم والحاشية، وبهذا يتغلّب الجيش بقيادة مؤنس ويسقط المقتدر صريعاً ويفرّ ياقوت وباقي الخدم ومن تآمر معه إلىٰ المدائن.

هكذا لعب ياقوت دوراً سياسياً كبيراً لا يُضاهيه أحد في حينه.

ومن الخدم الذين تصدّوا للامور السياسية: (مسرور الخادم).

وهناك اسماء أُخرىٰ تركنا ذكرها خوف الإطالة، كما نحن لا نريد أن نذكر تفاصيل كل حادثة أو الحديث عن كل شخصية سياسية برزت علىٰ الساحة، بل آثرنا أن نذكر نُتَفاً من مواقف البعض ونترك تفاصيل البحث لمناسبة أخرىٰ إن شاء الله.

من السمات البارزة في عصر المقتدر أيضاً اضطراب الوزارة، وتَسَيّب

العمّال والكتّاب وموظفي الدولة، وظهور الرشوة بصورة علنية، وقد كان الجو مناسباً لان يكون الخليفة وامّه (شغب) علىٰ رأس اولئك المرتشين حيث ابتزّوا أموال الناس وجعلوا منصب الوزارة يباع ويشترى، وقد يحظىٰ بمنصب الوزارة من يضمنها باكثر مال وتذلل للخليفة أو الحاشية من الخدم والحريم.

أقول: لما جاء المقتدر إلىٰ الخلافة كان منصب الوزارة بيد (العباس بن الحسن) والذي كان يشغله منذ زمن المكتفي بالله، إلّا أن الفتنة التي حصلت من قبل (عبد الله بن المعتز) وحاشيته وحزبه اقصت العباس عن الوزارة ليتقلّدها علي بن محمد بن موسىٰ بن الفرات عام ٢٩٦ هـ وهو من أبرز الادباء المعروفين آنذاك، لكن لم يمكث في الوزارة الاولىٰ أكثر من ثلاثة سنوات حتىٰ حيكت ضدّه مؤامرة كان نسّاجها بعض حاشية الخليفة ـ من الخدم ـ وعلىٰ رأسهم مؤنس الخادم ومن الحريم: القهرمانة (أم موسىٰ) وكيلة (شغب) أم المقتدر ثم الازمة المالية التي عصفت بالبلاد كانت هي الاخرىٰ لعزل ابن الفرات من الوزارة، وتقليدها لمحمد بن عبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان في عام ٢٩٩ هـ، وما أن تقلّد الخاقاني منصب الوزارة حتىٰ برزت معالم الفساد والاضطهاد والتعذيب في البلاد. و أوّل من أصابه الهتك والتقريع والاضطهاد هو الوزير المخلوع ابن الفرات، حيث هُتكت حرمته اقبح هتكة، ونُهبت داره ودور كتّابه[1] وفجر الشرطة بنسائه ونساء أهله[2].

ثم توالت عملية السلب والنَهب في بغداد، وعمّ الاضطراب وساد القلق أجواء العاصمة، وفزع الناس من تلك الاعمال الوحشية حتىٰ ان الواحد منهم لم

---

١ ـ تجارب الامم: ١/ ٢٠.

٢ ـ صلة تاريخ الطبري: ٢٦.

يأمن علىٰ ماله وحياته وعرضه، فلقي السكان من ذلك أزمة سياسية شديدة ذهب ضحيتها أُناس ابرياء ودامت هذه الشدة ثلاثة أيام بلياليها[١].

كان الوزير الخاقاني كما يظهر من النصوص التأريخية ضعيف الارادة، سيء الاخلاق، رديء السيرة، ناقص التدبير، متشاغلاً بخدمة السلطان وأطرافه مِن الحريم والخدم. مما ادّىٰ به أن لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة[٢] بل واعتمد علىٰ ولده (عبد الله) في ادارة الامور، وقد قيل عن ولده هذا انّه كان متشاغلاً بالشراب وانّه يراعي أمر القواد والجيوش، والولايات للعمال، ويدع ما سوىٰ ذلك[٣].

ثم ان ظاهرة الرشوة اتسع نطاقها؛ وان ابسط الاعمال كانت لا تدار إلّا بتقديم رشوة يتفق عليها الوزير مع ذلك الموظف المرتقب تعيينه.

ان سوء الادارة، والتسيّب من قبل العمّال، وظاهرة الرشوة، وغير ذلك من الاسباب قد ادّت إلىٰ عزل الخاقاني من الوزارة ومجيء علي بن عيسىٰ بن الجرّاح عام ٣٠١ هـ وبهذا تنتهي وزارة الخاقاني التي دامت سنتين.

الظرف الذي جاء به ابن الجرّاح إلىٰ الوزارة كان معقّداً وفيه مشاكل عديدة. اهم تلك المشاكل: الازمة المالية، ومع ذلك حاول أن يجتازها ابن الجرّاح بذكاء وفطنة. فقد عمد إلىٰ تخفيف نفقات الجند والخدم والحاشية، وقلّل من نفقات دار الخلافة، وحاول أن يضبط القوائم الخراجيّة وواردات الدولة، ويوازن بينها وبين النفقات العامة والخاصة التي اضهدت الدولة، وقد نظّم ارزاق

---

١ ـ المنتظم ـ ابن الجوزي ١٠٩/٦.

٢ ـ تجارب الامم ـ ابن مسكوية: ٢٣/١.

٣ ـ المصدر السابق.

الجند والحاشية وفق تلك القوائم، إلّا أن هذا الاجراء آثار سخط الحاشية وادّىٰ به المقام ان تحاك ضدّه مؤامرة كي تقصيه عن الوزارة، وان خيوط المؤامرة بدأت من القهرمانة (أم موسىٰ) ووالدة المقتدر (شغب) وأبي عبد الله بن فرجويه؛ أحد خواص ابن الفرات؛ والذي تمكّن من السعاية بالوزير. هكذا تضافرت جهود ابن نصر الحاجب، وابن الحواري، وابن مقلة، والوزير المعزول ابن الفرات، وبعض حواشي الخليفة من الحريم والخدم. كل اولئك أوغروا صدر المقتدر وشحنوه بكل فِريَةٍ وتهمة، بغضاً للوزير علي بن عيسىٰ[1].

واخيراً وافق المقتدر رأي المتآمرين وأقصي علي بن عيسىٰ عن الوزارة، وسجن عند القهرمانه (زيدان) ثم نُهبت منازل اخويه (ابراهيم وعبد الله) وحاشيته ومن كان يَمُت اليه بصلة[2].

انتهىٰ دور (علي بن عيسىٰ) وجاء ابن الفرات ليشغل منصب الوزارة ثانية عام ٣٠٤ هـ.

مهما يكن من امر فان الوزير الذي يأتي عن طريق الخدم وحريم الخليفة لابدّ أن يرضي الجميع، وإلّا أي زلة تصدر منه أو عدم ارضائه لهؤلاء الحاشية يكون سبباً لإقالته والإتيان بآخَر.

وابن الفرات وغيره كان يعاني من تدخّل الحاشية في الشؤون السياسية والمالية حتىٰ ان المناوئين للوزير استغلّوا فرصة تمرّد (يوسف بن أبي الساج) وإعلان عصيانه علىٰ الخليفة المقتدر واستقلاله بأموال الخراج والضياع في

---

١ ـ انظر في ذلك الكامل لابن الاثير ١٥٤/٦، وتجارب الامم لابن مسكوية ٤٢/١.

٢ ـ صلة تاريخ الطبري، غريب ٦١.

ولاية الري وحواليها[١] وقد أُشيع ان الوزير ابن الفرات قد تواطأ مع يوسف بن أبي الساج، وافهم الخليفة بهذا المعنىٰ مما حمل المقتدر أن يعزل ابن الفرات ويهب منصب الوزارة إلىٰ (حامد بن العباس) علىٰ أن هذا الاخير لم يأت بمحض اختيار المقتدر، بل لتوصيات ومراسلات بينه وبين نصر الحاجب وشغب؛ ام المقتدر وبترشيح أبي القاسم علي بن محمد الحواري[٢] فما كان علىٰ الوزير (حامد بن عباس) إلّا أن يُمنّي الجميع بالاموال والهدايا إذا ما تقلّد منصب الوزارة.

ان حامد بن العباس لم يكن من الكفاءة بمنزلة حتىٰ يدير امور الدولة المالية والسياسية والاجتماعية، بل ان سوء تصرّفه وجهله بطبيعة الظروف السياسية التي تمرُّ بها الدولة، وغلاء الاسعار، وابتزاز الاموال، وغير ذلك من الاسباب ادّىٰ إلىٰ هيجان العامة واشعال فتيل الثورة، واعلان الناس غضبهم علىٰ السلطة الحاكمة مما اتّجه الناس إلىٰ المساجد الجامعة، وهجموا علىٰ أئمة الجماعة، وقطعوا الصلاة، وكسروا المنابر، وأحرقوا أحد الجسور ببغداد، وعمّ الاضطراب والهيجان أماكن عديدة من الكرخ والرُّصافة[٣].

هذه الاضطرابات وجملة من الاسباب الاخرىٰ ادّت إلىٰ عزل (حامد بن العباس) عن الوزارة عام ٣١١ هـ ومجيء ابن الفرات ليتقلد الوزارة للمرة الثالثة، والتي أودت بحياته في هذه المرة لنشاط اعدائه المتآمرين علىٰ قتله، أمثال: نصر الحاجب، وشفيع اللؤلؤي، ونازون صاحب الشرطة، ومؤنس القائد المُبعد

١ـ تجارب الامم، ابن مسكوية: ٤٦/١.

٢ـ نشوار المحاضرة ١٢٢/١.

٣ـ العبر في خبر من غبر، الذهبي: ٣٦/٢، الكويت ١٩٦١.

وهو من اشدّ الناس عداوة للوزير. واهم حدث استغل كورقة مربحة ضد الوزير هي ثورة القرامطة وهجومهم علىٰ قوافل الحجّاج عام ٣١١ هـ بقيادة أبي طاهر الجنابي.

وقد اتهم الوزير بالخيانة وبالتعاون مع القرامطه، وأُشيعت الاخبار من قبل المتأمرين علىٰ ان الوزير ابن الفرات ليست له الكفاءة في إدارة أعمال الدولة، وانه عرّض البلاد للهلاك والدّمار، بل ان حاشية المقتدر نفسها أعلنت ذلك للخليفة بمحضر ابن الفرات فقد قال الصابي في كتابه: ان نصر الحاجب قال للوزير بحضرة المقتدر: «زعزت اركان الدولة وعرّضتها للزوال بابعادك مؤنساً الذي يناضل الاعداء ويدافع عن الدولة»[1].

بهذا الجو من التوتر بين نصر الحاجب وبعض الحاشية وبين الوزير أُحكمت المؤامرة خيوطها وادّت فيما بعد إلىٰ القبض علىٰ الوزير واهانته وتعذيبه ثم القضاء عليه بالقتل عام ٣١٢ هـ ومصادرة كل ما يمتلكه.

وفي نفس العام تقلّد الوزارة أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني بعد مؤامرة اشترك فيها نصر الحاجب والقهرمانه ثمل ومؤنس القائد.

لكن الحياة الوزارية لم تدم طويلاً مع أبي القاسم الخاقاني حيث غلاء الاسعار، والافلاس الذي اعلنته الحكومة في زمنه، وحقد الحاشية، وتآمر أحمد بن عبيد الله الخصيبي علىٰ الخاقاني، وتحريض القهرمانات والحريم عليه، وكره الناس له....

ادّىٰ ذلك بأن يُقصىٰ الخاقاني عن الوزارة عام ٣١٣ هـ بَعدما تقلّدها لمدة ١٨ شهراً وهكذا تتاح الفرصة لبعض المتآمرين ان يتقلّد الوزارة وهو ابو العباس

---

١ ـ الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ـ الصابي ص٥٦. دار احياء الكتب العربية ١٩٠٨.

احمد بن عبيد الله الخصيبي وكانت وزارته في عام ٣١٣ هـ، لكن لم يحظ بالنجاح بسبب تفاقم الازمة المالية وانصراف الوزير عن تدبير الشؤون المالية والسياسية إلىٰ تدبير اموره الخاصة في اللهو والمجون[1]. ثم تعسفه في ضرب النساء، وهتك ستورهن، وتعذيب بعض نساء الشخصيات، كل ذلك أدّىٰ إلىٰ فشل الخصيبي، بل وإقصائه عن الوزارة عام ٣١٤ هـ فيتقلدها (علي بن عيسىٰ) ثانية، إذ جدّ في تنظيم الامور المالية والتخفيف من حدّة الازمات وغلاء الاسعار، لكن من جانب آخر تزايدت نفقات دار الخلافة التي بذلها الوزير، والمنح الّتي اعطاها للجند بعد انصرافهم من واقعة الانبار في حرب القرامطة، لذا حاول الوزير الاستعفاء من منصبه، لكن من دون جَدوىٰ، إذْ اصرّ عليه الخليفة في البقاء في منصبه غيران الامور في تدهور مستمر والحاشية تكيد للوزير، وان ابا علي بن مقلة يراسل نصْر الحاجب في أمر الوزارة حيث يجرّ النار إلىٰ قرصه، وهكذا بان فشل الوزير علي بن عيسىٰ حتىٰ أُلقي القبض عليه وأُعفي عن منصبه وجاء دور الوزير ابن مقلة لينكشف بعد فترة وجيزة امام المقتدر من خلال الانقلاب الذي قاده القاهر بالله حيث ابقىٰ القاهر محمد بن مقلة في منصبه الوزاري ولمّا فشلت حكومة القاهر وعادت الامور إلىٰ مجاريها ورجع المقتدر إلىٰ الخلافة تولّىٰ ابن مقلة الوزارة مرة اخرىٰ للمقتدر وهذا التقلّب من الوزير بين خليفتين مما يشكك الباحث في ولاء الوزير واخلاصه، بل اتضحت هذه الحقيقة للمقتدر فأمر بعزله عام ٣١٨ هـ.

ثُم تَقلّد الوزارة من بعد ابن مقلة سليمان بن الحسن بن مخلد، لكن لم تدم له الوزارة سوىٰ عام واحد، حتىٰ تَشَبّث بهذا المنصب الحسين بن القاسم بن

---

١ ـ تجارب الامم ـ ابن مسكويه: ١٤٣/١.

وهاب فتقلّد الوزارة عام ٣١٩ هـ بعدما وعد المقتدر بضمانٍ له قدره مليون دينار[١]، وكان الفضل في تقليده الوزارة يعود إلىٰ مؤنس القائد إلّا ان الايام احرزت تقلّب الوزير علىٰ مؤنس لمّا ايقن الوزير بسريرة القائد وما يكيد له من الاطاحة به.

فكانت الفرصة مواتية للوزير في التنكيل بمؤنس. فأوّل اجراء قام به هو مصادرة أموال وضياع مؤنس وانصاره كالوزير المخلوع ابن مقلة وعلي بن عيسىٰ.

غير أن الازمة المالية والدسائس المستمرة كانت هي الكفيلة بعزل الحسين بن القاسم في عام ٣٢٠ هـ ومجيء الفضل بن جعفر بن الفرات.

إنّ أبرز شيء قام به الوزير الجديد هو القيام بدور الوساطة بين المقتدر وقائده مؤنس المبعد ظناً من الوزير انه سيوفّق إلىٰ وئام الطرفين إلّا أن الاحداث خيّبت ظن الوزير وقادته بسرعة إلىٰ قيام معركة ضارية بين المقتدر والقائد مؤنس ادّت بحياة المقتدر وانتهاء خلافته التي دامت خمساً وعشرين سنة وهي مليئة بالاحداث والفتن وغلاء الاسعار، ونشوب الثورات؛ كثورة القرامطة واستقلالهم في البحرين، وحركة الخليفة المخلوع القاهر بالله، وسيطرة الفاطميين علىٰ مصر، واضطهاد الشخصيات والاسر، ومصادرة اموالها، وتحكّم الخدم والحاشية والنساء والقهرمانات في سياسة الدولة، وشيوع ظاهرة الرشوة في كل دوائر الدولة ولم يسلم من هذه الرذيلة حتىٰ الخليفة المقتدر وامه شغب، وظلم الرعية، وتدهور الحالة الاقتصادية بسبب تعطيل الاموال وعدم تشغيلها بل ودفنها تحت الارض[٢].

---

١ ـ تجارب الامم ـ ابن مسكويه ٢١٨/١.

٢ ـ تجارب الامم ـ ابن مسكوية: ١١٢/١ و١٩٣ وابن الجوزي: ٢٢٢/٦.

ثالثاً: سيطرة الرقيق على الادارة العباسية

بعدما اعتمدت الثورة العباسية في بدء دعوتها على العنصر الفارسي ـ كما تقدّم ـ تحوّل هذا الاعتماد بعد عصر المأمون إلى العنصر التركي؛ فاعتمد المعتصم على الرقيق[١] منهم لسحق الثورات العاصفة بالحكم العباسي وكانت أهم الثورات في تاريخ هذه الدولة هي؛ ثورة العلويين، وثورة بابك الخرّمي التي سحقها المعتصم العباسي، وثورة الزنج، وثورة القرامطة وهجومهم على مكة سنة ٣١٧ هـ.

إن اعتماد خلفاء بني العباس في القرن الثالث الهجري على الجانب التركي فسح المجال لهؤلاء حتى سيطروا على مرافق الدولة الرئيسية، فكثير من العناصر التركية قد استحوذت على الجانب السياسي والاقتصادي من الدولة العباسية وعلى رأس هؤلاء: القواد وبعض النساء الذين تصدّوا للحل والعقد وتدخلهم في شؤون الحكم والرعية؛ كأشناس التركي، وإيتاخ، ووصيف، وبغا الكبير، وأوتامش، وشاهك، وصالح بن وصيف، وأُم المستعين العباسي، ومؤنس كبير الترك[٢] وشغب أُم المقتدر، والقهرمانة ثمل.

وعليه فان الصورة الواضحة التي يعكسها لنا تاريخ العصر العباسي السياسي هو ضعف الحاكم العباسي تجاه المدّ التركي، وسيطرة الرقيق والعبيد والجند من الأتراك على المناصب والمرافق السياسية في الدولة، ولضعف الحاكم استطاع بعضهم أن يقتل الخليفة كما حدث للمتوكل العباسي ووزيره

---

١ ـ اكثر المعتصم من شراء هذا الرقيق من سمرقند وفرغانة وأشروسنة.

٢ ـ لا يخفى على الباحث ان اغلب هؤلاء كانوا من الرقيق ثم تدرّجوا في إدارة المناصب وقيادة الجند حتى سيطروا على مركز الحكومة الا وهو الخليفة العباسي.

الفتح بن خاقان.

وبعضهم استطاع أن يسمل عيني الخليفة القاهر ويعزله عن الخلافة بين عشية وضحاها[١]؛ كما استطاع هؤلاء الأتراك أن يستحوذوا على أموال المسلمين المتكدّسة في خزائن الدولة ليصرفوها على ملذّاتهم وشهواتهم ...، وقد ساعدهم على ذلك فساد الحاكم العباسي وفجوره ولهوه وترفه، ولا نريد أن ندلّل على هذا باكثر من كتب التاريخ والسيرة التي تناولت حياة خلفاء بني العباس بصورة مفصّلة، وذكرت صفاتهم واخلاقهم وسيرتهم الذاتية وما ارتكبوه من جرائم كبيرة بحق الإسلام، وخروجهم عن الدين الحنيف بفسادهم ولهوهم، وتجاهرهم بشرب الخمر، وارتكاب الزنا ولعب القمار ومنادمة الغلمان، وتركهم للحدود، وقتلهم المعصومين من أهل البيت، وملاحقتهم للاولياء والصلحاء... ثم الترف الذي كان في قصورهم، وبذل الأموال بإزاء الأمور التافهة، واللعب بمقدّرات المسلمين كله يُعدّ من الأسباب الرئيسية في تدهور الجانب السياسي وغياب النظام والشريعة أمام هذا التيار العاصف من شيوع الخمرة والزنا والفساد الخلقي بين المسؤولين وعلى رأسهم الحاكم العباسي.

رابعاً: سيطرة النساء على البلاط والأموال

لقد شمل الفساد الإداري كل الجوانب في الدولة العباسية، وقد تعذّر اصلاح تلك الجوانب من قبل الحاكم، بل وسيطرة الجند والرقيق من جانب، وهكذا سيطرة بعض النساء على شؤون الدولة من جانب آخر أدّى إلى تدهور السلطة وضعف الإدارة، وتفشّي الفقر بين الناس والرشوة في صفوف الموظفين.

---

١ ـ خلعوه سنة ٣٢٢هـ وسملوا عينيه وبايعوا من بعده الرضي.

وعلىٰ سبيل المثال في سيطرة بعض النساء؛ ومنهنّ ام الخليفة العباسي انّهم ذكروا أن المستعين لما مات كانت في خزائن الدولة نصف مليون دينار، في الوقت نفسه كانت في خزائن ام المستعين مليون دينار كاملة.

وهكذا كانت ام المعتز في جمع الأموال وابتزازها من الناس ومن بعض الكتّاب والوزراء، إذ نقلت كتب السيرة ان قوّاد الترك طلبوا من ابنها المعتز قبل قتله خمسين ألف دينار، فلم يجدها في خزائن الدولة، ففزع إليها يطلب منها أن تقرضه هذا المبلغ، حتىٰ يفدي نفسه به من القتل فأنكرت أن يكون عندها مال، وخُلع ابنها وقتل بعد أيام. ولما سيطر القائد صالح بن وصيف وكان حاجباً للخليفة ـ صادر أموال أم المعتز بعد أن ملأه العجب حيث وجد في خِزانةٍ لها مليون دينار من الذهب غير المجوهرات التي قدّرت بمليوني دينار.

ولمّا رأىٰ وصيف ذلك المال قال: قبّحها الله. عرّضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار يدفعها رواتب للجيش وعندها هذا كلّه في خزانة واحدة من خزائنها.

وهكذا أُم المقتدر واسمها (شغب) فقد كانت علىٰ جانب عظيم من الثراء والتدخل في سياسة الدولة وأمور القضاة والفقهاء و....

خامساً: نشوب الثورات

من المظاهر التي تطالع الباحث والكاتب الذي يَدرسُ سِماتِ هذا العصر هو كثرة الثورات في ارجاء الدولة العباسية والدمار والخراب الذي شمل أغلب الأمصار التي نأت عن مركز الحكومة بغداد وأغلب تلك الثورات كانت تطالب بالاصلاح الادارى والاقتصادي، وشخص الخليفة كان يُمنيهم ويعدهم

بالاصلاح، أمّا السلطة فلم تكن كذلك، ولم تكن جادة في الإصلاح والعمران وانما كان همّها الترف والبذخ واقتناء الجواري والغلمان وعقد مجالس الطرب والغناء وأنت خبير فيما يحصل في تلك المجالس من شراب وفسق وفجور، وكان علىٰ رأس هذا الفساد هو الحاكم العباسي ثم الوزراء والأمراء والقوّاد. هكذا كانت حياة اولئك القادة الذين تحكّموا في رقاب الناس، في الوقت الذي يأمل بعض الرعية أن يحصل علىٰ رغيف من الخبز حتىٰ يسد رمق حياته من الجوع فلم يحصل عليه، لذا تجمّع المحرمون وأصحاب الحوائج، وهكذا من لحقه ظلم أو حيف من السلطة، تجمّع هؤلاء حول أهل البيت والبيوتات الشاخصة في الحسب والنسب الرفيع.

ولو أردنا أن نحصي الثورات التي اندلعت في العصر العباسي لوجدناها كثيرة جداً ولكن سنقف علىٰ اهمّها:

أوّلاً: ثورة عبد العزيز الجروي في مصر سنة ٢٠٠ هـ. حيث واجه السري ابن الحكم الزّطي أمير مصر واقتتاله معه في حرب طاحنة.

ثانياً: قيام محمد بن محمد العلوي ودخول أبي السرايا مع جنده في طاعة ابن طباطبا العلوي؛ محمد بن ابراهيم.

ثالثاً: ثورة محمد الديباج ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في زمن اختلاف الأمين والمأمون.

رابعاً: ثورة بابك الخرّمي سنة ٢٠٥ هـ وقد امدّه ملك الروم بالمال والسلاح، وفي سنة ٢١٨ هـ يجتمع خلق كثير حول الخرّميّه وتندلع ثورتهم العارمة فتمتد من الجبال إلىٰ همدان واصبهان وماسبذان وارمينية ويعظم خطرهم، وتهتزّ البلدان الايرانية بعد وفاة المأمون فيخرجون عن طاعة

أخيه المعتصم.

خامساً: ثورة نصر بن شيث العقيلي سنة ٢٠٦ هـ في كيسوم شمال حلب وامتد نفوذه إلىٰ غرب الفرات ثم إلىٰ شرقه.

سادساً: ثورة أهل قم علىٰ المأمون سنة ٢١٠ هـ بسبب ثقل الخراج، فتحاصر المدينة ويهدم سورها ويفرض علىٰ أهلها ثلاثة أضعاف ونصف الضعف مما كان يجبىٰ منهم سابقاً.

سابعاً: الإضطرابات والفتن بسبب قيام (الزّط) في جَنوب العراق وقد عطّلت في حينها جميع المواصلات بين البصرة وبغداد واستمرت هذه الفتن لسنوات عديدة حتىٰ خلافة المعتصم.

ثامناً: ثورة عبيد الله بن السري سنة ٢١١ هـ في مصر وقد أخمدها القائد عبد الله بن طاهر بجنودٍ خراسانية.

تاسعاً: وفي سنة ٢١١ هـ يثور احمد بن محمد العمري المعروف بأحمر العين في اليمن ويعلن حربه علىٰ المأمون.

عاشراً: وفي سنة ٢١٢ هـ يحتل أهل (الرّبض) من الاسكندرية مدينة كريت ويأمّرون عليهم أبا حفص عمر البلّوطي ويؤسس فيها قاعدة كبيرة ويحصّن المدينة بخندق ضخم.

الحادي عشر: ثورة عبدوس الفهري سنة ٢١٦ هـ في مصر وآزره في الثورة جماعة كبيرة من المزارعين في دلتا النيل.

الثاني عشر: ثورات العلويين وهي كثيرة تقدّم بعضها ومنها:

أ: ثورة أبناء الحسن المثنىٰ.

ب: ثورة يحيىٰ بن عمر حفيد زيد بن علي سنة ٢٤٨ هـ.

ج: ثورة الحسن بن زيد في طبرستان سنة ٢٥٠ هـ.

الثالث عشر: ثورة الزنج ٢٥٥ ـ ٢٧٠ هـ.

الرابع عشر: ثورة القرامطة ومؤسسها عبد الله بن ميمون القداح، فارسي الأصل، بدأ بالدعوة لحركته بالأهواز ووافقه على ذلك حسين الأهوازي ثم انتقل إلى بلدةٍ بالقرب من اللاذقية في الشام اسمها (السلمية) ومن هناك أرسل الأهوازي إلى الكوفة ليدعو إلى هذه الحركة الجديدة، وقد التقى (حسين الأهوازي) بحمدان قرمط الذي أصبح فيما بعد قائد هذه الحركة، وقد قويت شوكته في بداية القرن الرابع الهجري، ووصلت دعوته إلى اليمن والبحرين والشام والاحساء والعراق، وهدّد بنفوذه مركز الخلافة العباسية وحاكمها، وفي سنة ٣١٧ هـ استطاع أن يغير على مكة ويرعب الحجّاج ويقتل منهم أكثر من عشرة آلاف زائر من زوّار وحجّاج بيت الله الحرام، وقد استمرّت ثورته إلى أن جاء البويهيّون وسيطروا على بغداد.

الخامس عشر: هجمات الروم على ثغور الدولة الإسلامية، وتدميرهم انطاكية سنة ٢١٥ هـ واستمرت هجماتهم لفترة طويلة وبالخصوص الفترة التي حكمها المتوكل فكانت هجمات الروم البيزنطيين متواصلة، بل استطاعوا في سنة ٢٣٩ هـ أن يحتلوا مدينة دمياط وينهبوا أموالها، وهكذا اغار البيزنطيّون على شمال الدولة من جهتي الموصل والشام.

السادس عشر: ثورة عاصفة في سنة ٢٣٤ هـ يقودها محمد بن البعيث في آذربيجان وتحصّنه بقلعة (مرند) وفي نفس السنة قيام ثورة عمر بن سليم التجيبي في أفريقيا.

السابع عشر: ثورة الخوارج البربر من الإباضية في طرابلس سنة ٢٤٥ هـ

وقد هزموا عبد الله بن محمد أميرها وهكذا تمتد ثورة الخوارج إلىٰ شمال أفريقيا. وفي سنة ٢٤٧ هـ يستقل عمر بن عبد العزيز الهبّاري بالسند ويؤسس فيها الدولة الهبّارية.

الثامن عشر: أغار الروم في سنة ٢٤٧ هـ علىٰ دمياط من أعمال مصر وفتكوا باهلها واحرقوا الدور والضياع وغزوا كليكيا وقتلوا أهلها ولم ينجُ منهم إلّا من اعتنق النصرانيّة. وتكررت هجمات الروم في سنة ٢٤٩ هـ. وفيها قتلوا عمر بن عبد الله الاقطع أمير ملطية مع جماعة كبيرة من الجند، وهكذا تجتاح القطعات العسكرية الرومية بلاد المسلمين حتىٰ دخلوا الثغور الشرقية وبها قتلوا علي بن يحيىٰ الارمني، أمير أرمينيه ....

التاسع عشر: ثورة عارمة سنة ٣٣٧ هـ يقودها يعقوب بن الليث الصفّار.

العشرون: ثورة اسحاق بن اسماعيل بن شعيب عامل تفليس في سنة ٣٣٨ هـ، قام بها علىٰ يوسف بن محمد المروزي والي ارمينية من قبل المتوكل.

وهناك ثورات عديدة أخرىٰ اهملنا ذكرها خوف الإطالة.

حالة الترف في العصر العباسي

بلغ الإسراف عند ملوك بني العباس ذِروَتَه العُليا واقتفىٰ أثرهم الوزراء والكتّاب والقوّاد. يقول الصابي: «إنّ نفقة ذلك كله وما يجري مجراه مما يلزم الدار كان يبلغ أكثر من مليونين وخمسمائة ألف دينار سنوياً».

اما الخدم والغلمان فبلغ عددهم عدّة آلاف حتىٰ نُقل انه كان في دار المكتفي العباسي عشرون ألفاً من الغلمان وعشرة آلاف خادم.

ويبلغ الإسراف والبذخ حدّه الجنوني في أيام المتوكّل، وقد نقلوا أن النفقات لم تبلغ في عصر من عصور الخلفاء ما بلغته في عصره، وخاصة في بناء القصور، وقد ذكروا ان القصر الذي بناه شمالي سامراء في مدينة الجعفرية أو المتوكّلية قد أنفق عليه ١٣ مليوناً ونصف المليون ديناراً ذهباً وقد أحدث فيها البناء الموسوم باسم البناء الحيري، وكان يُجعل فيه دون القصر ثلاثة أبواب عظام، وكان في الرواق مجلس الخليفة وأمامه بيتان بهما خواصه. وعلىٰ اليمين خزانة الكسوة وعلىٰ اليسار ما يحتاج إليه من الشراب، وكان كلما بنىٰ قصراً أتبعه بآخر حتىٰ بلغت قصورهُ نحو العشرين.

ثم ان هذه القصور قد اثقلت خزانة الدولة وهكذا اثقلت كاهل المسلمين حيث ان الاسراف والبذخ إنما كان يُستقطع من بيت المال ومن الضرائب ومن الامور الحسبية وهذا يعني ان المصدر الأساسي لتأمين مصارف ومخارج تلك القصور هم الناس أصحاب الحرف والمهن والتّجار وأهل الصنعة والزّراع و...

نعم ان قصور الخلفاء والأمراء والوزراء قد كلّفت الملايين من أموال الرعية والدولة.

هذا (عمر بن فرج الرُّخَّجِي) أحد كبار متولي الدولة لما غضب عليه المتوكل وعزله من عمله، صادر كل أمواله، وقد حمل من داره من الفرش والامتعة ما بلغ حمله خمسين بعيراً!!

وأما حفلات اللهو والمسامرة والشراب فالبذخ الذي ترويه كتب التاريخ مما يصل إلىٰ حد الخيال والاسطورة، فقد ذكروا ان حفلة ختان المعتز بن المتوكل كانت أشبه بحلم اسطوري، وان الدنانير كانت تنثر علىٰ الجواري والقيان وخدم القصر والحاشية حتىٰ ذكروا أن ما انفقه المتوكل في ختان المعتز كان ٨٦ مليون درهم.

ثم وصل البذخ واللعب بأموال المسلمين ونهب أموال الدولة وصرفها علىٰ الجواري إلىٰ مرحلة قد لا يعقلها إنسان لبيب، فالجواري ونساء تلك القصور كنّ يبالغن في مظهرهنّ الخارجي ويتفنّنّ في زينتهنّ واناقتهن، فهنّ لا يلبسنّ إلّا الغالي والنّفيس من الثياب كالحرير والإستبرق والسندس والديباج وهكذا بالنسبة إلىٰ المجوهرات والحلي الثمينة والنادرة فهي من مختصّاتهنّ.

ومما يروىٰ في هذا الباب أن ام المعتز واسمها (قبيحة) كان عندها ثلاثة اسفاط: سَفَطٌ مملوء زمرداً، وسفط مملوء ياقوتاً، وسفط مملوء دُراً كبيراً. وقُوّمت الأسفاط فبلغت قيمتها مليونين من الدنانير.

ولا يغيب عن البال، ان في هذا العصر كثرت مجالس الشراب واللهو والفساد والقمار، فالخليفة المعتمد كانت له مجالس الشراب والغناء شبيهة بمجالس المعتز العباسي وأبيه المتوكل وان لعبة الشطرنج والنرد انتشرت في

زمنه أكثر من غيره.

وأما الرقيق والغلمان والجواري فكانت تعقد لهم أسواق في بغداد وتعرض فيه نماذج من الرقيق والجواري من أصول سندية وزنجية وحبشية وتركية ورومية وفارسية وأفريقية وصقلبية وصينية وخراسانية وارمنية وگرجية وبربرية وغير ذلك من أصول أخرىٰ.

الحالة العقلية في العصر العباسي
ومسألة خلق القرآن

لقد كان الإهتمام بالجانب العلمي والعقلي منحصراً في نصف قرن من عمر الدولة العباسيّة، وهي الفترة التي حكم بها المنصور والرشيد والمأمون، خلالها ترجمت كتب اليونان والرومان والفرس والهنود من اللغات الأجنبية إلىٰ اللغة العربية، غير أن دور العلم أخذ ينحسر تدريجيّاً بعد التنكيل بالعلويين والفتك بالعلماء والفقهاء والتضيق علىٰ الائمة الهداة ومن شايعهم، ثم الصراع الفكري والمذهبي الذي تطاول فيه كل من المعتزلة والأشاعرة، ثم فتنة الحنابلة في بلاد الري وبغداد ومدن كثيرة من البلاد الإسلاميّة كل ذلك عصفت بالعلم ورجاله، فابرز الاحداث التي تلبّست باطار عقائدي هي فكرة خلق القرآن التي بدأها المأمون.

في سنة ٢١٧ هـ يأمر المأمون العباسي قوّاده ووزراءه أن يمتحنوا علماء الأمصار في موضوع خلق القرآن، بل وقد حَمَل الفقهاء والمحدّثين علىٰ الإيمان بخلقه؛ فقد أمر نائبه ببغداد اسحاق بن إبراهيم المصعبي أن يجبر العلماء علىٰ القول بخلق القرآن، وقد نجح نائبه في حمل الفقهاء علىٰ ذلك إلّا أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح فقد إمتنعا من القول به، مما أرسلا مقيّدين إلىٰ المأمون وهو في الشام عند استرجاعه لطرطوس.

وفي مصر نرىٰ الأمر يتكرر، فالوالي نصر بن عبد الملك الصفدي الملقب

(كيدر) يأمره المأمون أيضاً في امتحان العلماء والفقهاء في مسألة خلق القرآن بل ويجبرهم على القول به وما كادَ حكم المأمون العباسي ينتهي بوفاته حتى يأتي المعتصم فيقتفي خطى أخيه في المسألة، وقد ابتلي بهذا الإمتحان فقهاء الأمصار، ومنهم أحمد بن حنبل إذ تعرّض للضرب المبرح والجلد القاسي حتى أثّر الجلد في بدنه وتهرّى منه لحمه، وأخذ يخبط في عقله، وبعدها أمر به فقيّد مكتوفاً وأُلقي في الحبس هكذا.

وممن اصابه الضيم في محنة خلق القرآن: الحارث بن مسكين بن محمد الأموي ومحمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي الذي ينتهي نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان، إذ حمل من مصر إلى العراق مع الفقيه البويطي مقيّدين بعدما سُئلا عن القرآن أهو مخلوق؟ فلم يجيبا، فحبسا بسامرّاء، وماتا فيها مسجونين.

وفي عهد الواثق تشتد المحنة على العلماء، ففي سنة ٢٣١ هـ يمتحن العلماء والاسرى الذين خاضوا الحرب مع الروم في وقعة طرسوس، وكان عددهم ٤٦٠٠ أسيراً و ٦٠٠ من النساء و ١٠ من الاولاد الصغار، وفيها يقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي بسبب امتناعه عن القول بخلق القرآن.

الحياة الإجتماعية في العصر العباسي

هناك مظاهر عديدة اصرّت عليها السياسة العبّاسية فجعلتها جزءاً من معالم الدولة، ومن حياة الناس اجتماعياً وفكريّاً، ونحن قبل ان ندخل في هذا البحث، ينبغي ان نتطرق إلى الحياة العامة في المجتمع الإسلامي والمظاهر البارزة فيه اثناء الحكم الاموي.

ينقسم المجتمع الإسلامي في القرن الاول الهجري إلى بيئات متعددة، منها: بيئة الحجاز، ونجد والعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد العجم.

غير اننا لم نتحسّس معالم الحضارة والتطور الفكري والاجتماعي والادبي في جميع هذه البيئات، وانما نلمس تلك الآثار الجديدة في كل من بيئة الحجاز والعراق والشام، وربما كان السبب واضحاً وجلياً للباحث في أدب تلك الفترة؛ هو انّ الترف وحياة الرخاء التي اصابت تلك البلدان جعلتها ترفل بالنعيم وتصبو إلى اللهو، كما ان الامويين اغدقوا على الصحابة وابنائهم من التابعين وابناء التابعين بالاموال والهبات حتىٰ اثروا، إلى حد انه اخذهم البطر والتعسف.

وهذه سياسة اتبعها الامويّون كي يصرفوا ابناء المهاجرين والانصار عن السياسة وأمور الخلافة.

إذاً ليس عجيباً إذا انصرف شباب مكة والمدينة إلى اللهو والغناء والطرب.

وفي ذلك قال ابن خلدون:

لما جاءهم الترف، وغلب عليهم الرّفه، بما حصل لهم من غنائم الأمم

صاروا إلى نضارة العيش، ورفه الحاشية واستحلاء الفراغ، واقتراق المغنّين من الفرس والروم، فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موالي للعرب، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير،... ثم قال: وظهر بالمدينة نشيط الفارسي، وُطويس، وسائب وحائر....

هكذا راج الغِناء في الحجاز بينما كان العراقيون في اوّل أمرهم يبغضونه وينفرون منه، ثم اصبحوا بعد ذلك صدىً لأهل الحجاز. والسبب في ذلك بيّن؛ إذ ان العراق كان موطن الجدّ والمثابرة والعلم طوال القرن الاوّل الهجري، وشطراً كبيراً من القرن الثاني، وما هذا الجد إلّا بسبب تمركز المعارضة السياسية فيه، ونشوء احزاب دينية وسياسية ومذاهب فقهية في كل من البصرة والكوفة.

اما الآراء والعقائد الفلسفية فقد راجت في أوساط المعتزلة والاشاعرة والمرجئة والجبرية والقدرية بشكل واضح، إضافة إلى هذا فقد اهتم العراقيّون بتدوين الحديث وترجمة كتب المنطق والفلسفة والرياضيات والطب والحكمة، كما لا يخفىٰ مدىٰ اهتمامهم بتدوين علم النحو والصرف والبلاغة والنقد وأخبار العرب وايّامهم ثم بالغوا في جمع الشعر والنصوص النثرية.

ثم لا ننسىٰ ما للعراقيّين من مثابرة واندفاع خالص في نشر التعاليم الإسلامية في شرق البلاد وغربها، كما حملوا راية البحث والمناظرة والجدل في المسائل الفقهية والكلامية والادبية.

وخلاصة القول أن العراق كان موطن الجد الخالص في جميع النواحي الحياتية؛ في العلم والدين والسياسة والمعرفة لكن سرعان ما تغيّرت هذه الجدّية لتحلّ محلّها الدّعة واللهو والغناء والترف المادي، وهذا ما نلحظه في بداية القرن الثاني بصورة جلية.

أقول: فما هو السبب الحقيقي في هذا التحول في بيئة العراق ؟

إنّ الغزل والغناء كما عرفت راج وتطوّر في الحجاز؛ في بيئتين. الأولىٰ بيئة مكة وهي بيئة محافظة، والشعر الغزلي فيها هو أقرب إلىٰ المحافظة لكون وجود قبائل عربية محافظة علىٰ رأسها قريش، ولأن مكة مهد الشريعة الإسلامية وفيها نزل القرآن الكريم وظهرت النبوة وكانت أسرة النبي ﷺ فيها لذا ما كان يجرأ الشاعر في أن يخرج عن الحدود الدينيّة وذلك لمنزلة مكة المكرمة بين المسلمين الأوائل.

ويمثّل هذا الجانب بصورة دقيقة الشاعر عمر بن أبي ربيعة، فشعره أقرب إلىٰ المحافظة من بيئة المدينة المنورة، ومعاني الشعر عنده تدنو إلىٰ الإحتياط دنواً كبيراً، فهو إن كان يتغزل فإنما غزله بنساء قريش فحسب، والبيئة القرشية بيئة محافظة.

امّا الشعر في المدينة المنوّرة فهو علىٰ العكس تماماً من الشعر في مكة المكرمة إذ كانت في المدينة مجالس اللهو ومجالس الغناء، ثم كثرة الأموال، وايفاد الشعراء علىٰ الأمراء والحكام من ابناء هذه المدينة وهكذا هجرة كبار الأنصار واشراف الناس وكبار الصحابة في قريش وغيرهم من المدينة، إلى بلدان أخرىٰ تاركين وراءهم طبقة الجيل الجديد من التابعين وأبناء التابعين، ونشوء الترف في أوساط هذا الجيل، ثم ابتعادهم عن مركز الخلافة الإسلامية كل ذلك كان له الأثر الكبير في ابتعاد أبناء المدينة عن السياسة وإرتمائهم في اللهو وقول الشعر، وجنوحهم إلىٰ الحرية الشخصيّة.

وقد دخلت الخمرة والمجون في بيوت كبار الصحابة فهذا عبد الرحمن

الأصغر ابن الخليفة عمر بن الخطاب لشربه الخمرة جهراً قُدّم للحد فحُد[١].

ولو سألت كيف حدث هذا التغير في طبيعة ابناء المدينة ؟

أقول : جوابه وبدون أي ترديد هو موقف الأمويين وأسلوبهم الخبيث اتجاه ابناء المهاجرين والأنصار بل اتجاه الإسلام بصورة أدق فهذا أبو سفيان ألم يقل بعد وفاة النبي ﷺ ... وهو يخاطب القبر الشريف ... قم يا محمّد وانظر إنّ الملك الذي كنّا نتنازع عليه فهو الآن بأيدي صبياننا ... ثم يقول تلاقفوها يا بني اميّة تلاقف الكرة بيد الصبيان فو الذي يحلف به أبوسفيان فلا من جنة ولا من نار ...

واما شربهم للخمر والتهتك ، بل وكفرهم الصريح فهذا ما سجّله شعرهم لنا . من ذلك قول يزيد بن معاوية لما حقّق ارادته في قتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام قال :

أقول لصحب ضمّت الكأس شملهم ... وداعي صبايات الهوىٰ يترنّمُ

خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكلُّ وإن طال المدىٰ ، يتصرّم

وكذا قال وإلىٰ جنبه عبيد الله بن زياد :

اسقني شربة تُروّي مُشاشي ... ثم صِل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السرّ والامانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر يزيد المغنّين فغنّوا به .

قال المسعودي : وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق ، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الخمر وكان ليزيد قردٌ يكنّىٰ بأبي قبيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له

---

١ ـ مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٣٢١ .

متّكأ، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشية[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصدوق روىٰ عن مشايخ بني هاشم وعن غيرهم من الناس أنّه لما أُدخل علي بن الحسين صلوات الله عليه وحريمه علىٰ يزيد لعنه الله جيء برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده وهو يقول:

ليت أشاخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

فجزيناهم ببدر مثلها ... وأقمنا مثل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمدَ ما كان فعل

الأبيات هي لإبن الزَّبعرى وقد ذكرها ابن هِشام في سيرته فيما قيل من الشعر يوم أحد وهي ستة عشر بيتاً. وقد استشهد يزيد بن معاوية بهذه الأبيات التي ذكرناها. وانّ كفر يزيد يتأكّد في تمثّله بشعر عبد الله بن الزبعرى وبالخصوص البيت الرابع.

وهناك أبيات شعريّة كثيرة قد انشدها يزيد بن معاوية تدلّ علىٰ كفره وقد أعرضنا عن ذكرها تحرّياً للإختصار ومن أراد فليراجع في مظانها.

وأوضح صورة عن ملوك الأمويين وتلاعبهم في الدين والقيم والأحكام والمقدّسات قول الشاعر عبد الله بن همّام السلومي:

فإن تأتوا برملةَ أو بهند ... نبايعها أميرةَ مؤمنينا

إذا ما مات كِسرىٰ قام كِسرىٰ ... نعد ثلاثة متنا سقينا

فيا لهفاً لو أن لنا ألوفاً ... ولكن لا نعود كما عنينا

---

١ ـ مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٧.

إذاً لـضُرِبتُموا حـتىٰ تـعودوا بـمكة تـلعقون بـها الـسخينا
حشينا الغيظ حتىٰ لو شـربنا دمـاء بـني أمـية مـا رويـنا
لقـد ضـاعت رعـيتكم وأنـتم تَـصيدون الأرانب غـافلينا

ومن مظاهر الكفر والالحاد والفسوق قول الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، والي عثمان بن عفان علىٰ الكوفة. إذ خطب الوليد بالناس بعد صلاة الصبح وقد صلّاها وهو سكران ثملٌ، فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنّح وقد انشد أبياتاً لتأبّط شرّاً:

ولست بـعيداً عـن مُـدام وقَـينةٍ ولا بـصفا صـلد عـن الخـير مـعزل
ولكـنني أروي فـي الخـمر هـامتي وأمشي الملا بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الشاعر المخضرم الحُطَيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه أن الوليـد أحـقُّ بـالعذر
نـادىٰ وقـد تـمت صـلاتهم أأزيدكم؟ ثـملاً ومـا يـدري
ليزيدهم أخـرىٰ، ولو قـبلوا لقـرنت بـين الشـفع والوتـر

وفي قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك صاحب الشراب واللهو والطـرب وصف للشراب لا يضاهيه أحد:

وصفراء في الكأس كالزّعفران سباها لنا التجر من عَسـقلان
تـريك القـذاة وعـرض الإنـا ء سـترُ لهـا دون مسّ البَـنان
لهـا حَـبَبُ كـلما صُـفِّقت تـراهـا كـلمعة بـرق يـماني

ومن شعره أيضاً يخاطب ساقيه:

اسقني يا يزيد بالقرقاره قد طربنا وحنّتِ الزَّمّاره
اسقني اسقني فإن ذنـوبي قد احاطت فما لها كفّاره

ولكثرة شرابه كان الوليد يُدعى خليع بني مروان، أمّا كفره فلا يختلف فيه اثنان، من ذلك انّه استفتح بالقرآن فخرجت هذه الآية:

(واستفتحوا وخاب كلّ جبارٍ عنيد، من ورائِه جهنّمُ ويُسقىٰ من ماءٍ صديد). فدعا بالمُصحف فنصبه غرضاً للنشّاب، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعِدُ كلَّ جبّار عنيدٍ فها أنا ذاك جبار عنيدُ

إذا ما جئت ربك يوم حَشرٍ فقل يا رب خَرَّقني الوليد

ومما يؤكد كفره انكاره الوحي النازل علىٰ النبي محمد ﷺ قال:

تلعَّب بالخِلافة هاشمي بلا وَحيٍ أتاه ولا كِتابِ

فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي

ولو تخطّينا تفاصيل حياة بني أميّة ومجونهم وهكذا حياة الناس اللاهية، وانتقلنا إلى الحياة الاجتماعية في عصر بني العباس لوجدنا المصيبة أكبر وسقوط الناس في عالم الرذيلة والشرور في هذا العصر أكثر مما سبق.

وكما قيل: الناس على دين ملوكهم، فهؤلاء خلفاءُ بني العبّاس فتحوا باب اللهو والغناء والطرب والمجون والفساد على مصراعيه، فاكثروا من شراء الجواري واستهوتهم أصوات المغنيين والمغنّيات، وتسابقوا في اقتراف المحرمات، حتى ضجّت بغداد بحوانيت الخمور، ومجالس الشراب، واماكن الدَّعارة، ومحافل لعب القمار، واندية الرقص والغِناء...

ونظرة واحدة في كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني تكفيك وتخبرك عمّا كان يجري في قصور الملوك والامراء والوزراء والقضاة والقواد...

فهناك آلاف من الجواري والغلمان تعجّ بهم قصور الخلفاء وقصور مريديهم، وهناك المئات من الحوانيت لبيع الخمور والشراب، وهناك العشرات

من الاسواق لبيع الجواري الحسناوات والرقيق والمُرد من الغلمان، وإذا عددت المغنيين والمغنّيات فيعجز القلم من عدّهم، وقد اشتهر من بين اولئك: ابراهيم بن المهدي المغني ويكنىٰ بـ(أبي اسحاق) ويعرف بابن شكلة، وهو أخو هارون الرشيد، وقد بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين والمأمون يومئذ بخراسان، وكانت مدة خلافته سنتين. ولمّا توجه المأمون إلى بغداد خاف ابراهيم على نفسه فاستخفىٰ، ثم خلع نفسه من الخلافة وبايع المأمون.

كانت لابن شكلة اليد الطولىٰ في الغِناء والطرب والضرب بالملاهي وحسن المنادمة، ولمّا استخفىٰ قال فيه دعبل الخزاعي:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله ... فهفا إليه كل أطلس مائق

إن كان ابراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده لمُخارق

ولتصلحن من بعد ذاك لزُلزُل ... فلتصلحن من بعده للمارق

انّىٰ يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق

(مُخارق) و (زُلزُل) و (المارق) هؤلاء الثلاثة كانوا من أشهر المغنيين في ذلك العصر بعد ابراهيمَ المَوصلي وابنه اسحاق، وكان هذا الأخير يعرف بابن النديم الموصلي؛ اشتهر بالغناء والخلاعة وكان من ندماء الخلفاء ومن شعره ما كتبه إلى هارون الرشيد:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إلى ما تأمرين سبيل

أرىٰ الناس خلان الجواد ولا أرىٰ ... بخيلاً له في العالمين خليل

وإني رأيت البخل يزري بأهله ... فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

لقد استعان بنو العباس في تخدير الناس وصرفهم عن الخلافة باللهو والشراب والغناء، وكانت قصورهم مركزاً للفسق والفجور والعربدة كما انها كانت

مركزاً للغناء والمغنّيين وشعراء الغزل والغرام، ولو أجلت النظر في صفحات كتاب الاغاني لاطّلعت على مئات من القصص والاخبار التي جرت على ألسنة المغنّيين في سلك من الشعر المبتذل الساقط والكلام المرذول نسجه الشعراء في غرّامياتهم...

هكذا سرت العدوىٰ من قصور الخلفاء والامراء إلى بيوت الناس العاديّين في كل مصر وبلد.

حتى اصبح الخليفة يقهر الناس والشعراء على الغزل والغراميات ويتهددهم، وفي ذلك روىٰ أبو الفرج بسنده عن أحمد بن خلّاد قال حدّثني أبي قال:

لمّا مات موسىٰ الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية قُلْ شعراً في الغزل، فقال: لا أقول شعراً بعد موسىٰ أبداً، فحبسه، وامر ابراهيم المَوصلي أن يغنّي، فقال: لا أُغنّي بعد موسىٰ أبداً، وكان مُحسناً اليهما، فحبسه. فلمّا شخص إلى الرّقة حفر لهما حفيرة واسعة وقطع بينهما بحائطٍ، وقال: كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعر أنت ويُغنّي هذا. فصبرا على ذلك بُرهةً، وكان الرشيد يشرب ذات يوم وجعفر بن يحيىٰ معه، فغنّت جارية صوتا فاستحسناه وطرِبا عليه طرباً شديداً، وكان بيتاً واحداً. فقال الرشيد ما كان أحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطول الغِناءُ فيه فنستمتع مدّةً طويلة به! فقال له جعفر: قد أصبته. قال: من أين؟

قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقُدرته على الشعر وسرعته.

قال: هو أنكر في ذلك، لا يجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطرب.

قال: بلى! فاكتب إليه حتى تعلم صحّة ما قلتُ لك. فكتب إليه بالقصّة وقال: ألحِق لنا بالبيت بيتاً ثانياً، فكتب إليه أبو العتاهية:

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ فارقَ الرّوح وأخلىٰ من بدن
ولقد كُلِّفتُ أمراً عجباً اسألُ التفريحَ من بيت الحَزَن

فلمّا وصلت قال الرشيد: قد عرّفتك أنه لا يفعل.

قال: فتخرجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعر، فقد حلفتُ. فأقام اياماً لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لابراهيم: إلىٰ كم هذا نُلاجُّ الخلفاء! هَلُمَّ أقُلْ شعراً وتُغنِّ فيه. فقال أبو العتاهية:

بأبي مَنْ كان في قلبي له مرّةً حُبُّ قليلُ فشُرق
يا بني العبّاس فيكم مَلِكُ شُعبُ الإحسان منه تفترق
إنّما هارون خيرُ كلّه مات كلّ الشرّ مُذ يوم خُلِق

وغنّى فيه ابراهيم الموصلي، فاعطىٰ الرشيد مائة ألف درهم ومائة ثوب لكل واحد منهما.

ولم يكن الرشيد وحيداً في هذا الميدان بل سائر خلفاء بني العباس ووزرائهم وامرائهم على هذه الوتيرة من السقوط والتدنّي، فهم أهل شراب وطرب وغناء، وقد سرد لنا الاصبهاني في كتابه اخبارهم، وكشف الكثير من اسرارهم، ويغنيك كتابه الاغاني عن بقية المصادر فراجع.

ومن اشهر المغنيين في العصر العباسي والذين عرفهم العامة والخاصة هم: عريب، وأبو دلف العجلي، وبَذل، ومعبد، وطويس، ومخارق، وزلزل، وعلّويه، وابن شريج وأبو العبيس بن حمدون، وسُليم بن سلّام، والزبير بن دحمان، وابن جامع، وحنين، وعبد الله بن العباس الربيعي، ويونس الكاتب، وزرزور وابنه القاسم، وابن طنبوره، وابن عائشة، وابن أبي قباحة و...

واما أشهر المغنّيات: عُلية بنت الخليفة المهدي وأخت هارون الرشيد،

وحَبّابه، ودنانير وعتبه جارية الخيزران أُمّ المهدي، وقلم الصالحية، ومتيّم، وسعدة، ورُبيحة والزرقاء وهذه الثلاثة من جواري ابن رامين، وبصبص جارية ابن نفيس، وذات خلخال... حتى أصبح عدد المغنّيات يربو على المئات في بغداد وحدها، وقد ذكر أبو الفرج وغيره من المؤرّخين أن ابراهيم المَوصلي كانت عنده ثمانون جارية يعلّمهنّ الغِناء.

وهكذا كان ولده اسحاق الموصلي يتعهّد تعليم الجواري والفتيات الالحان والاغاني والضرب على آلات الموسيقى.

بل ذكر عدة مؤرّخين ان الشعراء كانوا يزورون المغنّيات في بيوتهن ليستمتعون بغنائهن واحاديثهن، وبعض المغنّيات كنّ يأتين بيوت الناس أو يقصدن بيوت الشعراء فيتجاذبون الاحاديث والمسامرة، ويحيون الليالي بالسهر والشراب والعربدة. وقد اصبحت الجواري المغنيات كباقي السلع والامتعة تستأجر كعارية لبعض الذوات وفي مناسبات، وربما مكثت احداهن اليوم واليومين لغرض الاستمتاع بمفاتن جسدها وجميل صوتها.

وعليه ان دواعي اللهو والغزل قد تعددت، الى جانب هذا الغزل ضعف أثر الدين في النفوس، وأقبل الناس على مُتع الحياة والبذخ في لهوهم ولعبهم، وقد شاع بينهم الشراب والغناء والفسق والفجور، وتطاول البعض من الشعراء والمغنّيين فتجاوز حدود التقليد في الغزل حتى اغرق في الفحش والبذاءة إلى حد الشذوذ. وهذا يدلل على ان المجتمع ارتمى في الرذيلة، وفقد صوابه وعفّته، وأخذ يمارس شذوذه الجنسي.

وقد أشرنا إلى بعض الاسباب التي ادّت بالمجتمع إلى هذه الحالة المتدنّية، فذكرنا في الجملة ان الملوك والامراء هم السبب الاوّل في انتشار هذا اللون من

الفساد، وكما قلنا ان الناس على دين ملوكهم، ثم الخمرة وانواع الشراب المستحضر عند المجوس واليهود والنصارى وتفشّيها في المجتمع آنذاك كان لها الاثر البالغ في انحراف الناس. وفي ذاك يقول الاستاذ محمود غنّاوي:

«... ان الشراب والغناء في هذا العصر كانا يُرضيان ميولاً روحية تتصل بالماضي، وحاجات نفسية تتصل بالحاضر فلا عجب بعد ذلك إذا ما تقبّلهما المجتمع قبولاً حسَناً فانهمك الناس فيها انهماكاً شديداً، ولا عجب أيضاً إذا ما اندفع الادباء تحت تأثير هذا التيار الجارف واستجابوا لرغباتهم الخاصة، ولرغبات ممدوحيهم وأهل عصرهم عموماً، فاكثروا من وصف الخمر والغناء ووصف مجالسهما والآتهما، وجاهروا بالدّعوة إلى ممارستها في شيء كثير جداً من الحماسة، وبالغوا في هذا كلّه حتىٰ جرّهم إلى الالحاد والزندقة والاستهتار بالدين ...»[1].

هذا جانب واحد من الحياة الاجتماعية في العصر العباسي وهناك جوانب عديدة ومظاهر كثيرة اصرّت عليها السياسة العباسية لصرف الناس عن الخلافة وأمور الحكم وشؤون الدولة، ويمكن ان نشير إلى بعضها مع الاختصار، منها:

تفشّي ظاهرة اللعب بالشطرنج والنرد والصولجان، وأول خليفة عباسي مارسها وشجّع عليها هو الرشيد.

ثم ظاهرة التخنّث، والتي امتدت إلى اقصىٰ البلاد الإسلامية إذ انتقلت العدوىٰ من بغداد واطرافها إلى الشام والحجاز وفارس.

ومن الظواهر الاخرىٰ الملفتة: اتخاذ الحيوانات للتسلية والمؤانسة كالقرود والفهود والكلاب، من اولئك الرشيد إذ اتخذ له كلباً لما اتخذت زبيدة لها

---

١ ـ الادب في ظل بني بويه ص ٢٦٥.

قرداً تلاعبه وتسمر معه.

هذه وأمثالها من الظواهر التي أخذ ينوء بها المجتمع الاسلامي في زمن العباسيين انعكست على الشعر العربي آنذاك، ومن تصفّح دواوين شعراء القرن الثاني الهجري والثالث منه لعثر على عشرات القصائد.

وفي ذلك يشير أبو فِراس الحمداني في قصيدته الميميّة إلى ابراهيم ابن المهدي شيخ المغنين وإلى عُليّة أخت الرشيد:

أبلغ لديك بني العبّاس مألُكةً: لا تدَّعوا ملكها! مُلّاكُها العجمُ
أيّ المفاخرِ أمستْ في منابِرِكُمْ، وغيرُكم آمرُ فيهنّ، محتكِمُ؟
وهل يزيدُكم من مَفخرٍ عَلَمٌ، وفي الخِلافِ، عليكم يخفِقُ العَلَمُ
خلّوا الفخارَ لعلّامِينَ، إن سُئلوا يومَ السّؤالِ، وعمّالين إن علِموا
لا يغضبُونَ لغيرِ اللهِ، إنْ غَضِبوا، ولا يُضِيعونَ حُكمَ اللهِ إن حكموا
تبدو التّلاوةَ من أبياتِهِم، أبداً وَفي بُيُوتِكُمُ الأوتارُ، والنَّغَمُ
مِنكُم عُليّةُ، أم مِنهُم؟ وكان لهم شيخُ المُغنّينَ إبراهيمُ، أم لكُمُ؟[1]
ما في ديارِهِمُ للخمرِ مُعتَصرٌ؛ ولا بُيوتُهُم للسّوءِ مُغتَصمُ
ولا تَبيتُ لهم خُنثى تُنادِمُهُم، ولا يُرى لَهُمُ قِردُ لَه حَشَمُ
الرّكنُ، والبيتُ، والأستارُ مَنزِلُهُم، وزمزمُ، والصَّفا، والحِجرُ، والحَرمُ
صلّى الإلهُ عليهم، أينَما ذُكِرُوا، لأنّهُم للورى كَهفٌ، ومُعتصمُ

---

١ ـ علية بنت المهدي أخت الرشيد وأخوها إبراهيم وكان كلاهما حسن الصوت والغناء.

النظام الإداري في الدولة العباسية

أوّل من توجّه من المسلمين إلىٰ الإدارة الفارسية وتنظيم بعض الجوانب السياسية في حياة المسلمين هو عمر بن الخطاب حيث اقتدىٰ بنظام الساسانيين في تنظيم ديوان الجند والعطاء وتقسيم الأرزاق عليهم. يقول صاحب كتاب الفخري في الآداب السلطانية: لما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة وهي خلافة عمر بن الخطاب رأى أن الفتوح قد توالت، وأن كنوز الأكاسرة قد مُلكت، وأن الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت، فرأىٰ التوسيع علىٰ المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم، ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك، وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس، فلمّا رأىٰ حيرة عمر قال له: يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئاً يسمّونه ديواناً جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذّ منه شيء، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل. فتنبّه عمر وقال: صِفهُ فوصفه المَرزُبان. ففطن عمر لذلك ودوّن الدواوين وفرض العطاء[1].

وهكذا أصبحت الدواوين بأيدي مهرة من الفرس يسمّون بالدهاقين، وكانت تكتب بالفارسية حتىٰ زمن عبد الملك بن مروان فأمر بتعريبها. ثمّ توجه حكّام بني أمية إلىٰ النظم الفارسية المتَّبَعةِ عند الساسانيين، وكان معاوية بن أبي سفيان علىٰ رأس أولئك الحكّام إذْ اقتبس من النظم الفارسيّة أموراً تعد جديدة

---

١ ـ ابن الطقطقي: ص ٦٠.

في حياة المسلمين العرب من ذلك انه اتّخذ ديواناً للخاتم وديواناً للرسائل. ثم أحدث بنو العباس ديوان التوقيع والوزارة[١].

أمّا في زمن العباسيين فقد اصطبغت الإدارة العباسيّة والنظم السياسية فيها بالصبغة الفارسيّة بشكل واضح جداً وقد زاد بعضهم بأن اتخذ له حجاباً وتشريفات خاصة بحيث لا يدخل عليه من الناس والعمّال الرسميين إلّا بعد استئذان وتحقيق عن الشخص وربّما هذا التحقيق وتلك التشريفات تمنع من دخول الكثيرين علىٰ الحاكم وفي الأعم الإغلب كان الذي يتولّىٰ هذه الدواوين والتشريفات وبقية الأمور الحسبية من الاعاجم، وقد ذكرنا من قبل أنّ قيام الدعوة العباسيّة كانت علىٰ أكتاف رجالٍ من فارس وهم أبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراسانيّ، وبعد نجاح الدولة العباسية نجد أبا العباس السفاح قد اتّخذ خالد بن برمك الفارسي مشرفاً علىٰ ديوان بيت المال كما ولّاه ديوان الجند.

ثم صارت الوزارة إلىٰ ابنه يحيىٰ الذي كان والياً من قبل المنصور علىٰ اذربيجان ثم تولّىٰ الوزارة من بعد يحيىٰ ولداه جعفرٌ والفضل، وظلّت الوزارة بأيديهم سبعة عشر عاماً إلىٰ أن نكّل بهم الرشيد فقتل جعفر بن يحيىٰ ومات يحيىٰ في الحبس وبهذا ينتهي دور البرامكة ويأتي عصر المأمون فتحتل أسرة بني سهل الفارسيّة الصدارة وتتقلّد منصب الوزارة وكان أوّل من تقلّدها هو الفضل بن سهل؛ الملقّب بذي الرياستين؛ رياسة السيف والقلم.

وقد لعب وزراء هذه الدولة دوراً مهمّاً في تطبيق النظم الفارسيّة في الدولة

---

١ ـ الوزارة كلمة عربية وردت في القرآن وقد استخدمها العباسيون وكانت تعني المستشار الأول للخليفة في إدارة شؤون دولته وهي وظيفة كانت معروفة في الدولة الساسانية ومن أبرز وزرائهم (بوزرجمهر) وزير انوشيروان.

العباسيّة حتىٰ وجدنا ابن المقفع يتحمّس لهذا فيقوم بترجمة تلك النظم المعهودة عند الساسانيين. فترجم كتاب (آيين نامه) وهو كتاب في النظم والقوانين والتقاليد، كما نقل ابن المقفع في كتبه الأدبية طائفة كبيرة من وصايا الفرس في السياسة والحكم، وإنّك تجد هذه الوصايا وتلك النظم في كتبه منها: الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة.

الفصل الأوّل

السيّد الحميري

حياته الأُولىٰ

السيد الحميري

١٠٥ ـ ١٧٥هـ[١]

اسمه ونشأته:

اسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع، أبو هاشم أو أبو عامر المعروف بالسيد الحميري وكان جدّه لامّه يزيد بن ربيعة بن مفرّغ شاعراً مشهوراً، وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذّبه، ثم أطلقه معاوية.

ومفرِّغ ـ كما ذكره الاصبهاني ـ لقب ربيعة لانه راهن أن يشرب عُسَّاً من لبن فشربه حتىٰ فرَّغه فلُقّب مفرِّغاً. وكان شعَّاباً بِسَيَالة.[٢] والشعّاب مصلح الشعب وهو الصدع يكون في الاناء[٣].

---

١ ـ نقل أبو عبيد الله محمد المرزباني ت ٣٨٥. بسنده عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: حدثني من سأل العباسة بنت السيد الشاعر عن مولد أبيها فقالت ولد سنة ١٠٥ ومات في سنة ١٧٣ هـ.

أقول: والذي اثبتناه هو الصحيح لقول الشاعر عند احتضاره:

يا أهل كوفان إنّي وامقٌ لكم مُذ كنتُ طفلاً إلى السبعين والكبر

فإذا ما علمنا ان ولادته كانت عام ١٠٥ هـ فسوف تكون وفاته وفقاً لما جاء في شعره هي سنة ١٧٥ هـ. بينما ذكر صاحب لسان الميزان ان وفاة الشاعر كانت في عام ١٧٨ هـ. انظر ج ٤٣٨/١ من المصدر المذكور.

٢ ـ سيالة: أول مرحلة لاهل المدينة إذا أرادوا مكة.

٣ ـ الاغاني ٢٢٩/٧.

أما نسبته إلىٰ حمير فذلك ما صرّح به في شعره حيث قال:

إنّي امرؤُ حميريّ حينَ تَنسبني ... جَدّي رعينُ وأخوالي ذوو يزنِ

ثمَّ الولاء الّذي أرجُو النجاةَ بهِ ... يومَ القيامةِ للهادِي أبي الحسن[1]

وقال مفتخراً بحسبه امام المنصور الدوانيقي:

إني امرؤُ من حِمير أُسرتي ... بحيث تحوي سروها حميرُ

آليت لا أمدح ذا نائلٍ ... له سناءُ وله مفخرُ

وقال أيضاً في بيان أصوله اليمنيّة:

لي منزلان بِلَحج منزل وسطُ ... منها ولي منزلُ بالعُزّ من عَدَنِ

لحج: مخلاف باليمن، قال خديج بن عمرو أخو النجاشي بن عمرو يرثي أخاه النجاشي:

فمن كان يبكي هالكاً فعلىٰ فتىً ... ثوى بَلحْج وآبت رواحله

والعزّ: جبل عَدَن من اليمن فهو جنوب جزيرة العرب[2].

ولد بعُمان ونشأ بالبصرة وكانت ولادته سنة ١٠٥ هـ ولقّب بالسيد لذكائه، قال الصولي: (والسيد) لقبٌ لُقّب به لذكاء كان فيه فقيل سيكون سيداً فعلق هذا النعت به لذلك.

وروي ان الصادق عليه السلام لقيه فقال: سمّتك امّك سيّداً ووفّقت في ذلك، أنت سيّد الشعراء.

نشأ في البصرة في حضانة والديه وقد هجرهما وهو في اوّل شبابه فاتصل بالامير عقبة بن مسلم والي البصرة وتزلّف إليه حتىٰ مات والداه فورثهما.

---

١ ـ البيان والتبيين ٣/٣٦٠، ط دار الفكر بيروت.

٢ ـ مراصد الاطلاع ج ٢ مادة العزّ. و ج ٢ مادة لحج.

ثم غادر البصرة إلىٰ الكوفة وأخذ فيها الحديث عن الاعمش وتوفي في الرميلة ببغداد في خلافة الرشيد[١].

روىٰ المرزباني بسنده عن السيد الحميري قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وكأنّه في حديقة نخل وإلىٰ جانبها أرض كأنّها كافورة ليس فيها شيء، فقال لي أتدري لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول الله قال ﷺ: لامرئ القيس ابن حجر الكندي، فاقلعها واغرسها في هذه الارض التي أنا بها فجعلت أنقله إلىٰ أنْ نقلت جميعه، فجاء أبي وأنا صبيّ إلىٰ محمد بن سيرين قبل أن يموت بمدة مديدة وقال لي: يا بني اقصص عليه رؤياك ففعلته فقال: أتقول الشعر؟

فقلت لا. فقال: أما انك ستقول الشعر مثل امرىء القيس إلّا أنك تقوله في قوم طهرة أبرار. فما انصرفت من عنده إلّا وأنا أقول الشعر[٢].

شاعريته:

كان السيد يتمتّع بذهنيّة وقّادة، وذكاء حاد لا نظير له، وقد تفتّحت عنده القريحة الشعرية مبكراً.

روى المرزباني بسنده عن الحسين بن الضحاك قال: ذاكرني مروان بن أبي حفصة بعد موت السيد وأنا أحفظ الناس بشعر بشّار والسيد، فأنشدته قصيدته المذهبة التي هي:

١ـ الغدير ٢/٢٧٢.

٢ـ انظر أخبار السيد الحميري للمرزباني ص ٢١ ط النجف ١٩٦٥.

أقول: ذكر الخبر أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الإغاني ٧/٢٣٦ وفوات الوفيات ج ١ ص ١٩٠ ط دار صادر ولسان الميزان ١/٤٣٨ وروضات الجنات ص ٣٣.

أيـنَ التـطرب بـالولاءِ وبـالهوىٰ ... أإلىٰ الكـواذبِ مِـن بـروق الخـلب
أإلىٰ أُمـيّةَ أَمْ إلىٰ الشـيع التـي ... جاءَتْ علىٰ الجمل الخُدب الشوقب

حتىٰ أتىٰ علىٰ آخرها، فقال لي مروان: ما سمعت قط أكثر معاني وألخص منه وعدد ما فيه من الفصاحة ومن حسن هذه الطريقة.

وروى المرزباني عن الحكمي عن ابن المزرع عن اليشكري قال: سُئل أبو عبيدة من أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشّار. وفي رواية من أشعر المحدثين فقال: السيد الحميري وبشار. روي أن الإمام الصادق عليه السلام لمّا لقي السيد الحميري فقال: سمّتك امّك سيّداً ووفّقت في ذلك وأنت سيّد الشعراء. ثم أنشد السيد في ذلك:

وَلَـقَدْ عَـجِبتُ لقـائلٍ لِـي مـرّةً ... عـلّامةٍ فَـهِم مِـنَ الفُـقهاء
سـمّاك قـومك سـيّداً صَـدَقوا بـهِ ... أنتَ المـوفَّقُ سـيّدُ الشـعراء
مـا أنتَ حِـينَ تَـخصُّ آلَ محمدٍ ... بـالمدحِ مِـنكَ وشـاعرُ بسـواءِ
مَدَحَ الملوكَ ذوو الغنىٰ لعطائِهم ... والمَـدْحُ مِـنك لَهُم بـغير عـطاءِ
فـابشر فـإنَّكَ فـائزٌ فـي حبِّهم ... وَلَـقَد وَرَدْتَ عـليهمُ بـجزاءِ
مـا تـعدل الدنـيا جـميعاً كـلها ... من حوض أحمد شربة من ماء[1]

تطرّق إلىٰ ذكر الحميري والثناء عليه كل من الشيخ الطوسي في كتابيه الرجال والفهرست[2]، وابن شهر آشوب في معالم العلماء وعدّه من شعراء الشيعة المجاهرين[3]، والتحرير الطاووسي[4]، والوجيزه، والعلامة في الخلاصة قال

---

١ ـ اخبار السيد الحميري للمرزباني ومجالس المؤمنين للقاضي التستري ٢/٥٠٣.
٢ ـ رجال الشيخ الطوسي ص١٤٨ إذ عدّه من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وذكره في الفهرست ص ٨٢.
٣ ـ معالم العلماء للحافظ ابن شهر آشوب ص١٤٦.
٤ ـ التحرير الطاووسي ص١٣٧ الرقم ٢٠.

فيه: ثقة جليل القدر عظيم الشأن والمنزلة رحمه الله تعالىٰ[١]. وذكره الشيخ عبد النبي الكاظمي في تكملة الرجال[٢]، وقال عنه الكشّي في ترجمة يونس بن عبد الرحمن: انتهىٰ علم الامّة إلىٰ أربعة نفر أوّلهم سلمان الفارسي والثاني جابر والثالث السيد الحميري والرابع يونس بن عبد الرحمن[٣]. وفي مجالس المؤمنين أنه كان من أكابر أهل زمانه وأحرز قصب السبق في مضمار الفصاحة والبلاغة علىٰ اقرانه. وذكروا أن دفاتر ميميّاته كانت حمل بعير.

وفي طبقات ابن المعتز أنه كان للسيد أربع بنات كل واحدة منهن تحفظ اربعمائة قصيدة من قصائده ولم يترك فضيلة ولا منقبة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه إلّا نظم فيها شعراً علىٰ أن فضائله ومناقبه عليه السلام لا يحيط بها نطاق النظمْ والنثر[٤].

وفي الأغاني عن التوزي قال: رأىٰ الأصمعي جزءاً من شعر السيد فقال لمن هذا فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه فأقسم علي أن أخبره فأخبرته فقال أنشدني قصيدة منه فأنشدته قصيدة ثم أخرىٰ وهو يستزيدني ثم قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لو لا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدّمت عليه أحداً من طبقته. وفيه أيضاً: اطبع الناس بشار والسيد ـ الحميري ـ وأبو العتاهية[٥].

لقد عرفت ان أبوي السيّد كانا إباضيين وكان منزلهما بالبصرة وقد قال

---

١ ـ رجال العلامة الحلي (الخلاصة) ص ١٠ من قسم الثقات.

٢ ـ حاوي الاقوال، للشيخ عبد النبي الكاظمي ج ١/١٥٤.

٣ ـ اختيار معرفة الرجال، ترجمة يونس بن عبد الرحمان ج ٢/٧٨٠، الرقم ٩١٧ وقد ترجم له الكشي في كتابه أيضاً ٢/٥٦٩ تحت رقم ٥٠٥ و٥٠٦ و٥٠٧.

٤ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٦.

٥ ـ الاغاني لأبي الفرج ٤/٢.

السيد لأحد قرنائه ومقرّبيه: طالما سُبّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة غرفة بني ضبّة منزل أبيه. وقال اسماعيل بن الساحر راويته: كنت عنده يوماً في جناح له فأجال بصره فيه ثم قال يا اسماعيل طالما والله شتم أمير المؤمنين علي في هذا الجناح قلت ومن كان يفعل ذلك؟ قال: أبواي[١].

أقول: لا يخفىٰ ان السيد بدأ ينظم الشعر في وقت مبكر واستفدنا هذا من معرض كلامه عندما كان يحدث ابنته العباسة فقال: وكنت صبيّاً فإذا سمعتهما يثلبان علياً عليه السلام خرجت عنهما وابقى جائعاً وأوثر ذلك علىٰ الرجوع إليهما فأبيتُ في المساجد جائعاً لحبي فراقهما وبغضي اياهما فإذا اجهدني الجوع دخلت فأكلتُ ثم خرجت فلما كبرت قليلاً ابتدأت أقول الشعر فخرجت عنهما وكتبت إليهما:

خِفْ يا محمدُ فالِقَ الاصباح ... وأزِلْ فسادَ الدينِ بالإصلاحِ
أتسب صِنْوَ محمد وَوصِيَّه ... تَرْجُو بذاكَ الفوز بالإنجاحِ[٢]
هَيهاتَ قد بَعُدا عَلَيكَ وقُرْبا ... منك العذابُ وقابضُ الارواحِ
أوْصَى النبيّ لَهُ بخيرِ وصيّة ... يومَ الغَديرِ بأبْينَ الافصاحِ
مَنْ كُنتُ مَولاهُ فهذا فاعلَموا ... مولاه قول إشاعة وصراحِ
قَاضي الديونِ وَمُرشدُ لكم كما ... قَدْ كنتُ أرشد من هدىٰ وفلاحِ
اغويتَ أمّي وهيَ جَدُّ ضعيفةٍ ... فَجَرتْ بقاعِ الغيّ جَري جِماحِ[٣]

---

١ ـ أخبار السيد للمرزباني ص٢٢.

٢ ـ الصِنو: بالكسر، إذا خرج نخلتان من أصل واحد فكل واحدة منهما صنو. وقيل الصنو عام في كل فرعين يخرجان من أصل واحد. وعلى ذلك يطلق الصنو على الأخ الشقيق، والابن، والعم.

٣ ـ جمح الفرس جموحاً: ركب رأسه لا يثنيه شيء.

بـــالشتمِ للـعلمِ الإمـام وَمَـنْ له ... ارثُ النـــبيّ بأوكـــدِ الإيـــضاحِ
انـي أخـافُ عـلَيكما سـخطَ الذي ... ارسىٰ الجبالَ بِسَبْسَبٍ ضحضاحِ[1]
أبـــوي فـــاتّقيا الإله وأذعِـــنا ... للـــحقِ تـــعتصما بـحبل نـجاحِ

قال الحميري: فتواعداني بالقتل فأتيت الامير عقبة بن مسلم بن المهنا فاخبرته بما جرىٰ[2].

أقول: ويبدو ان السيد قال هذه القصيدة في أوائل العقد الثاني من عمره، وقبل ان يبلغ الحُلُم وممّا يؤكّد ذلك قصيدته العينية الغرّاء التي انشدها بعد استشهاد زيد بن علي ومطلعها «لامَّ عمرٍو باللِّوى مَرْبَعُ» ولها من الشهرة ما لايخفىٰ في ذلك العصر، وكانت شهادة زيد رحمه الله عام ١٢٢ هأو ١٢٣ هـ.

وقد مرّ عليك ان سنة ولادة الشاعر بالاتفاق كانت في ١٠٥ هـ، وهذا يعني ان نبوغ الشاعر كان في العقد الثاني، لأن العينيّة قالها وله من العمر ١٧ عاماً أو ثمانية عشر عاماً. وسنوافيك برواية فضيل بن الزبير الرسان وهكذا رواية فضيل ابن عمر الحبال كل منهما دخل ـ على انفراد ـ على الإمام الصادق يعزّيه بشهادة عمّه زيد بن علي. فجعل الإمام عليه السلام يبكي ويقول: رحم الله زيداً...

ثم قال فضيل: قلت انشدك شعر السيد؟

فقال: أمهل قليلاً، وأمر بستور فسدلت وفتحت أبواب غير الاولى ثم قال: هات ما عندك، فأنشدته:

⇒ اغويت: اغربت. كانت أم السيد تضايقه وتلح عليه بترك ما هو عليه من موالاة أمير المؤمنين عليه السلام وهو يحسن إليها ويلاطفها، عملاً بالآية الكريمة.

١ ـ السبسب: المفازة أو الارض المستوية البعيدة. الضحضاح: ما استوى من الارض وجرد.

٢ ـ الديوان ١٥١ والغدير ١٩٤/٢ وأعيان الشيعة ١٥١/١٢ وأخبار شعراء الشيعة ١٥٤ ـ ١٥٥ ط ١٤١٣.

* لأُمِّ عمرٍو باللوى مربع *

وأنت جدّ عليم ان القصيدة فاقت في مديحها قصائد الشعراء المعاصرين للسيد، وذهب بها الركبان وانكبّ عليها الشعراء والادباء على حفظها وتعليمها لابنائهم، حتىٰ بلغت من الشهرة ان تصدّى لشرحها علماء الطائفة وكبار الادباء، والذي عرفناه من الشروح ١٩ شرحاً. ما بين مفصّلٍ ومطوّل أو مختصر.

ثم يكفيك مالها من رعاية خاصة من الإمام الرضا عليه السلام حتى حفظها والرؤيا التي رآها عليه السلام بمحضرٍ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال المرزباني في حديثه عن السيد الحميري: كان أبواه يبغضان علياً عليه السلام فسمعهما يسبّانه بعد صلاة الفجر، وهكذا روي انه شرح حاله للأمير عقبة بن مسلم فقال: إن امي كانت توقظني في الليل وتقول اني أخاف أن تموت علىٰ مذهبك فتدخل النار فلا اجيبها فجعلت تنغّص عليّ المطعم والمشرب[1] وفي ذلك يقول لما سمعهما يسبّان علياً عليه السلام:

لعنَ اللهُ والديَ جَميعاً ... ثمَّ اصلاهَما عذابَ الجحيمِ
حكما غدوة كما صليا الفجر ... بِلَعنِ الوصي باب العلومِ
لعنا خيرَ مَنْ مَشىٰ فَوقَ ظهر الـ ... أرضِ أو طافَ مُحرِماً بالحطيمِ
كَفرا عندَ شتمِ آلِ رسولِ الـ ... ـلهِ نسل المهذّب المعصومِ
والوصيُّ الذي بـه تَثْبُتِ الار ... ض ولولاه دَكدكت كالرميمِ[2]

وفي رواية أخرىٰ أنه قال لابويه: ان لي عليكما حقاً يصغر عند حقكما

---

١ ـ أخبار السيد الحميري للمرزباني ص٢٣ و٢٥ وأعيان الشيعة ١٥١/١٢ والغدير ٢٣٤/٢ و ط اخرىٰ ١٩٤.

٢ ـ أخبار السيد الحميري للمرزباني ص٥٧.

عليّ فجنّباني إذا حضرتكما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام بسوء فإنّ ذلك يزعجني وأكره عقوقكما بمقالتكما، فتماديا في غيّهما فانتقلت عنهما.

أقول: لما سمع الامير عقبه بن مسلم بن المهنا خبر السيد الحميري وما يقاسيه من أبويه، اجاره وبوّأه منزلاً وهبه له وفرشهُ بما يناسب وعيّن له خادماً ومرتباً شهرياً وتكفّل بكل اموره إلىٰ أن مات معززاً محترماً.

أدرك الحميري من حكّام عصره الامويين: هِشاماً بن عبد الملك ت ١٢٥ هـ والوليد بن يزيد بن عبد الملك ت ١٢٦ هـ ويزيد بن الوليد ت ١٢٩ هـ وابراهيم ابن الوليد ت ١٢٧ هـ ومروان بن محمد المقتول سنة ١٣٢ هـ: كما أدرك السيد الحميري من ملوك عصره من العباسيين: السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد وأخباره مع أولئك كثيرة ونكتفي بذكر قصّته مع المنصور لمّا وَشَىٰ عنده خصماء السيد وارادوا الوقيعة بالشاعر.

قيل بلغ السيد الحميري أن عبد الله بن إباض رأسَ الإباضية ـ وهي فرقة من الخوارج ـ يعيب علىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام ويتهدد السيد بأنه يذكره عند المنصور بما يوجب القتل وكان ابن إباض يظهر التسنّن ويكتم مذهب الإباضية فكتب إليه السيد قصيدته الميميّة والتي مطلعها:

لِمَنْ طللٌ كالوشمِ لم يتكلّمِ ... ونؤي وآثار كترقيشِ معجمِ

ألا أيّها العَانِي الذي ليسَ في الأذىٰ ... ولا اللّوم عندي في علي بمحجمِ

ستأتِيكَ منّي في عليّ مقالة ... تسوؤك فاستأخر لها أو تقدّم

إلىٰ آخر القصيدة.

قال المرزباني فلما وصلت ابنَ إباض امتعض منها جداً وأجلب في أصحابه وسعىٰ به إلىٰ الفقهاء والقراء فاجتمعوا وصاروا إلىٰ المنصور وهو بدجلة

البصرة، فرفعوا قصته فأحضرهم وأحضر السيّد، فسألهم عن دعواهم فقالوا: انه يشتم السلف، ويقول بالرجعة ولا يرىٰ لك ولا لأهلك امامة.

فقال لهم: دعوني أنا واقصدوا لما في أنفسكم ثم اقبل علىٰ السيد فقال: ما تقول فيما يقولون؟

فقال: ما اشتم أحداً واني لأترحم علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وهذا ابن إباض قل له يترحّم علىٰ علي وعثمان وطلحة والزبير.

فقال له: ترحّم علىٰ هؤلاء فتولّىٰ ساعة، فحذفه المنصور بعود كان بين يديه، وأمر بحبسه فمات في الحبس، وأمر بمن كان معه فضربوا المقارع وأمر للسيد بخمسة الاف درهم[1].

الجانب النقدي عند السيد الحميري:

قال المرزباني: قيل إن السيد حجّ أيام هِشام فلقي الكميت فسلّم عليه وقال أنت القائل في أمر فدك:

اللهُ يعلمُ ماذا يَأتِيان بِهِ يومَ القيامةِ مِنْ عذرٍ إذا حَضَرا

قال: نعم قلته تقية من بني اميّة، وفي مضمون قولي شهادة عليهما انهما أخذا ما كان في يدها.

فقال السيد: لو لا إقامة الحجة لَوسَعَنِي السكوت لقد ضعفت يا هذا عن الحق، يقول رسول الله ﷺ فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وان الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فخالفت رسول الله ﷺ وهب لها فدكاً بأمر الله وشهد لها أمير المؤمنين والحسن والحسين وأم أيمن بأن رسول الله ﷺ اقطع فاطمة

---

١ ـ أخبار السيد الحميري للمرزباني ص ٥٤ وأعيان الشيعة ١٢/١٧٥.

فدكاً فلم يحكما لها بذلك والله تعالىٰ يقول (يرثني ويرث من آل يعقوب)، ويقول: (وورث سليمان داوود). وهم يجعلون سبب مصير الخلافة اليهم الصلاة وشهادة المرأة لأبيها ان رسول الله ﷺ قال مروا فلاناً بالصلاة بالناس فصدّقت المرأة لأبيها ولا تصدّق فاطمة وعلي والحسن والحسين وأم أيمن في مثل فدك، وتطالب فاطمة بالبينة علىٰ ما ادعت لابيها، وتقول أنت مثل هذا القول، وبعد فما تقول في رجل حلف بالطلاق ان الذي طلبت فاطمة عليها السلام هو حق وإن علياً والحسن والحسين وأم أيمن ما شهدوا إلّا بالحق، ما تقول في طلاقه ؟

قال ما عليه طلاق، قال فان حلف بالطلاق انهم قالوا غير الحق ؟

قال يقع الطلاق لانهم لم يقولوا إلّا الحق. قال فانظر في أمرك فقال الكميت أنا تائب إلىٰ الله فما قلت وأنت أبا هاشم اعلم وأفقه منا.

نستنتج من هذا الحوار الذي جرىٰ بين السيد الحميري والكميت ان السيد كان دقيق الملاحظة قوي الحجّة له لفتات نقدية بارعة، وقد استسلم الكميت لهذا النقد البنّاء.

وفي مثل ذلك النقد البنّاء روى الشيخ محمد ابن شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي قال: اخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال أخبرنا محمد ابن يحيىٰ، قال: حدّثنا جبلة بن محمد بن جبلة الكوفي، قال: حدّثني أبي، قال: اجتمع عندنا السيد بن محمد الحميري وجعفر بن عفّان الطائي، فقال له السيد: ويحك أتقول في آل محمد عليهم السلام شرّاً !

ما بال بيتكم يُخرّب سقفه وثيابكم من أرذل الأثواب

فقال جعفر: فما انكرت من ذلك ؟

قال له السيد: إذا لم تحسن المدح فاسكت. أيوصَف آل محمد بمثل هذا ؟!

ولكنّي اعذرك، هذا طبعك وعلمك ومنتهاك، وقد قلت أمحو عنهم عار مدحك:

أقسم بالله وآلائه ... والمرء عمّا قال مسؤولُ
إنّ علي بن أبي طالبٍ ... علىٰ التُقىٰ والبرّ مجبولُ
وإنّه كان الإمامَ الذي ... لَهُ علىٰ الأُمّة تفضيلُ
يقول بالحق ويُعنىٰ به ... ولا تُلهِّيه الأباطيلُ
كان إذا الحرب مرتها القنا ... واحجمت عنها البهاليلُ
يمشي إلىٰ القِرن وفي كفّه ... أبيض ماضي الحد مصقولُ
مشي العَفرني بين اشباله ... أبرزه للقنص الغِيلُ[1]
ذاك الذي سلّم في ليلة ... عليه ميكال وجبريلُ
ميكالُ في الفٍ وجبريلُ في ... ألفٍ ويتلوهم سرافيلُ
ليلةَ بدرٍ مدداً أُنزلوا ... كأنهم طيرُ أبابيلُ
فسلّموا لما أتوا حذوه ... وذاك إعظامُ وتبجيلُ

كذا يقال فيه يا جعفر، وشعرك يقال مثله لأهل الخصاصة والضعف، فقبّل جعفر رأسه وقال: أنت والله الرأس يا أبا هاشم، ونحن الاذناب[2].

---

١ ـ يقال: أسد عفرني، أي شديد قوي الغيل: كل موضع فيه ماء من وادٍ ونحوه. والغيل: الشجر الكثيف الملتف، ويطلق على موضع الاسد.

٢ ـ امالي الشيخ الطوسي ص١٩٨ المجلس السابع، الخبر ٤١/٣٣٩، مؤسسة البعثة ط١، ١٤١٤ ورواه الطبري؛ أبو جعفر في كتابه (بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ) ص٥٣ و٥٤ ط٢، الحيدرية في النجف.

وهكذا تعرّض السيد بنقده لمحارب بن دِثار[١]:

روىٰ أبو الفرج بسنده عن أبي مسعود عمرو بن عيسىٰ الرباح ومحمد بن سَلَمه: أن السيد لما قَدِم الكوفة أتاه محمد بن سهل راوية الكميت، فأقبل عليه السيد فقال: من الذي يقول:

يَـعيبُ عـليَّ أقوامُ سَـفاهاً ... بأن أُرجي أبا حسن عـلياً[٢]

وإرجائي أبـا حسـن صـوابُ ... عـن الـعمَرَينِ بَـرّاً أو شـقِيّا

فـإن قـدّمت قـوماً قـال قـومُ ... أسأتَ وكـنتَ كـذّابـاً رديّـا

إذا ايـــقنتُ أن الله ربّـــي ... وأرســل أحـمداً حـقّاً نـبيّا

وانّ الرُّسـلَ قـد بـعثوا بـحقّ ... وأن الله كـــان لهـــم وليّـا

فليس عليَّ في الإرجاء بـاسُ ... ولا لَبْسُ ولست أخاف شـيّا

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله مُحارِب بن دِثار الذُّهْليّ.

فقال السيد: لا كان الله وليّا للعاضّ بَظْر أُمّه. من يُنشِدنا قصيدة أبي الاسود:

---

١ ـ هو محارب بن دثار بن كردوس، تابعي من بني سدوس بن ذهل بن ثعلبه. ولي القضاء في الكوفة وتوفي في ولاية خالد بن عبد الله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك. كان من المرجئة الاولى الذين كانوا يرجئون علياً وعثمان ولا يشهدون بايمان ولا كفر.

٢ ـ الإرجاء: التأخير. وله معانٍ: منها الإرجاء بمعنىٰ تأخير الإمام علي عليه السلام إلى الدرجة الرابعة. والمرجئة بهذا المعنىٰ يقابلون الشيعة وعلى هذا المعنىٰ جاء شعر محارب بن دثار.

ومن معاني الإرجاء: ان فرقة قالت بتأخير حساب اولئك الذين دخلوا الفتنة في حرب صفين التي وقعت بين أمير المؤمنين علي عليه السلام ومعاوية وتفويض أمرهم إلى الله وعلىٰ هذا المعنىٰ يحمل قول السيد:

أيرجى علي امام الهدىٰ ... وعثمان ما اعند المرجيان

امّا المرجئة التي تقول: انه لا يضرّ مع الايمان معصيته، ولا ينفع مع الكفر طاعة هم جماعات أُخر جاءت بعد ذلك وهم أصناف أربعة: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة.

اِحِبُّ محمّداً حبّاً شديداً وعبّاساً وحمزة والوصيّا

فأنشده القصيدة بعض من كان حاضراً، فطفِق يسبّ محارب بن دثار ويترحّم على أبي الاسود. فبلغ الخبر منصوراً النمري فقال: ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته: ثم قال:

يودُّ محاربُ لو قد رآها وأبصرهم حواليها جُثيّا
وأنّ لسانه من ناب أفعىٰ وما أرجا أبا حسن عليّا
وأنّ عجوزه مصعتْ بكلبٍ وكان دماءُ ساقيها جريّا
متىٰ تُرجيء أبا حسن عليّا فقد ارجيت يا لكعُ نبيّا[1]

الإمام الصادق عليه السلام وشعر السيد:

عن فضيل الرّسان[2] قال: دخلت علىٰ جعفر بن محمد عليه السلام أُعزّيه عن عمّه زيد ثم قلت: ألا أُنشدك شعر السيد؟ فقال: أنشد، فأنشدته قصيدة يقول فيها:

فالناسُ يوم البعث راياتُهم خمسُ فَمِنها هالكُ أَربعْ
قائدها العِجلُ وفرعَونُهم وسامريُّ الأُمَّةِ المُفْظَعْ
ومارقُ مِنْ دِينِهِ مخرجُ أسودُ عبدُ لُكَعُ أوكعْ
ورايةُ قائدها وَجْهُهُ كأنَّهُ الشمسُ إذا تطلعْ

فسمعتُ نَحيباً من وراء الستور فقال: مَن قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيّد ابن محمد الحميري فقال: رحمه الله. فقلت: جعلت فداك إنّي رأيته يشرب الخمر. فقال: رحمه الله فما ذنب علىٰ الله أن يغفره لآل علي؛ إن محبّ عليّ لا

---

١ ـ الاغاني ٢٤٩/٧.

٢ ـ الفضيل بن الزبير الرسان من أصحاب الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، ذكره الشيخ في رجاله.

تزلُّ له قدمٌ إلّا ثبتت له أُخرىٰ[١].

وفي رواية المرزباني عن فضيل قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام بعد قتل زيد فجعل يبكي ويقول رحم الله زيداً إنّه للعالم الصدوق ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه. فقلت: أنشدك شعر السيد؟

فقال: أمهل قليلاً، وأمر بستور فسدلت وفتحت أبوابٌ غير الأولىٰ ثم قال: هات ما عندك فانشدته:

لأُمِّ عمرو باللِوى مـربعُ طـامسةُ أعـلامُها بـلقعُ

والقصيدة في ٥٤ بيتاً ذكر منها فضيل ١٣ بيتاً.

يقول فضيل: فسمعت نحيباً من وراء الستور ونساء تبكين فجعل يقول: شكراً لك يا اسماعيل قولك.

فقلت له: يا مولاي انّه يشرب نبيذ الرساتيق. فقال: يلحق مثله التوبة ولا يكبر علىٰ الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا.

وروىٰ علي بن اسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر ابن محمد إذ استأذن آذنه للسيد فأمر بإيصاله وأقعد حرمه خلف ستر ودخل فسلّم وجلس فاستنشده فأنشده قوله:

أُمْرُر علىٰ جَدَثِ الحسين فَـقُل لاعـظُمِه الزكـيّة

يـا أعـظماً لازلتِ مـن وَطْـفَاء سـاكـبةٍ رَويّـه

وإذا مـررتَ بـقبرِه فأطِـلْ بـه وَقْـفَ المطيّه

وابكِ المـطهَّر للـمطهَـ ـرِ والمـطهَّرة النـقيّة

كَـبُكاءِ مُـعْوِلةٍ أتتْ يـوماً لواحِـدها المـنيّة

---

١ ـ رجال الكشي ٥٦٩/٢ مع اختلاف بسيط، وفيه اثنا عشر بيتاً من القصيدة العينيّة.

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تنحدر على خدّيه وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتىٰ أمره بالإمساك فأمسك.

وفي هذه القصيدة يقول السيد:

مالذَّ عيشُ بَعْدَ رضّـ ـك بالجيادِ الاعوجيّه
قَبرُ تضمَّنَ طيِّبا آباؤه خيرُ البريّه
آباؤُه أهلُ الريا سةِ والخلافةِ والوصيّه
والخيرِ والشيمِ المهذّ بةِ المطيبةِ الرضيه

وفيها يقول:

والعن صدىٰ عمر بن سعـ ـد والمسلمع بالنقيه
شمر بن جوشن الذي طاحتْ بهِ نفسُ شقيه
جعلوا ابن بنتِ نبيّهم غَرَضا كما تُرمىٰ الدريّه

وروىٰ المرزباني بسنده عن محمد بن عباد بن صهيبي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فذكر السيد فدعا له، فقال له يا ابن رسول الله أتدعو له وهو يشرب الخمر ويشتم أبابكر وعمر ويُوقن بالرجعة؟

فقال: حدّثني أبي عن أبيه علي بن الحسين إن محبي آل محمدٍ لا يموتون إلّا تائبين وانه قد تاب. ثم رفع رأسه وأخرج من مصلّى عليه كتاباً من السيد يتوب فيه مما كان عليه، وسأله الدعاء له وفي آخر الكتاب:

أيا راكباً نَحوَ المدينةِ جَسرةً عذافرةً يُطوىٰ بها كلُّ سبسبِ
إذا ما هداك الله عاينْتَ جعفراً فَقُل لوليّ الله وابنِ المهذّبِ
ألا يا أمينَ اللهِ وابنَ أمِينِهِ أتوبُ إلىٰ الرّحمن ثم تأوُّبي

إلىٰ آخر القصيدة.

شعر السيد الحميري وغزارته:

قال عبد الله بن اسحاق الهاشمي جمعت للسيّد ألفي قصيدة وظننت انّه ما بقي عليّ شيء فكنت لا أزال أرىٰ من ينشدني ما ليس عندي فكتبت حتىٰ ضجرت ثم تركت[١].

وفي الأغاني، قال الموصلي: حدّثني عمّن قال: جمعت للسيد في بني هاشم الفين وثلاثمائة قصيدة فخلت ان قد استوعبت شعره حتىٰ جلس إليّ يوماً رجل ذو أطمار رثّة فسمعني انشد شيئاً من شعره، فأنشدني لَهُ ثلاث قصائد لم تكن عندي، وعرفت حينئذ ان شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله[٢].

قال ابو الفرج: كان السيد يأتي الاعمش، سليمان بن مهران الكوفة فيكتب عنه فضايل علي أمير المؤمنين سلام الله عليه، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً، فخرج ذات يوم من عند بعض أُمراء الكوفة وقد حمله علىٰ فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثمّ قال:

يا معشر الكوفيّين من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لَم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يحدّثونه وينشدهم حتىٰ أتاه رجل منهم وقال: ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه عزم علىٰ الركوب فلبس ثيابه وأراد لبس الخفّ فلبس أحد خفّيه ثم أهوىٰ إلىٰ الآخر ليأخذه فانقضّ عقابٌ من السماء فحلّق به ثمّ القاه فسقط منه أسود وإنساب فدخل جحراً فلبس عليّ عليه السلام الخفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً ففكّر هُنيهة ثم قال:

ألا يا قوم للعجب العجاب لخفّ أبي الحسين ولِلحُبابِ

---

١ و ٢ ـ الأغاني ٢٣٦/٧. تحفة الاحباب ١٧٥، قاموس الرجال ٧١/٢، معالم العلماء ١٣٥.

عَـدُوٌّ مـن غُـداة الجـنِّ وغـدُ بعيدٌ فـي المـرادة مـن صـوابِ
أتـىٰ خـفّاً له وأنسـابَ فـيه لينهشَ رجـلَه مِـنه بـنَابِ
لينهشَ خيرَ مَنْ ركبَ المطايا أمـيرَ المـؤمنين أبـا تُـرابِ
فـخرَّ مِـنَ السـماءِ لَـهُ عـقابُ مـن العُـقبان أو شِـبه العـقابِ
فـطارَ بـهِ فـحلَّقَ ثـمّ أهـوىٰ بهِ للأرض مِـنْ دونِ السـحابِ
فـصكَّ بـخفِّهِ وأنسـابَ مـنهُ وولّـىٰ هَـارباً حـذر الحـصابِ
إلىٰ جـحرٍ لَـهُ فـانسابَ فـيهِ بـعيدُ القـعر لم يُـرتَجْ بـبابِ
كريهُ الوجهِ أسودُ ذو بَـصيصٍ حـديدِ النـابِ أزرق ذولعـابِ
يـــهلُّ له الجـــريُّ إذا رآه حثيث الشدِّ مـحذور الوثـابِ
تأخَّـــرَ حـينه ولقـدْ رَمَـاه فَأخَـــطاه بأحـجارٍ صـلابِ
ودُوفـع عَـن أبِـي حَسَـنٍ عـليّ نـقيعُ سـمامِهِ بَـعد انسـيابِ

قال المرزباني: ثم حرّك فرسه وثناها وأعطى ما كـان معه من المـال والفرس للّذي روى له الخبر وقال: إنّي لم أكن قلت في هذا شيئاً[1].

قال أبو الفرج: أما العقاب الذي انقضَّ علىٰ خفّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدّثني جعفر بن علي بن نجيح قال: حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود الطهوي عن أبي الزغل المرادي قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة ثم نزع خفّه فانساب فيه أفعىٰ فلمّا عاد ليلبسه إنقضّت عقابٌ فاخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعىٰ منه، وقد روي مثل هذا لرسول الله ﷺ.

---

١ ـ انظر: الكنىٰ والالقاب للشيخ القمي ٣٠٢/٢. والديوان ص١٢٧. أقول والقصيدة طويلة اخترنا منها هذه الابيات المذكورة آنفاً.

وقال ابن المعتز: كان السيّد احذق الناس بسوق الاحاديث والأخبار والمناقب في الشعر لم يترك لعلي بن أبي طالب فضيلة معروفة إلّا نقلها إلىٰ الشعر، وكان يُملّه الحضور في محتشد لا يذكر فيه آل محمد صلوات الله عليهم ولم يأنس بحفلة تخلو عن ذكرهم[١].

وجاء في كشف الغمة وطبقات الشعراء لابن المعتز انه شوهد حمّال في بغداد يمشي بحمل قد اثقله، فسئل ما معك؟ فقال ميميّات السيد[٢].

وروى انّ بنته العبّاسة كانت حافظة لشعر أبيها وكان الرواة يقرأون عليها شعر السيّد وتصحّحه لهم كما ذكره المرزباني في أخبار السيد.

امّا رواة شعره فهم كثيرون نذكر علىٰ سبيل المثال:

١ ـ إضافة إلىٰ ما تقدم في رواية العباسة ابنت الشاعر فشقيقاتها الثلاث كنّ يحفظن شعر السيد.

٢ ـ اسماعيل بن الساحر كما جاء في الاغاني.

٣ ـ فضيل بن الزبير الرسّان الكوفي، كان ينشد شعر السيد للإمام الصادق عليه السلام.

٤ ـ يزيد بن محمد بن عمر بن مذعور التميمي كان يحفظ شعر السيد وينشده لأبي بجير الاسدي.

٥ ـ جعفر بن سليمان الضبعي البصري المتوفّى سنة ١٧٨ هـ.

٦ ـ السّدري كان ينشد شعر السيد كما في طبقات ابن المعتز ص ٧.

---

١ ـ الاغاني: ٢٤٦/٧، وطبقات الشعراء ص٣٦ و٣٧.

٢ ـ كشف الغمّة ٣٩/٢ ـ ٤٠ ط دار الكتاب الاسلامي، بيروت، وطبقات الشعراء ص٣٦، والكنىٰ ٣٠٢/٢.

٧ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفّى سنة ٢٠٩ هكان يروي شعره كما في الاغاني وغيره.

٨ ـ عبد الله بن اسحاق الهاشمي وقد جمع شعر السيد كما ذكره المرزباني.

٩ ـ عمّ الموصلي كما هو في الاغاني إذ جمع شعر السيد في بني هاشم.

١٠ ـ الحسين بن الضحّاك كان احفظ الناس بشعر السيد.

١١ ـ أبو داوود سليمان بن سفيان المسترق الكوفي المتوفّى سنة ٢٣٠ هـ كان راوية لشعر السيد، كما في الاغاني وغيره.

١٢ ـ الحسين بن ثابت كان راوية لشعره.

١٣ ـ محمد بن زكريا الغلابي الجوهري البصري المتوفّى سنة ٢٩٨ هـ.

١٤ ـ أبو الحسن الدارقطني علي بن عمر المتوفّى سنة ٣٨٥ هكان يحفظ ديوان السيد.

١٥ ـ غانم الورّاق كان ينشد شعره كما في الاغاني.

١٦ ـ النوفلي، كان يحفظ شعر السيد وهو الذي أنشده النبي المذهبة، فقال: فجعلت أنشده ...[1].

١٧ ـ وممن تأخر عن اولئك: الحافظ أبو الحسن الدار القطني المتوفّى ٣٨٥ هكان يحفظ ديوان السيد. كما في تاريخ بغداد ٣٥/١٢ وتذكرة الحفاظ ٢٠٠/٣.

١٨ ـ التوّزي.

---

١ ـ أقول: النوفلي ورد ذكره في الاغاني: علي بن محمد النوفلي، روى عن أبي جعفر ابن بنت الفضيل بن بشار، كما ان عيسى بن الحسين الورّاق يروي عن النوفلي هذا.

الفصل الثاني

السيّد الحميري

ومليح أخباره

قال الاخفش: حدّثني محمد بن يزيد المبرد قال: حدّثني التوّزي قال: جلس السيد يوماً إلىٰ قوم، فجعل يُنشدهم وهم يَلْغَطُون فقال:

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب ... بين الحمير وبين الشاء والبقرِ

لا يسمعون إلىٰ قول أجيءُ به ... وكيف تَستَمِعُ الانعامُ للبَشرِ

أقول ما سكتوا إنسُ فإن نطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجرِ[1]

ليس بعيداً ان الشعر الذي كان ينشده السيد لهؤلاء القوم انه في مناقب أهل البيت وبالذات في أمير المؤمنين علي عليه السلام وكان دأب السيد ان يتحدّث في تلك الفضائل، لانه الداعية المخلص والموالي الحق، فكان يرىٰ من واجبه ارشاد هؤلاء القوم وغيرهم فاينما حلّ واينما جلس لابدّ من تذكير الناس بمقام أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله، غير ان هؤلاء ـ الذين جلس عندهم ـ لم يكونوا علىٰ مذهب السيد وليس مذاقهم علىٰ مذاقه لذا أخذوا في اللغط والعبث وعدم الاصغاء.

وشأن هؤلاء كالذين ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ فـ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

فـ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

---

١ ـ الاغاني لأبي الفرج ٢٥٣/٧.

وحريّ بالشاعر ان يرسم صورة هؤلاء بما هم عليه من الضلال والضياع فهم كالانعام بل أضلّ سبيلاً[١].

بين العبدي والسيد:

روى أبو داوود المسترِق: أن السيد والعبديّ اجتمعا، فانشد السيد:

إنّـي أديـنُ بـمادان الوصيُّ بِـهِ يومَ الخُرَيْبةِ من قتل المُحلِّينا[٢]

وبـالّذي دانَ يـوم النـهروان بِـهِ وشـاركتْ كـفَّه كـفّي بـصِفِّينا

فقال له العبدي: أخطأت، لو شاركتْ كفّكَ كفّه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفّي كفّه لتكون تابعاً لا شريكاً.

فكان السيد بعد ذلك يقول: أنا أشعرُ الناس إلّا العبدي[٣].

العبدي: هو سفيان بن مُصعَب الشاعر الكوفي المشهور، قال في حقّه الإمام الصادق عليه السلام: يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدي فإنه على دين الله.

هذا الحوار النقدي بين العبدي الكوفي والسيد الحميري يجسّد لنا عدة نقاط منها:

أوّلاً: ان كلّاً من العبدي والحميري يذهبان إلى معتقد واحد ويتفانيان لتلك العقيدة.

---

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ هكذا آية تنطبق على هكذا قوم.

٢ ـ الخريبة: موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل.

٣ ـ الاغاني ٢٧٣/٧.

ثانياً: الحسّ العقائدي عندهما متبلور إلىٰ أبعد خصوصياتهِ بحيث لا نجده عند الكثير من أصحاب الائمة عليهم السلام.

ثالثاً: النقد البنّاء الذي صاغه العبدي حمل في طيّاته مدرسة عقائدية، لا ينبغي علىٰ المتمسّك بحبل الولاية أن يجهل أبعاد هذه المدرسة بجزئياتها الدقيقة ومفاهيمها وأسلوبها الأدبي والفني.

رابعاً: الاذعان من قبل السيد والتفاته إلىٰ هذا الخطأ في سبك العبارة (وشاركت كفّه كفّي) يدلّل علىٰ تواضع السيد وحرصه علىٰ تهذيب نتاجه الشعري فنّياً وعقائدياً.

خامساً: ان سيادة الشعر في القرن الثاني كانت تتراوح بين هذين الفحلين من الشعراء.

سادساً: وممّا يؤكّد النتيجه السابقة عدّة من الشعراء والادباء ورواة الشعر كما سيأتي بيانه في الصفحات الآتية إن شاء الله.

بعض نوادر السيد:

عن اسماعيل بن الساحر راوية السيد قال: تلاحىٰ رجلان من بني عبد الله ابن دارم في المفاضلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فرضيا بحكم أوّل من يطلع. فطلع السيد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه فقال له مُفضّل علي بن أبي طالب عليه السلام انّي وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: علي بن أبي طالب، فقطع السيد كلامه ثم قال: وأي شيء قال هذا الآخرُ ابن الزانية! فضحك مَن حضر ووجم الرجُل ولم يُحِرْ جواباً.

لا يخفىٰ علىٰ اللبيب ان مبغض أمير المؤمنين عليه السلام هالك لا محالة لصريح

أحاديث النبي ﷺ والاخبار الموثوقة من أهل بيت العصمة عليهم السلام وإليك البعض من تلك الاحاديث:

١ ـ روىٰ الحافظ علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي والمتوفّىٰ سنة ٤٨٣ هـ باسناده عن أبي ذرّ الغفاري قال:

قال رسول الله ﷺ: من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب الله ورسوله، ومن شكّ في علي فهو كافر[1].

٢ ـ روىٰ ابن المغازلي باسناده إلىٰ ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ إنّ الله عزوجل مَنع بني اسرائيل قطر السماء بسوء رأيهم في انبيائهم واختلافهم في دينهم، وإنّه آخذ هذه الامّة بالسنين، ومانِعُهم قَطْر السماء ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

ورواه الحافظ الترمذي في سننه ٣٠٦/٥ باب ٩٤ في أبواب المناقب، وابن ماجه القزويني في سنن المصطفىٰ ٥٥/١، والخطيب البغدادي في تاريخه ٢٥٥/٢.

وفي نفس هذا المضمون مع زيادة ذكره الحافظ أبو نعيم الاصبهاني في حلية الاولياء ١٨٥/٤ وقال: هذا حديث صحيح متّفق عليه... والحافظ البيهقي في السنن الكبرىٰ ٢٧١/٢، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤٦١/٢.

٤ ـ وروىٰ ابن المغازلي باسناده عن زاذان عن سلمان قال: قال رسول

---

١ ـ مناقب ابن المغازلي ص٤٦ وكنوز الحقائق للعلامة المناوي ص ١٥٦ وينابيع المودّة للقندوزي ص ١٨١.

٢ ـ المناقب ص ١٤١ ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ج١ ص٢٣٣ ورواه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٢١٩/٢.

الله ﷺ لعليّ : يا عليّ محبّك محبّي ومبغضك مبغضي[١].

أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ١٠٩/٢ وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٢/٩.

٥ ـ وروىٰ ابن المغازلي باسناده عن عمّار بن ياسر عن أبيه عن النبي ﷺ قال: أُوصي مَنْ آمن بي وصدَّقني من جميع الناس بولاية علي بن أبي طالب، وقال: من تولّاه فقد تولّاني ومن تولّاني فقد تولّى الله ومن أبغضه فقد ابغضني ومن ابغضني فقد أبغض الله عزوجل[٢].

٦ ـ وروى ابن المغازلي باسناده عن معاوية بن حَيْدَة القُشَيريُّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك: مات يهودياً أو نصرانياً[٣].

٧ ـ روىٰ ابن عساكر في تاريخه باسناده عن ربيعة بن ناجذ عن علي عليه السلام قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا عليّ فيك شبهاً من عيسىٰ بن مريم احبّته النصارىٰ حتىٰ انزلوه منزلة ليس بها وابغضته اليهود حتىٰ بهتوا امّه.

٨ ـ وقال عليه السلام: هلك فيّ رجلان محبّ مفرط بما ليس فيّ ومبغض يحمله شناني علىٰ أن يبهتني.

أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ترجمة الإمام علي عليه السلام، والبلاذري في كتابه انساب الاشراف، وذخائر العقبىٰ ص٩٢، ومجمع الزوائد ١٣٣/٩،

---

١ ـ المناقب: ص١٩٦.

٢ ـ المصدر السابق ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢.

٣ ـ المصدر السابق ص٥١، وأخرجه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ١٥١/٣ وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٢٥١/٤، والعلامة القندوزي في ينابيع المودة ص٢٥١.

وتلخيص المستدرك على الهامش ١٢٣/٣، وشواهد التنزيل ١٦٠/٢، ونور الابصار ٧٧ وغيرها من المصادر.

٩ـ روى ابن المغازلي المتقدم باسناده عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: نظر النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب فقال: أنت سيدٌ في الدنيا وسيد في الآخرة، من احبّك فقد احبّني، وحبيبي حبيبُ الله وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوُّ الله عزوجل، ويل لمن ابغضك من بعدي[1].

ومن روائع الشعر في هذا الباب قول الفرزدق:

مِنْ معشرٍ حبُّهم دِينٌ وبغضُهُم ... كُفرٌ وقربُهُم منجى ومعتصمُ
إن عُدَّ أهلُ التُقىٰ كانوا أئمتهم ... أو قيل مَنْ خيرُ أهلِ الارضِ قِيلَ هُمُ

وقال الإمام الشافعي:

يا أهلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبُّكُم ... فرضٌ مِنَ اللهِ في القرآنِ أنزَلَهُ
كفاكُمُ مِن عَظِيمِ الفضلِ أنَّكُمُ ... مَنْ لم يُصلِّ عليكُم لا صلاةَ لَهُ

وفي حديث طويل عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام يذكر نبوة موسىٰ والوصاية إلىٰ يوشع بن نون ومن يوشع إلىٰ ولد هارون وهكذا حتىٰ ينتهي الامر إلىٰ عيسىٰ عليه السلام إذ بشّر بنبوة سيد الرسل؛ نبيّنا محمد ﷺ فكانت، وبلّغ الناس برسالة الله سبحانه وشريعة الإسلام الغرّاء بأحسن وجه واتم، حتىٰ نزلت الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾ فكان الاكمال واتمام الدين بتنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام اماماً علىٰ المسلمين من بعده؛ إنه أمر من الله، وقد امتثل الرسول أمر ربه لمّا نزل عليه الوحي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ

١ـ المناقب لابن المغازلي ص١٣ واخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه علىٰ الصحيحين ١٢٧/٣.

اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١].

لكن بعد هذا وقعت حسكة النفاق في قلوب القوم، وقالوا: ما أنزل الله جلّ ذكره هذا علىٰ محمد قطُّ، وما يريد إلّا أن يرفع بضبع ابن عمّه ...!

ثم نقل الإمام الصادق ما قاله النبي ﷺ فقال:

(علي سيّد المؤمنين، وقال: علي عمود الدين، وقال: هذا هو الذي يقرّب الناس بالسيف علىٰ الحق بعدي، وقال: الحق مع علي أينما مال، وقال: اني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله عزوجل وأهل بيتي (عترتي)، أيّها الناس اسمعوا وقد بلّغت، إنكم ستردون عليّ الحوض فأسألكم عمّا فعلتم في الثَّقلَين، والثَّقلان: كتابُ الله جل ذكره، وأهلُ بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فانهم أعلم منكم)[٢].

استناداً إلىٰ هذا الحديث وغيره من الاحاديث المتواترة أجاب السيد الحميري الرجل بلهجة صارخة، لان الامر اشهر من قفا بنكِ، وخطبة الرسول في حِجَّةِ الوَداع في غدير خم نقلتها كتب التاريخ والسير والمناقب والحديث والأدب و... فلا موضع لسؤال هذا الرجل وامثاله ممّن لجّ في عناده وحاد عن الصراط المستقيم!

وإلّا هل غابت عن هؤلاء المعاندين أقوال الرسول ﷺ الكثيرة في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومنزلته عند الله وعند رسوله ؟!

ولغرض الاستدلال نذكر حديثاً واحداً من بين عشرات بل مئات الاحاديث الصادرة عن رسول الرحمة والانسانية قال ﷺ في يوم خيبر:

---

١ ـ المائدة: ٦٨.

٢ ـ أصول الكافي ج ١ ص ٢٩٤.

(لأبعثن رجلاً يحبّ اللهَ ورسولَه، ويحبّه اللهُ ورسولُه) وقال: (لأُعطين هذه الراية رجلاً يُحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ليس بفرار ولا يرجع حتىٰ يفتحَ الله علىٰ يديه)[١].

قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلّا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن ادعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فاعطاه أيّاها، وكان علي عليه السلام ارمد العين فتفل النبي فيها فشُفي لوقته.

وفي حديث الراية يقول حسان بن ثابت:

وكان عليٌّ ارمَدَ العين يبتغي ... دواءً فلمّا لَمْ يُحِسَّ مُداوِيا
شفاهُ رسولُ اللهِ مِنهُ بتفلةٍ ... فبُورِكَ مَرقِيّاً وبُورِكَ راقِيا
وقالَ سأُعطي الرايةَ اليومَ صَارماً ... كَمِيّاً مُحبّاً لِلّرسولِ مُواليا
يُحبُّ إلهي والإلهُ يُحِبُّهُ ... بِهِ يفتح اللهُ الحُصُونَ الأوابيا
فأصْفىٰ بِها دُونَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... عَلِيّاً وسمّاهُ الوَزيرَ المؤاخيا[٢]

أقول: جاء حديث الراية (يوم خيبر) في جميع كتب الحديث والمغازي والسيرة والتاريخ وإليك طرفاً منها:

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥٢/٤، والحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ١٩٣/٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٣٣٩/٧ وابن سعد في الطبقات ١١١/٢ ط مصر، والحاكم النيسابوري في مستدركه ٣٨/٣، والحافظ البيهقي في سننه ١٣١/٩ والعلامة النويري في نهاية الأرب ٢٥٢/١٧ والنسائي في الخصائص ص٧ وهناك عشرات المصادر اعرضنا عن ذكرها غاية في الاختصار.

---

١ ـ مناقب ابن المغازلي ص ١٨٠.

٢ ـ مناقب ابن المغازلي: ص١٨٦.

ومن نوادره :

روىٰ الاصفهاني ، بسنده عن محمد بن موسىٰ قال : جاء رجل إلىٰ السيّد فقال : بلغني انك تقول بالرجعة ؛ فقال : صدق الذي أخبرك ، وهذا ديني . قال : أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلىٰ الرجعة ؟

قال السيد : نعم وأكثر من ذلك إن وثّقتَ لي بأنّك ترجع إنساناً . قال : وأيّ شيء ارجع ؟!

قال : أخشىٰ أن تَرجِعَ كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي ، فأفحمه .

قيل في المأثور : البادىءُ اظلم ؛ وهذا الرجل تعمّد أن يسخر من السيد ويستهزيء به ، فصاغ له سؤالاً يعرّض بعقيدة الحميري الراسخة ، وهي تعدّ من الثوابت عنده ، لكن فطنة الشاعر وكونه سريع البديهة اجابه من حيث ورد وخرج ـ بحسن تخلّصه ـ بجواب أخجل السائل فيه ، بل ألقمه حجراً ، فولّىٰ وهو يفكر أحقّاً يرجع كلباً أو خنزيراً...!

ومن نوادره وأخباره :

عن سويد بن حمدان بن الحُصين قال : كان السيد يختلف إلينا ويغشانا ، فقام من عندنا ذاتَ يومٍ ، فخلفه رجلٌ وقال : لكم شرفٌ وقدر عند السلطان ، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتم السلف ، فبلغ ذلك السيد فكتب إليه :

وَصَفْتُ لك الحوضَ يابن الحُصَين ... علىٰ صفةِ الحارث الأعْورِ[1]

فإن تُسْقَ منه غداً شربَةً ... تَفُزْ من نصيبك بالأوفر

---

١ ـ هو الحارث الهمداني من حواري أمير المؤمنين علي عليه السلام .

فـــمالي ذنبٌ ســـوىٰ أنّـــني ذكـرتُ الذي فـرّ عـن خيبر[١]
ذكـرتُ امـراً فـرّ عـن مَرحبٍ فِـرارَ الحـمارِ مـن القَسْـورِ[٢]
فـــانكر ذاك جـــليسُ لكـــم زنـــيمُ أخـــو خُـــلُقٍ أعـــور
لَـــحَاني بـــحبِّ إمـــام الهـدىٰ وفـــاروقِ أمّـــتنا الاكـــبر[٣]
سأحـــــلِقُ لحـــــيتَه إنـــها شـــهودُ عـــلىٰ الزُور والمـنكرِ

قـال: فـهجر والله مشـايخنا جـميعاً ذلك الرجـل ولزِمـوا مـحبّة السـيد ومجالسته.

ومن نوادره وأخباره:

ذكر اسماعيل بن الساحر ـ راوية السيد ـ ان الحارث بن عبد المطلب قال: كنت جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة

---

١ ـ خيبر اسم ولاية علىٰ ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، كانت تشتمل علىٰ سبعة حصون. ولمّا كان اليهود فيها يحرّضون علىٰ الرسول ويهدّدونه بالغارة والقتال ممّا عزم علىٰ قتالهم فبعث عمر ابن الخطاب واعطاه لواء المسلمين بيده ونهض معه من نهض من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلىٰ رسول الله يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، وهكذا كرر الرسول البعوث مع أبي بكر وعثمان، ولكن رجعوا كصاحبهم كل منهم يجبّن أصحابه وهم يجبّنونهم. فـقال رسـول الله ﷺ سأعطي الراية رجلاً يحبّه الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله كرّار ليس بفرار... فدعىٰ بعلي وكان ارمداً فتفل بعينيه فشفي ثم سلّمه راية المسلمين فذهب إلىٰ حصون خيبر وقد فتح الله علىٰ يديه.

٢ ـ مرحب اليهودي: صاحب حصن خيبر وكان يعدّ بالف فارس وقـد تـهيّب المسـلمون مـن مـبارزته ودخلهم الخوف فبرز إليه الإمام علي عليه السلام فقتله ثم دخل الحصون وفتح الله عـلىٰ يـديه. القسـور: الأسد.

٣ ـ لحاني، من لحا الرجل لحـواً: شـتمه، وفـي الحـديث: نُـهيت عـن مُـلاحاةِ الرجـال أي مُـقاوَلتهم ومخاصمتهم. واللّحاء: اللعن، العذل.

علىٰ دجلة بالبصرة وسوّار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيد ابن محمد بين يديه يُنشد قوله:

إن الإلهَ الّـــذي لا شـــيءَ يُشـــبهه ... اعـطاكُـم المـلكَ للـدنيا وللـدينِ
اعـــطاكـــم اللهُ مُـلكاً لا زوال له ... حتىٰ يُـقادَ اليكم صاحب الصّـين
وصـاحب الهـند مأخـوذاً بـرمَّته ... وصاحب الترك محبوساً علىٰ هون

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأىٰ وجه سوّارٍ يتربَّد غيظاً ويسوَدّ حنقاً، ويدلك إحدىٰ يديه بالأخري ويتحرّق، فقال له المنصور: مالك؟!

أرا بك شيء؟ قال: نعم، هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله يا أمير المؤمنين ما صدقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيركم.

فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرنا ووليّنا، وما عرفت منه إلّا صدق محبّة وإخلاص نيّة.

فقال له السيد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحمّلتُ غَضّكم لأحد، وما وجدت أبويّ عليه فافتتنتُ بهما، ومازلتُ مشهوراً بموالاتكم في أيام عدوّكم.

فقال له: صدقت.

قال: ولكن هذا واهلُوه[1] أعداءُ الله ورسوله قديماً والذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجُرات، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن ﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ وجرىٰ بينهما خطابٌ طويل فقال السيد قصيدته التي مطلعها:

---

١ ـ يعني وفد بني تميم يوم قدموا المدينة لمفاخرة رسول الله ﷺ فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات ـ بيوت نساء النبي ﷺ ـ فنادوا بصوت عال جاف: اخرج إلينا يا محمد فقد جئنا لنفاخرك. فانزل الله سبحانه قوله: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون).

قِف بنا يا صاحِ واربَع بالمغاني المُوحِشات

والتي جاء فيها:

يا أمين الله يا منـ صورُ يا خير الولاةِ
إنّ سوّار بن عبد اللّـ ـه من شرّ القضاةِ
نعثليُ جملي لكم غيرُ مواتِ[1]
جدّه سارقُ عنزٍ فجْرَةٌ من فجراتِ[2]
لرسول الله والقا ذِفه بالمُنكَراتِ
وابنُ من كان ينادي من وراء الحُجُراتِ

إلىٰ آخر الابيات.

فشكاه سوّار إلىٰ المنصور، فأمره بأن يصير إليه معتذراً، ففعل فلم يعذِره فقال:

اتيتُ دعيَّ بني العنبر اروم اعتذاراً فلم أُعذر
فقلت لنفسي وعاتبتُها علىٰ اللؤم في فعلها أقْصِري
أيعتذر الحرُّ مما أتىٰ إلىٰ رجل من بني العنبرِ
أبوك ابنُ سارق عَنز النبي وأمُّكَ بنت أبي جَحْدَرِ
ونحنُ علىٰ رغمِكَ الرّافِضو ن لأهل الضلالة والمنكَرِ[3]

---

١ ـ نعثل: رجل من يهود المدينة طويل اللحية، وقيل هو من أهل مصر كان يشبّه به عثمان بن عفان إذا نيل منه.

جملي: نسبة إلىٰ وقعة الجمل التي كانت بالبصرة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة، وقد خرجت عائشة لحرب الإمام وهي راكبة جملاً فسميت الوقعة به.

٢ ـ سارق العنز: جدّ سوار؛ وهو عنزة بن ثقب، وكان يقال وفد قوم من بني العنبر علىٰ رسول الله وجدُّ سوار كان معهم. وقصته مشهورة إذ سرق عنزاً كانت لآل رسول الله ﷺ.

٣ ـ طبقات ابن المعتز ص ٣٤، مجالس المؤمنين ٢/٥٠٧.

الفصل الثالث

السيّد الحميري

وعقيدته

اعتنق السيد الحميري في أوائل حياته مذهب الكيسانية، وهو مذهب قيل ينتهي إلىٰ كيسان لقب المختار بن أبي عبيدة الثقفي، الذي خرج علىٰ عبيد الله بن زياد بن أبيه، وثأر للحسين وبني هاشم وقتل من قتلة ابن زياد وعمر بن سعد خلقاً كثيراً اشتركوا في دم الإمام السبط في واقعة الطف بكربلاء.

ذكر أرباب الملل والنحل ان المختار كان يدين بإمامة محمد بن الحنفية بعد إمامة الحسن والحسين عليهما السلام وتابع السيد الحميري في عقيدته باديء الأمر معتقد الكيسانية وفي ذلك نظم قصائد عديدة منها قوله:

ألا أن الأئمةَ من قريشٍ ... وُلاةُ الحقِ أربعةٌ سَواءُ
عليُ والثلاثةُ من بَنِيه ... هُم اسباطُهُ والاوصياءُ
فأنّي في وصيّتِه اليهم ... يكون الشكُ منّا والمراءُ
بِهم أوصَاهم ودعا إليهم ... جميع الخلق لو سُمع الدعاءُ
فسبطُ سبطُ إيمانٍ وحِلم ... وسِبطُ غيَّبتْه كربلاءُ
وسبط لا يذوق الموت حتىٰ ... يقود الخيلَ يقدُمُها اللواءُ[1]

---

١ ـ ذكر ابن عبد ربه الاندلسي ثلاثة أبيات منها. العقد الفريد ٤٠٦/٢.

أقول: نسب عبد القاهر البغدادي ـ في كتابه الفَرق بين الفِرق ـ قطعتين شعريّتين إلى كثيِّر عزّة، وهي للسيد الحميري:

القطعة الأولى، ومطلعها:

ألا إنّ الأئمة من قريشٍ ... ولاةُ الحق أربعة سواء

والقطعة الثانية، ومطلعها:

برئت إلى الإله من ابن اروى ... ومن دين الخوارج أجمعينا

⇐

فالشاعر يرىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وبنيه الثلاثة الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام ثمّ محمد بن الحنفية، وعقيدته فيه إنه غائب، ولا يذوق الموت وفيه يقول:

سَمِيُ نبيِّنا لم يبقَ منهم ... سواهُ فعنده حصل الرجاءُ
تغيّب غيبةً من غيرِ موتٍ ... ولا قتلٍ وسارَ بِهِ القضاءُ
وبينَ الوحشِ يَرعىٰ في رياضٍ ... من الآفاق مَرتَعُها خلاءُ
فحلّ فما بها شبرٌ سواه ... بعقوته له عسلٌ وماءُ
إلىٰ وقتٍ ومدة كل وقت ... وإن طالت عليه لها انقضاءُ

وفي ذلك يقول ابن المعتزّ في طبقات الشعراء: حدّثني محمد بن عبد الله قال: قال السدري راوية السيّد كان السيّد أوّل زمانه كيسانياً يقول برجعة محمد ابن الحنفية وأنشدني في ذلك:

حتّىٰ متىٰ؟ وإلىٰ متىٰ؟ ومتىٰ المدىٰ
يابن الوصيّ وأنت حيٌّ ترزقُ

والقصيدة مشهورة. وحدّثني محمد بن عبد الله قال السدري: ما زال السيّد يقول بذلك حتىٰ لقي الصادق عليه السلام بمكّة أيّام الحج فناظره وألزمه الحجة فرجع عن ذلك، وأنشد أبياته المعروفة:

تجعفرتُ باسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ ... وأيقنتُ أنَّ اللهَ يعفُو ويغفِرُ

⇒ انظر: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي ت٤٢٩، ص٢٨ ـ ٣٠، ط دار الجيل، بيروت ١٩٨٧م.

وبمثل ذلك قال الشهرستاني في الملل والنحل ١/١٥٠ ط دار المعرفة بيروت.

ويـثبت مـهما شـاء زلي بأمـره ويمحو ويقضي في الأمور ويقدرُ[١]

أقول: روى الصدوق في كمال الدين بسنده عن حـيّان السـراج[٢] قـال: سمعت السيد بن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو واعتقد غيبة محمد بن علي الملقّبُ بابن الحنفية قد ضللت في ذلك زماناً. فمنّ الله علي بالصادق جعفر ابن محمد عليه السلام وانقذني به من النار، وهداني إلىٰ سواء الصراط. فسألته بعد ما صحّ عندي بالدلائل التي شاهدتها منه انه حجة الله عليّ وعلىٰ جميع أهل زمانه وانه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به فقلت له: يا ابن رسول الله قـد رُوي لنا اخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟

فقال عليه السلام: ان الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الائمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب وآخـرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض، وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوحٌ في قومه لم يخرج من الدنيا حتىٰ يظهر فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قال السيد: فلمّا سمعت ذلك من مولاي الصادق تبت إلىٰ الله تعالىٰ عـلى يديه وقلت قصيدتي التي أولها[٣]:

ولما رأيتُ الناسَ في الدينِ قَدْ غـووا تجعفرتُ بـاسمِ اللهِ فِـيمَن تَـجَعْفَروا

ونـــاديتُ بـــاسمِ اللهِ واللهُ اكـــبرُ وأيـــقنتُ أنَّ اللهَ يـــعفُو ويَـــغْفِرُ

---

١ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ص٣٣.

٢ ـ حيّان السرّاج: من الكيسانية القائلين بان محمد بن الحنفية إمام وهو حي لم يمت.

٣ ـ الديوان ص٢٠٢ وطبقات الشعراء لابن المعتز، وأعيان الشيعة ١٥٥/١٢ والغدير ٢٢٢/٢ ومجالس المؤمنين ٥٠٦/٢.

ودِنتُ بـدين غـير مـا كـنتُ داينـاً بـهِ ونَـهاني سـيّدُ النـاس جَـعفرُ
فـقلت : فَـهَبْني قـد تـهوَّدتُ بُـرهةً وإلّا فَـدِيني ديـنُ مَـنْ يـتنصَّرُ
وإنّـي إلىٰ الرحـمان مـن ذاك تـائبُ وإنّـي قَـدْ أسـلمتُ واللهُ أكـبرُ

الى آخر الأبيات .

ممّا يؤكّد توبة السيد علىٰ يد الإمام الصادق عليه السلام ورجوعه عن الكيسانية ما رواه الكشي : عن نصر بن الصباح قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن عـيسىٰ عـن عبدالرحمن بن أبي نجران عن عبد الله بن بكير عن محمد بن النعمان قال : دخلت علي السيد بن محمد وهو لما به قد اسودّ وجهه ، وازرقّت عيناه ، وعطش كبده ، وهو يومئذ يقول بمحمد بن الحنفيّة ، وهو من حشمه وكان ممن يشرب المسكر ، فجئت وكان أبو عبد الله عليه السلام قدم الكوفة لانه كان انصرف من عـند أبـي جـعفر المنصور ، فدخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت : جعلت فداك اني فارقت السيد ابن محمد الحميري وهو لما به قد اسودّ وجـهه وازرقت عـيناه وعـطش كـبده وسلب الكلام وانه كان يشرب المسكر .

فقال أبو عبد الله : اسرجوا لي حماري ، فاسرج له ، وركب ومضىٰ ومضيت معه حتى دخلنا علىٰ السيد وإن جماعة محدقون به ، فقعد أبو عبد الله عليه السلام عـند رأسه وقال : يا سيّد .

ففتح عينيه ينظر إلى أبي عبد الله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وقد اسـودّ وجـهه فجعل يبكي وعينيه إلى أبي عبد الله عليه السلام ولا يمكنه الكلام ، وأنا لنتبيّن فيه انه يريد الكلام ولا يمكنه ، فرأينا أبا عبد الله عليه السلام حرّك شفتيه فنطق السيد ، فقال : جعلني الله فداك أبأوليائك يفعل هذا ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا سيد قـل الحـق يكشـف الله مـا بك ويـرحـمك

ويدخلك جنّته التي وعد اوليائه فقال في ذلك:

❊ تجعفرت باسم الله والله أكبر ❊

أقول: وهذه الرواية تكشف لنا ان السيد تاب علىٰ يد الإمام عليه السلام[١]، وذلك بعد بناء بغداد بقليل وقبل استشهاد الإمام عليه السلام سنة ١٤٨ هـ وعلى أقرب التقادير انها بين سنة ١٤٤ و١٤٥ هـ.

ويبدو من الرواية الآتية ان السيد التقىٰ بالإمام عليه السلام في المدينة فهي امّا مدينة الرسول صلى الله عليه وآله أي في الحجاز، أو المقصود بها مدينة الكوفة وكان السيد يحمل ابريق شرابه إذْ لقيه الإمام فسأله ما في ابريقك؟ فأجابه خجلاً متورّعاً عن الفسق: انه لبن ثم ظهرت الكرامة للإمام فأيقن به ورجع إليه وقال بامامته ولكنه بقىٰ متساهلاً في أمر الشراب حتىٰ تاب توبة نصوح لما مرض وعقل لسانه واسودّ وجهه وزرقت عيناه

ورواية انقلاب الخمر لبناً كما هو في التنقيح، نقل عن حواشي الشيخ البهائي علىٰ الخلاصة انه كان كيسانياً وكان يشرب الخمر، فمرّ يوماً في طريق من طرق المدينة ومعه ابريق فيه خمر، فلقيه الصادق عليه السلام فقال: يا حميري ما في ابريقك؟ فقال: يا بن رسول الله انه لبن.

فقال له: صبّ في كفّي من اللّبن، فصبّه في كفّه فإذا هو لبن.

فقال له الصادق عليه السلام: مَنْ إمام زمانك؟

فقال: الذي حوّل الخمر لبناً[٢].

---

١ ـ تنقيح المقال ١/١٤٣.

٢ ـ تنقيح المقال ١/١٤٢ ترجمة ٩٠٣.

وبهذه المناسبة، قيل للسيد: كيف تشيّعت وأنت شاميّ حميري[١]؟

فقال: صبّت عليّ الرحمة صبّاً، فكنت كمؤمن آل فرعون[٢].

لهذا كانت الاشراف والامراء تبالغ في اكرامه حتى ان المنصور مع اشتهاره بالنصب عزل سوّار بن عبد الله عن القضاء لمّا ردّ شهادته وقذفه بالرفض[٣].

أطبق علماؤنا الاوائل تغمدهم الله برحمته كالصدوق والمرزباني والمفيد وابن شهر آشوب في المناقب والاربلي في كشف الغمّة، ومن المتأخّرين كالمحسن الامين العاملي والشيخ الحجة الثبت الاميني صاحب الغدير ... اطبق الجميع بالدليل والاثار المنقولة الصحيحة على ان السيد الحميري رجع عن عقيدته الكيسانية، واعتنق مذهب الإمامية، وتاب على يد الإمام الصادق، وأنشد قصائد عديدة تكاد لا تحصى في تصحيح عقيدته، وان الروايات على أنها متعددة مختلفة لكنها تتّحد في المفاد والمضمون، وهي تؤكّد انه اهتدى على يد الإمام الصادق، وبعضها تنصّ على أن مؤمن الطاق حاججه بامر من الإمام وقد الزمه الحجّة، كما ان اللقاء مع الإمام مع تسليمنا به وصحته عندنا إلّا أن فيه عدة روايات فمنهم من قال التقاه في الكوفة، وجملة من روايات أُخر تقول التقاه في الحج، وفي ذلك يقول:

صحّ قولي بالإمامه وتعجّلت السلامه

وأزال الله عنّي إذ تجعفرتُ الملامه

قلت من بعد حسين بعليّ ذي العلامه

---

١ ـ لان حميرهم انصار معاوية بن أبي سفيان. ونقل الخونساري عن المفيد ان الانحراف كان شايعاً في حمير قبيلة السيد أي انهم منحرفون عن علي عليه السلام.

٢ و ٣ ـ تنقيح المقال: ١٤٣/١ وروضات الجنّات ١٠٣/١.

أصبح السجّاد للـ إسلام والدين دعامه
قد أراني الله أمراً أسأل الله تمامه
كي ألاقيه به في وقت أهوال القيامه

ومن قصائده الصريحة في عقيدته التي أقام عليها حتىٰ أدركته المنيّة قصيدته الميميّة ومطلعها:

علىٰ آل الرسول وأقربيه سلامٌ كلّما سجع الحمام

يذكر فيها أسماء الأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد حتىٰ ينتهي إلىٰ الإمام القائم (عج) وإليك القصيدة بكامل أبياتها:

علىٰ آلِ الرسولِ وأقربيه سلامٌ كلّما سَجَع الحَمامُ
أليسوا في السّماءِ هُم نجومُ وَهُم أعلامُ عزٍّ لايرامُ
فيامن قد تحيَّر في ضلالٍ أمير المؤمنين هو الإمامُ
رسولُ الله يوم غدير خمٍّ أناف به وقد حضر الأنامُ
وثاني أمرهُ الحسنُ المرجّىٰ لهُ بيتُ المشاعرُ والمقامُ
وثالثُهُ الحسينُ فليسَ يخفىٰ سنا بدر إذا اختلط الظلامُ
ورابعُهُم عليُ ذو المساعي بهِ للدينِ والدنيا قوامُ
وخامسُهُم محمدُ ارتضاهُ لهُ في المأثراتِ إذن مقامُ
وجعفرُ سادسُ النجباءِ بدرُ ببهجته زها البدرُ التمامُ
وموسى سابعٌ ولهُ مقامُ تقاصر عن أدانيه الكرامُ
علي ثان والقبر منه بأرض الطوس إن قحطوا رهامُ
وتاسعُهُم طريدُ بني البغايا محمدُ الزكيّ له حُسامُ
وعاشرهُم عليُّ وهو حصنُ يحنُّ لفقده البلدُ الحرامُ

وحادي العشرِ مصباحُ المعالي مـنير الضوء الحسن الهمامُ
وثاني العشر حانَ له القيامُ مـحمّد الزكـيُّ بـه اعـتصامُ
اولئك في الجنان بهم مساغي وجيرني الخوامس والسّلام[1]

أقول: وسيأتي تعقيبنا علىٰ كلام محمد الخطيب في صدد هـذه القـصيدة راجع: جنايات أدبية من هذا الكتاب.

خلاصة ما قيل في عقيدته:

نستخلص من مجموع الاخبار والروايات المتقدمة أربعة آراء وهي:

١ ـ البعض من علماء الرجال قال عنه ثقة جـليل و... إلىٰ غـير ذلك مـن كلمات المدح والتعديل.

٢ ـ طائفة من علماء الرجال قالوا عنه: ممدوح وقد اوردوا جملة من تلك الأخبار.

٣ ـ وقسم ثالث ضعّفه بسبب شربه للخمر أو النبيذ واصـراره عـلىٰ ذلك واسوداد وجهه عند الاحتظار.

٤ ـ ومن شواذ الآراء تفسيقه كما في التكملة.

ثمرة البحث:

روايات التعديل والمدح والثناء هي أكثر من أن تُعد وقد جعله العلّامة ﷺ في القسم الاول من الخلاصة، فهو من الثقات بلا ريب ومما يستدلّ علىٰ ذلك:

أوّلاً: كونه أحد الاربعة الذي انتهىٰ إليهم عـلم الأئـمة عليهم السلام وهـم سـلمان

---

١ ـ كشف الغمة ١٢٤ والديوان ص٣٥٧.

الفارسي وجابر بن يزيد الجعفي والسيد الحميري ويونس بن عبد الرحمن.

ثانياً: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الترحم عليه.

ثالثاً: النصوص الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في تزكيته وكونه مغفوراً له منها قوله عليه السلام لمّا قيل له أنه يشرب النبيذ: (وما ذلك على الله أن يغفر لمحب علي..) وقوله عليه السلام: (... ان زلت له قدم فقد ثبتت له أخرىٰ) وقوله عليه السلام: (... تلحق مثله التوبة ولا يكبر علىٰ الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا) وقوله عليه السلام عن أبيه عن جدّه: (... أن محبّي آل محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب، ورفع مصلّى كانت تحته، فاخرج كتاباً من السيد يعرّفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له)[1].

رابعاً: ما جاء في الرؤيا عن النبي صلى الله عليه وآله وأن السيد كان ينشده قصيدته العينية ثم دخول الإمام الرضا عليه السلام علىٰ جده الرسول صلى الله عليه وآله إذ قال النبي للرضا عليه السلام سلّم علىٰ مادحنا ثم قال له مر شيعتنا بحفظها ومن حفظها و أدمن قراءتها ضمنت له الجنة.

خامساً: الكرامة التي حصلت للسيد عند الاحتضار والبياض الذي تصدّر في وجهه ثم أنشد السيد على الفور أبياته التائية:

كذبَ الزاعِمُون أن علياً لا يُنجي محبّه مِنْ هَناتِ[2]

سادساً: رجوعه عن الكيسانية وقوله بالحق وتوبته مما أجمع عليه المؤرّخون وأهل السيرة وعلماء الرجال من الطائفة المحقّة وهذا أدل دليل ـ بعد ترحم الإمام عليه ـ علىٰ وثاقة السيد ونجاته والله المسدد وهو العالم بخفايا الأمور.

١ـ الأغاني: ٢٧٧/٧.

٢ـ مجالس المؤمنين ٥١٥/٢، انظر: هوامش صفحة ١٥٨ و ١٦٠.

الفصل الرابع

السيّد الحميري

وقصيدته العينية المشهورة

القصيدة العينية

قال أبو الفرج الاصفهاني: أخبرني أحمد بن عليّ الخفاف قال حدّثني أبو اسماعيل ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن طباطبا قال: سمعت زيد بن موسىٰ بن جعفر يقول رأيت رسول الله ﷺ في النوم وقُدّامه رجل جالس عليه ثيابٌ بيضٌ، فنظرت إليه فلم أعرفه، إذ التفت إليه رسول الله ﷺ فقال: يا سيد انشدني قولك:

❊ لأُمِّ عمرو باللِّوىٰ مَرْبَع ❊

فانشده ايّاه كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلّها في النوم، قال أبو اسماعيل: وكان زيد بن موسىٰ لحّانةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتعتع فيها ولم يَلحَن[1].

وإليك أبيات القصيدة كاملة:

القصيدة العينيّة

لأُمِّ عَمرٍو بِاللِّوى مَرْبعُ طامِسةُ أعلامُها بَلقعُ[2]

---

١ ـ الاغاني ٢٥١/٧، وذكر الحديث الحافظ المرزباني في (أخبار السيد) ص٣٦ والديوان ٢٦٢ وتجد القصيدة في ظرافة الاحلام ص١٢ والغدير ١٩٨/٢ وأعيان الشيعة ١٦٧/١٢، وضحى الإسلام ٣٠٩/٣ والبحار ١٥٠/١١ ومجالس المؤمنين ٥٠٩/٢.

٢ ـ ام عمرو: رمز يعبّر به عن مطلق الحبيبه.

اللوى: ما التوىٰ من الرمل أو مسترقّه، والمربع منزل القوم في الربيع.

طامسة، من الطموس: الدروس والانمحاء، البلقع: الارض القفر الذي لا شيء بها.

تـــروحُ عـــنها الطـيرُ وحشـيَّةً ... والأُســـدُ مـــن خِـيفَتِهِ تَـفْزَعُ[١]

رقشٌ يـخاف المـوت من نفشها ... والســمُّ فـــي أنـيابها مـنقعُ[٢]

بـــــرسمِ دارٍ مـــابِها مُـــونسُ ... إلّا صـــلالُ فـــي الثّـــرىٰ وُقّـــعُ

لمّـا وقـفتُ العِـيسُ فـي رَسـمِها ... والعَـــينُ مِـــنْ عِـرفانِهِ تَـدْمعُ[٣]

ذكـرتُ مَـن قـد كُـنتُ ألهُو بـهِ ... فَـــبتُّ والقَـلبُ شَـجٌّ مـوجعُ[٤]

كأنّ بِـــــالنارِ لِـــما شـــفّني ... مـــن حُبِّ أروىٰ كـبدي تـلذعُ[٥]

عَـجبتُ مِـن قـومٍ أتـوا أحـمداً ... بـــــخطبةٍ ليس لهـــا مـــوضِعُ

قـــالوا له: لو شـــئتَ أعـلمتنا ... إلىٰ مَـــن الغـــايةُ والمـــفزعُ[٦]

إذا تُـــــوفّيتَ وفـــــارَقْتَنا ... وفـيهمُ فـي المـلك مَـن يـطمَعُ

فـــقال: لو أعـــلَمْتُكُمْ مَـــفْزعاً ... كُـنتُمْ عَسَـيتُمْ فـيهِ أن تَـصنعوا

صَـــنيعَ أهـلِ العِـجلِ إذْ فـارقُوا ... هـــارونَ فـــالتّركُ لهُ أوسـعُ[٧]

---

١ ـ وفي نسخة البحار:

تروح عنه الطير ... والاسد.

٢ ـ وفي نسخة البحار:

رقش يخاف الموت نفثاتها.

٣ ـ وفي نسخة البحار:

لمّا وقفن ...

العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة.

٤ ـ والقلب شج، الشجو: الهمّ والحزن.

٥ ـ وفي نسخة البحار: ... تلدغ.

٦ و ٧ ـ (قوله فالترك) إشارة إلى سؤال الصحابة لمّا جاءوا يعودون الرسول صلى الله عليه وآله في مرضه. فالترك لهذا السؤال أودع لكم من الدعة بمعنى الراحة والخفض. أي إنّ كنتم تصنعون مثل صنيع بني اسرائيل لمّا ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربّه وخلّف فيهم أخاه هارون عليه السلام، إلّا أن القوم استضعفوه فعكفوا يعبدون العجل ويتّبعوا أقوال السامري.

وفـــي الّـــذي قـــالَ بـيانٌ لِـمَنْ ... كـــــان إذا يَـــعْقِلُ أو يَسْـــمَعُ
ثـــمَّ أتَـــتْهُ بَـــعدَ ذا عَـــزْمةُ ... مِـــن ربِّـــه ليسَ لهـــا مـــدفعُ
بَـــلِّغْ وإلّا لم تكُـــنْ مُـــبلِغاً ... واللهُ مِـــــنْهُم عـــاصمٌ يَـــمْنعُ
فَـــعِندها قـــام النَّـــبيَّ الذي ... كـــانَ بـــما يُأمَـــرُ بـــه يَـــصْدَعُ
يَـــخْطبُ مأمـــوراً وفـــي كَـــفِّهِ ... كـــفُّ عـــليٍّ ظـــاهراً تـــلمعُ
رافِـــعُها أكـــرِم بكـــفٍّ الذي ... يَـــرفَعُ والكـــفِّ الذي تـــرفعُ
يـــقولُ والأمـــلاكُ مِـــن حَـــوْله ... واللهُ فـــيهم شـــاهِدُ يَسْـــمَعُ
مـــن كُـــنتُ مـــولاهُ فـهذا لَـهُ ... مَـولىً فَلَم يَرضُوا وَلَم يقنعوا[1]
فـــاتّهمُوهُ وحـــنّتْ فـــيهم[2] ... عـــلىٰ خـــلاف الصـــادق الاضـــلُعُ
وضـــلّ قـــومٌ غـــاظهم فِـــعلُهُ ... كأنّـــــما آنـــــافُهُم تُـــجْدعُ
حـــتىٰ إذا وارَوهُ فـــي لحـــده[3] ... وانـــصرَفُوا عـــن دَفْـــنِهِ ضَـــيَّعُوا
مـــا قـــالَ بـــالأمس وأوصـــىٰ بـــهِ ... واشـــتَرَوا الضـــرَّ بـــما يـــنفعُ
وقـــطَّعوا أرحـــامَهُ بَـــعْدَهُ ... فســـوفَ يُـــجزَون بـــما قَـــطَّعوا
وأزمَـــعُوا غَـــدراً بـــمولاهُمُ ... تَـــبّاً لمـــا كـــان بـــه أزمَـــعُوا
لاهُـــمْ عَـــلَيهِ يَـــرِدُوا حَـــوْضَه ... غـــداً ولاهُـــو فِـــيهم يشـــفعُ
حـــوضٌ لَـــهُ مـــا بـــينَ صـــنعا إلىٰ ... أيـــلةَ والعـــرض بـــه أوسَـــعُ[4]
يُـــنْصَبُ فـــيهم عَـــلمُ للـــهدىٰ ... والحـــوضُ مِـــن مـــاءٍ لَـــهُ مُـــتْرَعُ

---

١ ـ وفي نسخة البحار : يسمع .

٢ ـ وفي نسخة البحار : منهم .

٣ ـ وفي نسخة البحار : قبره .

٤ ـ أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . قيل هي آخر الحجاز وأول الشام .

يَـفيضُ مـن رحـمَتِهِ كَـوثَرُ ... أبـيضُ كـالفِضَّةِ أو أنـصَعُ
حـصاهُ يـاقُوتُ ومَـرجـانَةُ ... ولؤلؤٌ لم تَـجْنِهِ إصـبَعُ
بـطحاؤه مِسكُ وحـافاتُهُ ... يَـهتزُّ مِـنها مُـونِقٌ مَـزبَعُ
أخـضَرُ مـا دونَ الورىٰ نـاضرٌ ... وفـاقِعٌ أصـفرُ أو أنـصَعُ
فـيهِ ابـاريقُ وقِـدْ حَـانُهُ ... يَـذبُّ عـنها الرَّجُـلُ الأصلَعُ
يـذبُّ عـنها ابـنُ أبـي طـالبٍ ... ذبّـاً كـجربا إبـلٍ شُـرَّعِ[1]
والعِـطرُ والرَّيـحانُ أنـواعُـهُ ... ذاكٍ وقـد هَـبّتْ بِـهِ زَعـزَعُ
رِيـحُ مِـنَ الجـنّةِ مأمـورةٌ ... ذَاهـبةٌ ليسَ لهـا مَـرجِعُ
إذا دَنَـوا مـنه لِكَـي يَشـرَبُوا ... قـيلَ لَـهُم: تَـبّاً لَكُـمْ فَـارْجِعوا
دُونكُـمُ فـالتَمِسوا مَـنهلاً ... يـرويكُمُ أو مَـطْعَماً يُشْـبِعُ
فـالفوز للشـاربِ مـن حـوضِهِ ... والويـلُ والذلُّ لِـمَن يُـمْنَعُ
والنـاسُ يـومَ الحشـرِ رايـاتُهُم ... خـمسٌ فـمنها هـالِكٌ أربَـعُ[2]
فـرايـةُ العِـجلِ وفِـرعَونُها ... وسـامريُّ الأُمّـةِ المُشـنَعُ[3]

---

١ ـ يروىٰ عجز البيت ... ذبّكَ جُربى إبلٍ تشرع.
انظر: شرح الفاضل الهندي (اللالي العبقرية).
٢ ـ وفي نسخة الغدير والاغاني: يوم البعث.
٣ ـ لقد أورد الاصفهاني هذا البيت والابيات الثلاثة الآتية برواية أخرىٰ، إذ عمد إلىٰ تحريفها.
انظر ج٧ ص٢٥٢ من كتاب الاغاني وإليك الابيات برواية أبي الفرج:

فالناسُ يوم البعث راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع
قائدها العجل وفرعونهم ... وسامريُّ الأُمَّة المفظعُ
ومارقٌ من دينه مخرجٌ ... أسود عبد لكّع أوكعُ
ورايةٌ قائدها وجهه ... كأنّه الشمس إذا تطلعُ

اللكع: اللئيم والعبد الاحمق.

ورايـــــةُ يَـــقدِمُها أدلمُ عـــبدُ لَـــئيمُ لكـــعُ أكـــوَع[١]
ورايـــــةُ يَـــقدِمُها حَـــبترُ للـــزّورِ والبُـــهتانِ قَـــدْ أبـــدَعوا[٢]
ورايـــــةُ يِـــــقدِمُها نَـــغثلُ لا بَـــــرَّد اللهُ لهُ مَـــــضْجَع[٣]
أربـــعةُ فـــي سَـــقَر أُودِعُـــوا ليسَ لهـــم مـــن قـــعرِها مَـــطْلَعُ
ورايـــــةُ يَـــقدِمُها حـــيدرُ وَوَجْـــهُهُ كـــالشَّمس إذ تَـــطْلَعُ
غـــداً يُـــلاقي المُـــصطفىٰ حَـــيدرُ ورايـــــةُ الحَـــمدِ لَـــهُ تُـــرفعُ
مـــــولىً لهُ الجِـــنَّةُ مأمُـــورةُ والنـــارُ مـــن إجـــلالِهِ تَـــفْزَعُ
إمـــــامُ صِـــدقٍ وَلَـــهُ شِـــيعةُ يُـــروَوا مـــن الحَـــوضِ ولم يُـــمنَعُوا
بِـــذاكَ جـــاءَ الوحـــيُ مِـــن رَبِّـــنا يـــا شـــيعةَ الحـــقِّ فـــلا تَـــجْزَعوا
الحِـــمْيريُّ مـــادِحُكُم لمْ يَـــزَل ولم يُـــــقَطَّع إصـــــبع إصـــــبع
وبـــعدَها صَـــلُّوا عـــلىٰ المُـــصطفىٰ وصِـــــنوه حـــيدرة الأصْـــلَعُ

ما يتبع القصيدة:

في أخبار السيد للحافظ المرزباني عن فُضيل بن عمر الحبال قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام بعد قتل زيد فجعل يبكي ويقول: رحم الله زيداً إنه للعالم الصدوق، ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه.

فقلت: انشدك شعر السيد؟

فقال: أمهل قليلاً. وأمر بستور فسدلت وفتحت أبوابٌ غير الأُولىٰ ثم قال: هات ما عندك. فانشدته:

* لأُمِّ عَمرو باللِّوى مَربُعُ .... *

---

١ و ٢ و ٣ ـ أنظر تعليقة البيت السابق لهذه الأبيات الثلاثة.

وذكر من القصيدة ١٣ بيتاً. فسمعت نحيباً من وراء الستور ونساء تبكين، فجعل يقول: شكراً لك يا اسماعيل قولك.

فقلت له: يا مولاي انه يشرب نبيذ الرساتيق.

فقال: يلحق مثله التوبة ولا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا[1].

وفي البحار، قال المجلسي: وجدت في بعض تأليفات أصحابنا أنه روي بإسناده عن سهل بن ذبيان قال: دخلت على الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام في بعض الايّام قبل أن يدخل عليه أحد من الناس.

فقال لي: مرحباً بك يا ابن ذبيان، الساعة أراد رسولنا أن يأتيك لتحضر عندنا.

فقلت: لماذا يا ابن رسول الله؟ فقال: لمنام رأيته البارحة، وقد ازعجني وارّقني.

فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى.

فقال: يا ابن ذبيان رأيت كأنّي قد نُصب لي سلّم فيه مائة مرقاة، فصعدت إلى أعلاه، فقلت: يا مولاي أُهنّيك بطول العمر، وربّما تعيش مائة سنة لكلّ مرقاة سنة، فقال لي عليه السلام: ما شاء الله كان.

ثم قال: يا ابن ذبيان، فلما صعدت إلى أعلى السلّم رأيت كأني دخلت في قبّة خضراء يُرى ظاهرها من باطنها، ورأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً فيها، وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان، يُشرق النور من وجوههما، ورأيت امرأة

---

١ ـ أخبار السيد الحميري ص٣٢، رجال الكشي ص١٨٤، أعيان الشيعة ١٦٦/١٢، مجالس المؤمنين ٥١١/٢، قاموس الرجال ٦٦/٢ و٧٠، الغدير ٢٢١/٢، بحار الأنوار ٢٠٣/١١.

بهيّة الخلقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهيّ الخلقة جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ هذه القصيدة:

❊ «لأمّ عمرو باللّوى مربع ...» ❊

فلمّا رآني النبي ﷺ قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا علي بن موسىٰ الرضا سلّم علىٰ أبيك عليّ، فسلّمت عليه، ثم قال لي: سلّم علىٰ امّك فاطمة الزهراء فسلّمت عليها، فقال لي: وسلّم علىٰ أبويك الحسن والحسين فسلّمت عليهما، ثم قال لي: وسلّم علىٰ شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيد اسماعيل الحميريّ، فسلّمت عليه؛ وجلست فالتفت النبي إلىٰ السيد اسماعيل فقال له: عُد إلىٰ ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة فانشد يقول:

لأمَّ عمرو باللوى مربع طامسة أعلامها بلقعُ

فبكىٰ النبي ﷺ فلمّا بلغ إلىٰ قوله:

❊ «ووجهه كالشمس إذ تطلع» ❊

بكىٰ النبي ﷺ وفاطمة عليها السلام معه ومَن معه، ولمّا بلغ إلىٰ قوله:

قالوا له لو شئت اعلمتنا إلىٰ من الغاية والمفزعُ

رفع النبي ﷺ يديه وقال: إلهي أنت الشاهد عليّ وعليهم أنّي أعلمتهم أن الغاية والمفزع عليُّ بن أبي طالب وأشار بيده إليه، وهو جالس بين يديه صلوات الله عليه:

قال علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام فلما فرغ السيد اسماعيل الحميري من إنشاد القصيدة التفت النبي ﷺ إليّ وقال لي: يا علي بن موسىٰ احفظ هذه القصيدة ومُر شيعتنا بحفظها، وأعلمهم أنّ مَنْ حفظها وأدمن قراءتها ضمنت له الجنّة علىٰ الله تعالىٰ.

قال الرضا عليه السلام : ولم يزل يكرّرها عليّ حتىٰ حفظتها منه .

اقول : ممّن روىٰ هذا المنام جمع غفير من أعلام الشيعة في كتبهم الرجالية والتاريخية والادبية ، منهم : الشهيد السيد القاضي المرعشي في المجالس[١] ، والكشي في رجاله[٢] كما أشار إليه القاضي ، وأبو علي في رجاله[٣] ، والشيخ الصدوق في عيون الاخبار كما أشار إليه أبو علي الآنف الذكر ، والعلامة المامقاني في التنقيح[٤] والسيد الامين العاملي في الأعيان[٥] الطبع القديم ، والمولىٰ محمد قاسم الهزارجريبي في شرح القصيدة ، والسيد الزنوزي في الروضة الاولىٰ من كتابه رياض الجنّة ، والسيد محمد مهدي في آخر رياض المصائب والعلامة الاميني في الغدير[٦] .

قال محمد بن داوود بن الجرّاح في روايته عن اسحاق النخعي : حدّثني عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن علي بن اسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان[٧] قال :

دخلت علىٰ جعفر بن محمد أُعزّيه عن عمّه زيد ، ثم قلت له : ألا أُنشدك شعر السيّد ؟

---

١ ـ مجالس المؤمنين ص٤٣٦ .

٢ ـ رجال الكشي (معرفة اختيار الرجال) ج ٢/٥٧٠ .

٣ ـ منتهى المقال ص١٤٣ .

٤ ـ تنقيح المقال ١٤٣/١ .

٥ ـ أعيان الشيعة ١٧٠/١٣ ط ١ .

٦ ـ الغدير في الكتاب والسنة ٢٢٢/٢ .

٧ ـ فضيل بن الزبير الاسدي الرسان مولاهم الكوفي ، من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ، كما في رجال الشيخ الطوسي ، وجاء في هامش الاغاني ٢٥٢/٧ أنه من متكلمي الزيدية ، وفي تفسير علي بن ابراهيم عدّه من رواة أسانيده الثقات ج ٣٨٨/٢ .

فقال : أنشد ؛ فانشدتُه قصيدةً يقول فيها :

فالناس يوم البعث راياتُهم خمسٌ فمنها هالكٌ اربَعْ

إلىٰ آخر الابيات ...

يقول فضيل : فسمعت نحيباً من وراء الستور . فقال من قائل هذا الشعر ؟

فقلت : السيد . فقال : رحمه الله .

فقلت : جُعِلت فداك ! إني رأيته يشرب الخمر .

فقال : رحمه الله فما ذنب علىٰ الله أن يغفره لآل عليّ ، إن محب علي لا تزلّ له قدَمٌ إلّا تثبتُ له أُخرىٰ .

شروح القصيدة العينيّة :

لقد اهتم العلماء والادباء بهذه القصيدة ، فافردوا لها شروحاً عديدة ومهمّة ، ونحن نذكر اهمّها :

١ ـ شرح الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانساري المتوفّىٰ عام ١٠٩٩ هـ.

٢ ـ شرح ميرزا علي خان الگلبايگاني من تلاميذ المجلسي .

٣ ـ شرح محمد قاسم الهزارجريبي المتوفّىٰ سنة ١١١٢ هـ.

٤ ـ شرح بهاء الدين محمد بن تاج الدين الحسن الاصبهاني المعروف بالفاضل الهندي المتوفّىٰ سنة ١١٣٥ هـ.

٥ ـ شرح المولى محمد حسين القزويني من علماء القرن الثاني عشر .

٦ ـ شرح (موجّه الكوثري) للسيد محمد نقوي نصير آبادي ، طبع سنة ١٢٦٧ هـ في لكنهو الهند .

٧ ـ شرح الحاج محمد رضا القراجه داغي التبريزي من علماء القرن الثالث عشر، فرغ من الشرح سنة ١٢٨٩ هـ.

٨ ـ شرح المولى صالح بن محمد البرغاني.

٩ ـ شرح السيد محمد عباس ابن السيد علي أكبر الموسوي المتوفّىٰ سنة ١٣٠٦ هـ.

١٠ ـ شرح الحاج حسن ابن الحاج محمد ابراهيم الاردكاني المتوفّىٰ سنة ١٣١٥ هـ.

١١ ـ شرح الشيخ بخش علي اليزدي الحائري المتوفّىٰ عام ١٣٢٠ هـ.

١٢ ـ شرح الميرزا فضل علي بن عبد الكريم الإرواني التبريزي المتوفّىٰ عام ١٣٣٧ هـ.

١٣ ـ شرح الشيخ علي بن علي رضا الخوئي المتوفّىٰ عام ١٣٥٠ هـ.

١٤ ـ شرح السيد أنور حسين الهندي المتوفّىٰ عام ١٣٥٠ هـ.

١٥ ـ شرح السيد علي أكبر ابن السيد رضي الرضوي البرقعي.

١٦ ـ شرح الحاج علي التبريزي مؤلّف وقايع الايّام[1].

١٧ ـ شرح اقا كمال الفسوي الشيرازي؛ شارح قصيدة دعبل أيضاً.

١٨ ـ شرح المولى محمد القمي المعاصر للعلامة اغا بزرك الطهراني.

١٩ ـ شرح السيد مرتضى ابن السيد علي رضا الحسيني فرغ من الشرح عام ١٢٩٠ هـ.

٢٠ ـ شرح لبعض علماء الهند يوجد في مكتبة راجه فيض آباد.

٢١ ـ شرح ملا حبيب الله شريف الكاشاني المتوفّىٰ سنة ١٣٤٠ هـ، فرغ

---

١ ـ هذه الشروح اوردها العلامة اغا بزرك الطهراني في الذريعة ٩/١٤ والعلامة الاميني فراجع.

من تأليفه سنة ١٢٩٩ هـ.

٢٢ ـ شرح جمال العلماء بن حسام الحسامي، كتبه سنة ١٣١٣ هش.

٢٣ ـ شرح العينية للشيخ محمد باقر البيدگلي الكاشاني.

٢٤ ـ رياض الجنان في شرح وترجمة القصيدة العينية باللغة الفارسية، والشرح منظوماً للشيخ محمد حسن النجفي الملقّب بـ(غائبي) من تلاميذ المحدّث الشيخ عباس القمي.

الفصل الخامس

السيّد الحميري

ووفاته

نجاته من الهلاك وما في ذلك من حُسن العاقبة:

روى الكشي عن نصر بن الصباح، عن أبي عيسىٰ، عن ابن أبي نجران، عن أبي بكير، عن محمد بن النعمان، قال: دخلت علىٰ السيد بن محمد وهولما به قد اسودّ وجهه وزرق عيناه وعطش كبده، وهو يومئذ يقول بمحمد بن الحنفيّة، وهو من حشمه وكان ممّن يشرب المسكر، فجئت، وكان قد قدم أبو عبد الله عليه السلام الكوفة، لأنه كان انصرف من عند أبي جعفر المنصور، فدخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جُعلت فداك إنّي فارقت السيد بن محمد الحميري لِما قد اسودّ وجهه، وازرقّت عيناه، وعطش كبده، وسُلِب الكلام، فانه كان يشرب المسكر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أسرجوا حماري، فأُسرج له، وركب ومضىٰ، ومضيت معه، حتّىٰ دخلنا علىٰ السيد، وإن جماعة محدقون به، فقعد أبو عبد الله عليه السلام عند رأسه وقال: يا سيد ففتح عينه ينظر إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وقد اسودّ، فجعل يبكي وعينه إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام ولا يُمكنه الكلام، وإنا لنتبيّن منه أنه يريد الكلام ولا يمكنه.

فرأينا أبا عبد الله عليه السلام حرّك شفتيه، فنطق السيد فقال: جعلني الله فداك أبأوليائك يُفعل هذا؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا سيد قل بالحقّ يكشف الله ما بك ويرحمك، ويدخلك جنّته التي وعد اولياءه.

فقال في ذلك:

❊ « تجعفرت بسم الله والله أكبر » ❊

فلم يبرح أبو عبد الله عليه السلام حتىٰ قعد السيد علىٰ إسته[١].

أقول: هذه الرواية تؤكّد لنا يوم عَدَلَ السيد الحميري عن مذهب الكيسانيه، والتزامه بالمذهب الحق الذي عليه الإمامية.

ولا يصح جعل هذه الرواية يوم كان السيد يحتضر احتضار الموت لان الإمام الصادق عليه السلام توفي سنة ١٤٨ هـ أي قبل وفاة السيد الحميري بأكثر من (خمس وعشرين) سنة.

وما ورد في الاغاني ٢٤١/٧ عن التميمي عن أبيه عن فضيل الرسان انه انشد قصيدة السيد ـ العينية ـ المارة الذكر للإمام الصادق عليه السلام وقد سأله الإمام عن السيد فعرّفه وفاته.. انه غير صحيح كما علمت فانتبه.

اما ترحم الإمام الصادق عليه السلام للسيد لعلمِهِ عليه السلام أو لكونه انه علىٰ يقين مما تؤول إليه عاقبة الشاعر وتوبته. وهذا يعني أن الترحم قد صدر والشاعر علىٰ قيد الحياة.

وروىٰ الكشي، قال: حدّثني أبو سعيد محمد بن رشيد الهروي، قال: حدّثني السيد وسمّاه وذكر انه خيّر، قال: سألته عن الخبر الذي يروىٰ أن السيد أسودّ وجهه عند موته، فقال: ذلك الشعر الذي يروىٰ له في ذلك ما حدّثني أبو الحسين بن أبي أيوب المروزي قال: روي ان السيد بن محمد الشاعر اسودّ وجهه عند الموت، فقال: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟

قال: فأبيضّ وجهه كأنه القمر ليلة البدر فأنشأ يقول:

أحب الذي من مات من أهل ودّه تلقاه بالبشرىٰ لدىٰ الموت يضحك

ومن مات يهوىٰ غيره من عدوّه فليس له إلّا إلى النار مسلك

---

١ ـ رجال الكشي ٥٧٣/٢.

أبـا حسـن تـفديك نـفسي وأسـرتي ... ومالي وما أصبحت في الارض أملك
أبـــا حســـن انـــي بـــفضلك عـــارف ... وانـــي بـــحبل مـــن هـــواك لمـــمسك
وأنت وصـي المـصطفىٰ وابـن عـمّه ... فـــانا نـــعادي مـبغضيك ونـترك
مُـواليك نـاج مـؤمن بـيّنُ الهُـدىٰ ... وقـاليك مـعروف الضـلالة مشـرك
ولاحٍ لحـــاني فـــي عـلي وحـزبه ... فـــقلت لحـــاك الله إنّك أعـفَكَ[1]

وفاته:

اختلف الرواة في مكان وسنة وفاة الحميري وعـلىٰ الارجـح انـه تـوفي ببغداد سنة ١٧٥ هـأو بعدها بقليل وقيل سنة ١٧٩ هـ[2] وإنَّ أخبارَ ساعةَ احتضارِه مشهورة متواترة، منها:

روى المرزباني باسناده عن أبي حودان قال: حضرت السيّد ببغداد عـند موته فقال لغلام له: إذا متُّ فأت مجمع البصريين واعلمهم بموتي وما اظنّه يجيء منهم إلّا رجل أو رجلان ثم أذهب إلىٰ مجمع الكوفيّين فأعلمهم بموتي وأنشدهم قولي:

يـا أهـلَ كـوفان إنّـي وامـقٌ لكـم ... مُذ كُنتُ طِفلاً إلىٰ السبعين والكـبرِ
أهـــواكُـمُ وأُواليكُـم وأمـدحكُم ... حَـتماً عـليّ كـمحتومٍ مـن القـدرِ
لحـبّكم لوصـيِّ المـصطفىٰ وكـفىٰ ... بـالمصطفىٰ وبـه مـن سـائر البشـرِ
والســيدين أُولي الحسـنى ونـجلهمُ ... ســميُّ مـن جـاء بـالآيات والسـورِ
هو الإمـامُ الذي نـرجُـو النـجاةَ بـهِ ... من حرِّ نـارٍ عـلىٰ الاعـداء مسـتعرِ

---

١ ـ رجال الكشي ٢/٥٧١.

٢ ـ الكنىٰ والالقاب للقمي ٢/٣٠٦.

كتبتُ شعري إليكم سائلاً لكم ... إذْ كنتُ انقلُ من دارٍ إلىٰ حفرِ
أن لا يليني سِواكم أهل بصرتنا ... ألجاحدون أو الحادُون لِلبُدَرِ
ولا السلاطين انّ الظلم حالفهم ... فعُرفهم صائر لا شكّ للنكرِ
وكفّنوني بياضاً لا يخالطه ... شيءُ من الوشي أو من فاخر الحبرِ
ولا يُشيعني النصّاب إنّهم ... شرُّ البريّة من أنثىٰ ومن ذكرِ
عسىٰ الإله ينجّيني برحمته ... ومدحي الغرر الزّاكين من سقرِ

فانهم ليسارعون إليّ ويكبرون.

فلمّا مات فعل الغلام ذلك فما أتىٰ من البصريين إلّا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان وعطر، وأتىٰ من الكوفيين خلق عظيم معهم سبعون كفناً.

ووجّه هارون الرشيد بأخيه علي وبأكفان وطيب، فرُدّت أكفان العامّة عليهم وكفّن في أكفان الرشيد وصلّىٰ عليه عليّ بن المهدي وكبّر خمساً على طريقة الإمامية، ووقف علىٰ قبره إلىٰ أن سُطح ومضىٰ ودفن في جُنينة ناحية من الكرخ مما يلي قطيعة الربيع بن يونس حاجب المنصور[1].

وفي حديث موته له مكرمة قد ذهب بها الركبان وتناقلته العامة والخاصة، وليس لمحبّي عليّ ذلك بكثير، بل له المقامات السامية عند مليك عزيز مقتدر.

قال بشير بن عمّار حضرت وفاة السيد في الرميله ببغداد فوجّه رسولاً إلىٰ صفّ الجزّارين الكوفيّين يُعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب إلىٰ صفّ السموسين[2] فشتموه ولعنوه، فعلم انّه قد غلط، فعاد إلىٰ الكوفيّين يُعلمهم بحاله

---

١ ـ أخبار السيد للمرزباني ص٤٩ وأعيان الشيعة ١٢/٢٠٩ والغدير ٢/٢٧٣.

٢ ـ السموسين: تصحيف لكلمة (بين السورين)، وفي تاريخ بغداد القديمة كانت هذه المحلة تابعة لـ ⇐

ووفاته فوافاه سبعون كفناً قال:

وحضرنا جميعاً وانه ليتحسّر شديداً وان وجهه لإسودَّ كالقار وما يتكلّم إلّا أن افاق إفاقة وفتح عينيه فنظر إلىٰ ناحية القبلة ـ جهة النجف الاشرف ـ ثم قال: يا أمير المؤمنين اتفعل هذا بوليّك ؟

قال: فتجلّىٰ والله في جبينه عرقٌ بياضٌ فما زال يتّسع، ولبس وجهه حتىٰ صار كلّه كالبدر وتوفّي فاخذنا في جهازه ودفنّاه في الجُنينة بـبغداد وذلك فـي خلافة الرشيد[1].

وفي أمالي الشيخ والمناقب وكشف الغمة وغيرها: قال الحسين بن عون: دخلت علىٰ السيد الحميري عائداً في علّته التي مات فيها فـوجدته يُسـاق بـه ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيّد جـميل الصـورة رحيب الجبهة عريض ما بين السالفتين فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ثم لم تزل تزيد وتنمي حتّىٰ طبقت وجهه يعني إسوداداً فاغتمّ لذلك من

⇒ (باب الشماسية) وهي محلة معروفة وجاء ذكرها في كثير من المصادر التاريخية لبغداد وكانت هذه المحلة تسمى بـ(محلة السور) وتعرف أيضاً بمحلة (بين السورين) وهي في الجانب الغربي. وفـي الأصل قد اقطع المنصور الدوانيقي لوزيره الربيع قطعتين احدها قطيعته الخارجة وقطيعة أخرى (بين السورين) ظهر درب جميل.

وان التجار وساكنين قطيعة الربيع غصبوا ولد الربيع عليها.

انظر: خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ص٨٦ وقد ورد في المصادر التاريخية ان الرشيد قد عقد عند باب الشماسية جسرين. وهكذا ورد في أنهر وجداول بغداد قديماً: كان يحمل من نهر الخالص نهرٌ يقال له: نهر الفضل إلى أن ينتهي إلىٰ باب الشماسية.

المصدر السابق ص١٢٢ و١٢٣.

وعليه ان كلمة (السموسين) مصحّفة من كلمة (بين السورين) وكانت فيها قطيعة الربـيع بـن يـونس حاجب المنصور، والخبر المتقدّم عن المرزباني يعضّد ذلك.

١ ـ الاغاني ٢٧٨/٧.

حضره من الشيعة فظهر من الناصبة سرورٌ وشماتةٌ فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتىٰ بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد بياضاً وتنمي حتىٰ إسفرّ وجهه وأشرق وإفترّ السيد ضاحكاً وأنشأ يقول:

كـذبَ الزاعِـمُون أنّ عَـلياً ... لا يُـنجّي مُـحِبّه مـن هَـناتِ

قَدْ وربّي دَخلتُ جنةَ عـدنٍ ... وعـفا لي الإلهُ عَـنْ سـيّئاتي

فـابشروا اليـومَ أولياء عـليٍّ ... وتـولّوا عـليَّ حَـتّىٰ المَـمَاتِ

ثـم مـن بـعده تـولوّا بـنيه ... وَاحداً بَعْدَ واحدٍ بالصّفات[1]

ثم اتبع ذلك بقوله أشهد أن لا إله إلّا الله حقاً حقاً، وأشهد أن محمداً رسول الله حقاً حقاً، وأشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً حقاً، وأشهد أن لا إله إلّا الله ثم غمّض عينيه بنفسه، فكأنّما كانت روحه ذُبالةً طفأت، أو حصَاةً سقَطت[2].

---

١ ـ مجالس المؤمنين ٥١٥/٢، وكشف الغمة ٤٠/٢ ط دار الكتاب الإسلامي بيروت.

٢ ـ انظر أمالي الشيخ ص٤٣ ومناقب ابن شهر آشوب ٢٠/٢ وروضات الجنّات ٣٠/١ ومجالس المؤمنين ٥١٥/٢ والبحار ٢٠٣/١١ وكشف الغمّة ص ١٢٤.

أقول: لقد رجّحنا في سنة وفاة السيد ـ كما تقدّم ـ سنة ١٧٥ هـ وذلك لان سنة ولادة الشاعر المجمع عليه بين المؤرخين هي سنة ١٠٥ هـ وقد ذكر الشاعر ساعة احتضاره انه بلغ السبعين لقوله:

يا أهل كـوفان انـي وامـق لكـم ... مذ كنت طفلاً إلىٰ السبعين والكبر

الفصل السادس

السيّد الحميري

وآراء العلماء فيه

ما قيل فيه :

أولاً : قال ابن المعتز : وقصائده الجياد كثيرة لو اشتغلنا بذكرها لطال شغلنا[1].

ثانياً : ـ قال أبو الفرج :

وكان شاعراً متقدّماً مطبوعاً ، يقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشّار ، وأبو العتاهيه ، والسيّد : فانه لا يُعلم أن احداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم اجمع[2].

ثالثاً : ـ وقال فيه ابن دريد ؛ محمد بن الحسن ، قال : حدّثنا أبو حاتم قال : سمعت أبا عبيده يقول : اشعر المحدّثين السيد الحميري وبشار[3].

رابعاً : ـ عن عمر بن شَبّة قال :

اتيتُ أبا عبيدة معمر بن المثنىٰ يوماً وعنده رجل من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلمّا رآني اطبقه . فقال له أبو عبيدة : إن أبا زيد ليس ممّن يُحتشم منه ، فاقرأ . فأخذ الكتاب وجعل يقرأه ، فإذا هو شعر السيد . فجعل أبو عبيدة يعجَبُ منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يرويه .

خامساً : ـ وجاء في الاغاني ان غانم الورّاق قال : خرجت إلىٰ بادية البصرة فصِرتُ إلىٰ عمرو بن تميم ، فاثبتني بعضهم فقال : هذا الشيخ والله راوية .

---

١ ـ طبقات ابن المعتز ص٣٦ .

٢ ـ الاغاني لأبي الفرج ٢٢٩/٧ .

٣ ـ الأغاني لأبي الفرج ٢٣٢/٧ .

فجلسوا إليّ وأنِسوا بي، وأنشدتهم وبدأت بشعر ذي الرّمة فعرفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما ثم أنشدتُهم للسيّد:

أتعرِف رسماً بالثويّين قد دَثَر ... عَفَتْه أهاضِيبُ السحائب والمطرْ[1]

وجرّت به الأذيالَ ريحانِ خلْفةً ... صَباً ودَبُورُ بالعَشِيّاتِ والبُكَر

إلىٰ آخر الأبيات.

قال: فجعلوا يُمرّقون[2] لإنشادي ويطربون، وقالوا: لمن هذا؟ فاعلمتهم، فقالوا: هو والله احدُ المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثلُه[3].

سادساً: ـ عن اسحاق بن محمد قال: سمعت العُتبيّ[4] يقول: ليس في عصرنا هذا أحسنُ مذهباً في شعره ولا أنقىٰ ألفاظاً من السيد، ثم قال لبعض من حضر: أنشدنا قصيدته اللّامية التي أنشدتناها اليوم، فانشده قوله:

هل عند من أحببت تنويلُ ... أم لا فإن اللّومَ تَضْليلُ

أم في الحشىٰ منك جوىً باطنٌ ... ليس تُداويه الأباطيلُ

إلىٰ أن يقول:

أُقسم بالله وآلائِه ... والمرءُ عمّا قال مسئولُ

إنّ عليّ بن أبي طالبٍ ... علىٰ التُّقىٰ والبِرِّ مجبولُ

فقال العتبيّ: أحسن والله ماشاء، هذا والله الشعر الذي يهجم علىٰ القلب بلا حجاب.

---

١ ـ أهاضيب = حلبات القطر.

٢ ـ يُمرّقون = يغنّون، والتمريق ضرب من الغناء.

٣ ـ الاغاني ٢٣٨/٧.

٤ ـ العتبي هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله الاموي البصري شاعر مشهور ينسب إلىٰ جدّه عتبه بن أبي سفيان، توفي العتبي سنة ٢٢٨ هـ.

سابعاً: ـ رأي الاصمعي:

قال أبو الفرج: حدّثني التوّزي قال: رأىٰ الاصمعي جزءاً فيه من شعر السيّد، فقال لمن هذا؟

فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه؛ فأقسم علي أن أخبره فاخبرته؛ فقال:

أنشدْني قصيدةً منه، فانشدتُه قصيدة ثم أخرىٰ وهو يَستزيدني، ثم قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لو لا مذهبه ولو لا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته[1].

أقول: نستخلص من كلام الاصمعي ـ علىٰ كونه ناصبياً ومبغضاً لعلي عليه السلام ومن يتشيّع له ـ وهو الناقد الجهبذ والراوي لشعر العرب لا يضاهيه فيه أحد انه انشدّ إلىٰ شعر السيد الحميري وجعله من الفحول لكنّ مذهب الشاعر وعقيدته دفعت هذا الناصبي أن يقدح في عقيدة السيّد...!

ولو تساءلنا ما هي عقيدة السيد الحميري حتىٰ ينزعج الاصمعي منها غاية الانزعاج؟! وما الذي جناه السيد؟!

ليس هناك ما يغيظ إلّا لانه محب لعلي أشدّ الحبّ...! رحماك ايها الشاعر الولائي....

وشبيه ما تقدم من رواية التوّزي رواية أخرىٰ يمدح الاصمعي فيها شاعرنا فيقول:

قاتله الله ما اطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء، والله لو لا ما في شعره من سبّ السلف لمّا تقدّمه من طبقته أحد.[2]

---

١ ـ الاغاني ٧/٢٣٣.

٢ ـ الاغاني ٧/٢٣٦.

وهذا يعني عصبية الرجال هي الحاكمة وعقولهم وراء عواطفهم وإلّا فان الفن بما فيه من ابداع هو الحاكم، وليست الاهواء والميول.

ثامناً: ـ رأي بشار بن برد:

عن الكرّاني عن ابن عائشه قال: وقف السيّد علىٰ بشار وهو ينشد الشعر، فأقبل عليه وقال:

ايـها المـادِحُ العـبادَ لِـيُعطَى إنّ لله مـا بأيـدي العـبادِ
فـأسأل اللهَ ما طلبتَ اليهم وارجُ نـفعَ المُـنزِّلِ العـوّادِ
لا تَقُلْ في الجَوادِ ما ليسَ فيه وتُسَمِّ البخيل باسم الجوادِ

قال بشّار: من هذا؟

فعرّفه (نفسه). فقال بشّار: لو لا أن هذا الرجل قد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشَغَلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا[1].

يتضح من ذلك أن بشاراً علىٰ يقين من كلامه وحقّاً ان السيد الحميري لو نازل الشعراء فيماهم فيه من اللهو والدعارة والمسامرة لغلبهم. وعبارة بشارة لا غبار عليها (لشَغَلَنا) وفعلاً انه داهية الشعراء لا يشق له غبار.

تاسعاً: ـ وقال الثوري بسنده عن الزبير بن بكار قال: سمعت عمّي يقول: لو أن قصيدة الحميري التي يقول فيها:

إن يـومَ التـطهير يـومُ عـظيم خُصَّ بالفضل فيه أهلُ الكساءِ

قرأت علىٰ المنبر ما كان بذلك بأس، ولو أن شعره كله كان مثله لرويناه

---

١ ـ وفي أخبار السيد للمرزباني ت ٣٨٥ رواية أخرىٰ شبيه ما أوردناه ص ٢١.
انظر: لسان الميزان ٤٣٧/١، البداية والنهاية ١٧٤/١٠ والاغاني ٢٣٧/٧.

وما عيّبناه[١]. أي إنها تدخل في باب نقل الحديث في بيان الفضائل.

أقول: وهذه القصيدة التي أشار إليها الثوري تُسمّىٰ بـ(القصيدة المذهّبة) المعروفة في أيام المحدثين، وكثرتهم وقربهم بزمان صدور المعجزة وعدم انكارهم عليها. وأشار السيد في القصيدة إلىٰ جملة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والآيات التي نزلت بحقه كآية التطهير وغيرها.

ويزيدها اعتباراً ان السيد الشريف المرتضى قد شرحها.

عاشراً: عن الحسين بن ثابت قال: قدم علينا بدوي وكان أروىٰ الناس لجرير، فكان ينشدني الشيء من شعره فأنشد في معناه للسيد حتىٰ اكثرتُ، فقال لي: ويحك من هذا؟!

هو والله اشعر من صاحبنا[٢].

مكانة السيد عند الشيعة:

لقد احتل السيد الحميري موقعاً محترماً عند الطائفة في عصره، وشاع أمره بين المحبّين، فكانوا يجلّونه، ويقدّمون له الولاء، وفي ذلك نقل ابن عبد ربّه فقال:

(السيد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقي له وسادة بمسجد الكوفة...)[٣].

١ـ الاغاني ٢٣٩/٧.

٢ـ الاغاني ٢٣٩/٧.

٣ـ العقد الفريد ٤٠٦/٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣هـ.

الفصل السابع

السيّد الحميري

وما اتُّهم به

١ ـ أشاعوا عليه انه يقول بالتناسخ.

٢ ـ طعنوا عليه في إيمانه بالرجعة.

٣ ـ إيمانه بالخرافات علىٰ حدّ زعم د. طه حسين.

٤ ـ قوله بالمتعة (الزواج المنقطع).

٥ ـ تعرّضه للخلفاء.

٦ـ شرابه للنبيذ (المسكر).

تعقيب على ما قالوه من التهم :

لم يزل حملة الاقلام يكتبون بلغة غير مسؤولة ولهجة فيها من السفاسف والادعاءات المقيتة ... ولو كان الذي يسطرونه في صفحات كتبهم السوداء صادر من رعاة الناس لهان الأمر ، ولكن الذي يحزّ في النفس تجد تلك الكلمات إحدىٰ متبنّيات رائد الكتابة وهو الدكتور طه حسين إذ تعرّض لشاعرنا السيد الحميري في كتابه (ذكرىٰ أبي العلاء ص٣٥٨) وتناوله بالنقد والافتراء عليه دون أن يتثبّت في بعض مقولاته ولا أحرز ثقة الآخرين في طرحه وأدبه .

ومما قال طه حسين :

(التناسخ معروف عند العرب منذ أواخر القرن الأول والشيعة تدين به وببعض المذاهب تقرب منه كالحلول والرجعة ، وليس بين أهل الأدب من يجهل ما كان من سخافات الحميري ...) .

أقول : وأنت ، يا عميد البحث والأدب فيما تدّعيه ـ سفها ـ هل سبرت غور البحث في عقائد الشيعة وكتبهم حتىٰ تقف علىٰ مصدر من مصادرهم يؤكّد ولو من بعيد علىٰ فكرة الحلول والتناسخ ؟

أم هو مجرّد تشنيع واساءة لا يبتغىٰ منه إلّا إرضاءً لوجه الشيطان ومردة الفسق والكفر !!

ياليت الدكتور يرشدنا إلىٰ مصدر ـ ولو ـ واحد من مصادر الإمامية تقول بالحلول والتناسخ ؟! غير أنّنا ملزمون أن نكشف النقاب عن سرقة حسبها الدكتور من لُبنات أفكاره أو هي تغني وتسمن ، بل وعدّها من الفتوح في تاريخ

أدبنا الحديث، نعم أنها مقولة ابن حزم جاءت في كتابه (الفصل) الجزء الأول من ص٣٢٣ ـ ٣٣٩.

وأمّا الرجعة فهي عقيدة السلف من المسلمين وجاءت الآيات لتؤكّدها، وكل ذلك فهي ليست من سنخ الحلول والتناسخ، ولو اصغىٰ الدكتور إلىٰ بيان السيد الحميري وهو في مجلس المنصور الدوانيقي كيف يذبّ عن نفسه ويحاجج خصمه القاضي سُوّار بن عبدالله لمّا قال: يا أمير المؤمنين إنه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسبّ والوقيعة فيهما.

فقال السيد: أما قوله: بأني أقول بالرجعة فإن قولي في ذلك علىٰ ما قال الله تعالىٰ، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[١].

وقد قال في موضع آخر سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[٢] فعلمت أن هاهنا حشرين أحدهما عامّ والآخر خاص.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[٣] وقال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[٤] وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[٥].

فهذا كتاب الله عزّوجلّ وقد قال رسول الله ﷺ: يُحشر المتكبّرون في

---

١ ـ النمل: ٨٣.

٢ ـ الكهف: ٤٧.

٣ ـ غافر: ١١.

٤ ـ البقرة: ٢٥٩.

٥ ـ البقرة: ٢٤٣.

صُوَرِ الذر يومَ القيامة[١] وقال ﷺ: لم يجر في بني اسرائيل شيء إلّا ويكون في امّتي مثله حتىٰ المسخ والخسف والقذف.

وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الامّة قردة وخنازير. فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنة. وإنني لأعتقد أن الله تعالىٰ يردّ هذا ـ يعني سوّاراً ـ إلىٰ الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرّة فإنّه والله متجبرٌ متكبّر كافر.

قال فضحك المنصور...[٢].

هذا هو المنطق الذي خاصم به السيد الحميري مناوئيه إذ استعان بالقرآن الكريم والسنّة الشريفة.

فهل كانت الآيات البينات سخف علىٰ حد زعم الدكتور طه ؟!

وإلّا أي سخف ينشده وما هذه الفريّه التي يتعامل بها طه حسين ؟!

امّا الاتهامات الاخرىٰ التي ذكرها البعض فهي في الواقع أريد بها التجريح بالشاعر والانتقاص من قدره لا لشيء إلّا لكونه يعمل بسنة الله. والرسول، من ذلك، عِيبَ عليه بانه يقول بالمُتعة....

ونحن نترك الجواب للسيد نفسه، فيقول الراوي:

اجتمع السيد في طريقه بأمرة تميميّة إباضية، فأعجبها وقالت أُريد أن أتزوّد بك ونحن علىٰ ظهر الطريق. قال: يكون (كنكاح أُمِّ خارجه قبل حضور ولي وشهود)[٣] فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلىٰ هذا فمن أنت ؟

---

١ ـ أخرجه الترمذي والنسائي والمنذري.

٢ ـ الفصول المختارة: ٦١/١.

٣ ـ مثل سائر: اسرع من نكاح امّ خارجه. يضرب به في السرعة وامّ خارجه هي عمرة بنت سعد بن عبدالله ابن قدار بن ثعلبه كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب. فتقول: نكح.

فقال:

إن تسأليني بقومي تسألي رجلاً ... في ذروة العزّ من أحياء ذي يمنِ
حولي بها ذو كلاع في منازلها ... وذو رُعين وهمدان وذو يزنِ[١]
والأزد أزدُ عُمانَ الأكرمون إذا ... عُدَّت مآثرهم في سالف الزمن[٢]
بانتْ كريمتهم عنّي فدارهُمُ ... داري وفي الرحب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلحج منزلٌ وسطٌ ... منها ولي منزلٌ للعزّ في عدنِ[٣]
ثمّ الولاء الذي أرجو النجاة به ... من كبّة النار للهادي أبي الحسن

فقالت: قد عرفناك، ولا شيء أعجب من هذا يمانٌ وتميميّة، ورافضي وإباضية، فكيف يجتمعان؟

فقال: بحسن رأيك فيّ تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً.

قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيّات الأمور؟؟!!

قال: أعرض عليك أُخرىٰ.

قالت: ما هي؟

---

١ ـ ذو الكلاع: رجلان من أثرياء ووجهاء اليمن الأكبر هو يزيد بن النعمان الحميري والاصغر ينتسب إلىٰ ذي الكلاع الاكبر وكان مطاعاً في قومه واسلم زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ذو رعين: أحد ملوك اليمن واسمه (يريم) من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ.

همدان: هو ابن مالك بن زيد واليه تنتسب قبيلة باليمن وكانوا شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام.

ذو يزن: ملك من ملوك حمير، تنسب إليه الرماح اليزنيّة وذو يزن اسمه عامر بن أسلم، وقيل هو النعام ابن قيس الحميري.

٢ ـ والازد قبائل سكنت عُمان منذ أقدم الازمان واليوم هي سلطنة بانضمام مسقط إليها ويحكمها السلطان قابوس بن سعيد.

٣ ـ لحج: مخلاف باليمن ينسب إلىٰ لحج بن وائل بن الغوث.

قال: ألمُتعة التي لا يعلم بها أحدٌ.

قالت: تلك أخت الزنا

قال: أُعيذكِ بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان.

قالت: كيف؟

قال: قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾[1].

فقالت: ألا تستخير الله وأُقلِّدك إن كنت صاحب قياس؟

قال: قد فعلت.

فإنصرفت معه وبات معرِّساً بها، وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعَّدوها بالقتل، وقالوا: تزوّجت بكافر؟

فجحدت ذلك ولم يعلموا بالمُتعة. فكانت مدّة تختلف إليه علىٰ هذه السبيل من المتعة وتواصله حتّىٰ افترقا.[2]

أقول: وليس بعد هذا الجواب الفقهي المستنبط من القرآن الكريم مجال للتشكيك في شرعية أو حليّة زواج المُتعة.

وإن كان المخالف لا يذعن لهذا وأمثاله من الاستدلالات الفقهية لا لشيء إلّا لتعصبه الاعمىٰ، علماً أن كتب الفقه عند سائر فقهاء المسلمين تطرّقت إلىٰ هذا الموضوع واكّدت أن زواج المتعة كان ساري المفعول في زمن النبي ﷺ وفي زمن الخليفة الأول وشطراً من خلافة عمر بن الخطاب، ثم حرّمها عمر.

وعليه إن من قال بحرمتها فهو قطعاً ـ كلامه ـ مخالف للقرآن والسنة وشأنه

---

١ ـ من الاية ٢٤ من سورة النساء.

٢ ـ الاغاني: ٧/٢٦٤.

شأن من ينعق مع كل ناعق.

والتهمة الأخرىٰ التي تطاولت الألسن في ثلب الشاعر والتعريض به هو شربه للنبيذ.

وقد مرّت عليك الروايات العديدية في كون السيد رجع عنها وتاب وأعلن توبته للإمام الصادق عليه السلام، وقد عرفت كلام الإمام في الردّ علىٰ من استنكر فعل السيد بل وعرفت ترحّم الإمام علىٰ السيد وترحّمه دليل علىٰ نجاته.

وسنوافيك بمزيد من التفصيل في بحثنا من هذا الكتاب: جنايات أدبية.

والتهمة البارزة التي يطبّل لها المخالفون هو هجاؤه للملوك والأمراء والقضاة وغيرهم من ذوي الرئاسة والنفوذ سواء كان اولئك في الصدر الاوّل أو من كان معاصراً للسيد.

أقول: لو درسنا حقيقة الهجاء عند الشاعر فسوف نرىٰ أنه ينحى منحيين:

المنحىٰ الأول:

هجاءٌ من سلب الحق ـ الخلافة ـ من أهل البيت عليهم السلام، وهذا لا يشكّل عيباً في شعر الحميري بل شأن المدافع عن حقّه، والتعريض بالظلم والظالم إنما هو لكشف حقيقته للناس كي لا يُخدعوا، وينطوي تحت هذا اللون من الهجاء من تعرّض لهم السيد بالذم كالملوك وخلفاء بني العباس والامويين وقضاة الجور وامراء الظلمة وولاة السوء ومن سار في ركبهم فمثلاً هجا بني عدي وبني تيم؛ أحفاد الخليفة الأول والثاني، أمام المهدي العبّاسي في زمن امارته وواضح أن سبب هجائه لهم لمتابعة الاحفاد سيرة آبائهم من غصب وظلم واعتداء علىٰ أهل بيت العصمة والتجرّي علىٰ الزهراء واضرام النار بالباب وإلىٰ غير ذلك... وهذا يمكن أن نسمّيه بالهجاء السياسي.

المنحىٰ الثاني:

وهو لا يقلّ عن المنحىٰ الأول من حيث أصوله العقائدية، لكن جاء بإطار شخصي فمثلاً هجا السيد امرأةً منعت زوجها في متابعة السيد الحميري.

وهجا شاعرنا ـ مثلاً ـ القاضي سوّار بن عبد الله أمير وقاضي البصرة زمن المنصور، وكان سببه هو الاختلاف في الرُؤىٰ العقائدية.

وهكذا هجا قوماً لم ينصتوا لشعره.

وهجا رجلاً قد اغتابه.

وهجا أبويه لكونهما يسبّان أمير المؤمنين عليه السلام.

فأي مفردة من هذه المفردات تشكل سباً للصحابة أو السلف ؟!

وإذا كان من بين السلف ما نزل القرآن بحقه في كونه منافقاً، أو مريض القلب أو أعمىٰ البصيرة، أو كان يؤذي الله والرسول فحقّت عليه كلمة العذاب... أو... فهل يلام الشاعر على تعريضه بهذا الصنف من الهالكين الذي لعنه القرآن الكريم ؟؟!!!

الفصل الثامن

السيّد الحميري

في التراث العربي

السيد الحميري في التراث العربي

احتمل السيد الحميري موقعاً بارزاً في تراثنا الأدبي؛ العربي منه والإسلامي؛ قديماً وحديثاً، فمنذ بداية القرن الثاني الهجري توجّهت الانظار إليه، وتذاكر الادباء والرواة والنقّاد شعره، فقدّموه على شعراء عصره، حتى مبغضيه ومن يختلف عنه في المذهب والعقيدة تراه يقف عند شعره موقف الإجلال والإكبار، وقد مرّ عليك كلام الاصمعي لمّا كان يستزيد من المنشد شعر السيد ويستعذبه ولم يكن يعرف نسبة ذلك الشعر في أول أمره، حتى استحلف التوّزي ـ المنشد لشعر السيد ـ ان يخبره لمن هذا الشعر!

وبمجرّد ان عرفه للسيد قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول، لو لا مذهبه ما قدّمت عليه أحداً من طبقته.

وهكذا فضّله إمام النحو واللغة؛ أبو عبيد مُعَمَّرُ بنُ المُثنّى المتوفىٰ عام ٢٠٩ هـ.

لذا كُتبتْ حوله دراسات وبحوث، منها مستقلة مفصّلة، ومنها ضمن موسوعات أدبية. وإتماماً للفائدة وجدت ان اذكر بعض تلك الكتابات ومصنّفيها بشكل موجز.

البحوث والدراسات في السيد قديماً وحديثاً:

١ ـ أبو أحمد عبد العزيز الجلودي الازدي البصري المتوفّىٰ ٣٠٢ هـ.

٢ ـ الشيخ صالح بن محمد الصرامي استاذ أبي الحسن الجندي.

٣ ـ أبوبكر محمد بن يحيى الكاتب الصولي المتوفّىٰ عام ٣٣٥ هـ.

٤ ـ أبوبشر أحمد بن ابراهيم العمّي البصري له كتابان، احدهما في أخبار السيد والاخر في شعره كما في رجال النجاشي ص٩٦ ومعالم العلماء لابن شهر آشوب ص١٨.

٥ ـ أبو عبد الله أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن عبدون شيخ النجاشي.

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفّىٰ ٣٧٨ هـ له كتاب (اخبار السيد) مطبوع. وله كتاب كبير ومفصل اسمه (أخبار شعراء الشيعة).

٧ ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري المتوفّىٰ ٤٠١ هـ.

٨ ـ اسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي.

٩ ـ المستشرق الفرنسي (بَربير دي مينار) جمع أخباره في مائة صفحة، طبع في باريس.

وترجم له ضمن دراسات أدبية، وهي كثيرة نذكر بعضها:

١٠ ـ ترجم له أبو الفرج الاصبهاني في موسعته الاغاني، ذكره في الجزء السابع.

١١ ـ وترجم له العلامة الشيخ محمد السماوي في كتابه (الطليعة من شعراء الشيعة).

١٢ ـ وترجم له يوسف بن يحيىٰ الصّنعاني في كتابه (نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر).

١٣ ـ ذكره الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء الجزء الثاني.

١٤ ـ وذكره الدكتور طه حسين في كتابه (من تأريخ الادب العربى) وهو

مستل من (حديث الاربعاء).

١٥ ـ وفي (العصر العباسي الاول) للدكتور شوقي ضيف ترجمة موجزة.

١٦ ـ وفي (اللئالي العبقرية) في شرح القصيدة العينية[1]، قدّم له الشيخ جعفر السبحاني دراسة موجزة عن الشاعر.

١٧ ـ وفي (شرح القصيدة المذهّبة) للسيد الشريف المرتضى علم الهدى، قدّم محمد الخطيب ترجمة عن حياة الشاعر.

١٨ ـ وترجم له عبد الحسيب طه حميده المصري، في كتابه (أدب الشيعة) ذكره في الفصل الخامس.

١٩ ـ وترجم له السيد محسن الأمين العاملي؛ ذكر له مجموعة من قصائده مع سيرته الخاصة في موسوعته اعيان الشيعة.

٢٠ ـ وترجم له العلامة الاميني في موسوعته الغدير، ذكره في الجزء الثاني، وهناك عشرات المصادر يطول بنا المقام على ذكرها.

وهناك ترجمات مختصرة مبثوثة في كتب التاريخ والتراجم والادب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

٢١ ـ فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي ١٨٨/١.

٢٢ ـ الوافي بالوفيات للصفدي ١٩٦/٦.

٢٣ ـ سير اعلام النبلاء لمحمد بن أحمد الذهبي ٤٤/٨.

٢٤ ـ مجلة المورد، بغداد العدد ٢٩٩/٢/٣.

٢٥ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٢ ـ ٣٦.

٢٦ ـ مجالس المؤمنين للقاضي نور الدين التستري ٥١٧/٢.

---

١ ـ للفاضل الهندي.

٢٧ ـ أدب الطف للخطيب السيد جواد شبر ١٩٨/١.
٢٨ ـ روضات الجنّات ـ لمحمد باقر الخونساري ١٠٣/١ ـ ١١١.
٢٩ ـ النجوم الزاهرة لابن تغرىٰ بردىٰ ٦٩/٢ و٧٤.
٣٠ ـ المنتظم لابن الجزي ٣٩/٩.
٣١ ـ لسان الميزان لابن حجر ٤٨٨/١.
٣٢ ـ تاريخ الادب العربي للمستشرق بروكلمان.

الفصل التاسع

السيّد الحميري

وأغراضه الشعرية

اغراضه الشعرية

سيكون حديثنا عن الاغراض الشعرية عند السيد موجزاً ومقتصراً على كل من غرض الغزل والهجاء والرثاء والمدح، ومفصّلاً في شعر المناقب.

الغزل:

لا أحسب أن الشاعر كان مغرماً في جمال بنت، أو وَلِهاً بمفاتن احدى الحسناوات كما للشعراء المغرمين، وانما جاء شعره الغزلي عفو الخاطر، وما نصادفه من اسماء في طيات بعض قصائده انما هي رموز وردت شبيهة بمباراة في حلبة الادب للمشاركة في هذا الفن، أو هي بمثابة التسلية والترويح عن النفس، وهو في كل ذلك ليس صاحب معاناة؛ كجميل بُثينة، وعمر بن أبي ربيعة، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد...، غير انك إذا نظرت إلى تلك الابيات المتفرّقة سوف تجد الشاعر قوي الطبع، جزل اللفظ، سليم التصرف، وقد أشار إلى هذا الشريف المرتضىٰ علم الهدىٰ في كتابه طيف الخيال، وإليك هذه الابيات من غزلياته:

طاف من هند خيال فَذَعَر ورمىٰ عيني بدمع وسهر[1]

قلت لمّا أن دنا مني له مرحباً الفاً بسمعي والبصر

---

١ ـ طيف الخيال ١٠٧.

هـنـدُ مـن أيـن تـخطّيت إلى ... ركب أطلاح مطيٍّ قد حسر[١]
تـحت ليـل سـاقط اكـنافه ... رحلُ صرعىٰ من كَلال وسهر[٢]
صـادت القـلب ولم تـعمد له ... بشتيت النبت عذب ذي أشر[٣]

وله في النسيب:

اتـعرف رسـماً بـالسويّين قـد دثـر ... عفته أهاضيب السحائب والمطر[٤]
وجـرّت بـه الاذيـال ريـحان خـلفةً ... صـبا ودبـور بـالعشيّات والبكر[٥]
مـنازل قـد كـانت تكـون بـجوها ... هضيم الحشا ريا الشوي سحرها النظر[٦]
قـطوف الخـطا خـمصانة بـختريّة ... كأن مـحياها سـنا دارة القـمر[٧]

وقال متغزلاً:

ما جرت خطرة على القلب منّي ... فـيك الا اسـتترت عـن اصـحابي
من دموع تجري فان كنت وحدي ... خـالياً اسـعدت دمـوعي انـتحابي
إنّ حـبّي إيـاك قـد سـلّ جسـمي ... ورمـاني بـالشيبِ قـبل الشـبابِ

---

١ ـ اطلاح: هزيلة أو اصابها الاعياء.
حسر: تعب وكلَّ.
٢ ـ اكناف، مفردها كنف: الجانب، الظلّ، أو الناحية. كلال من الكَلّ: التعب والأعياء والكَل: الضعيف، الثقيل لا خير فيه.
٣ ـ شتيت النبت: كناية عن فلج الاسنان.
الأشُر: بضم الهمزة والشين: حدة ودقة في أطراف الاسنان.
٤ ـ الاهاضيب: جمع اهضوبة وهي الدفعة من المطر. يقال اصابتهم اهضوبة من المطر.
٥ ـ الخِلْفة: النبات يعقب النبات. الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات النعش ويقابلها الدبور.
٦ ـ هضيم الحشا: رقيقة الخصر. الشوي: اليدان والرجلان.
٧ ـ القطوف: بطيئة السير. خمصانة: ضامرة البطن. البخترية: حسنة المشية والجسم.

لو منحت اللقا شفىٰ بلك صبّاً هائمَ القلبِ قد ثوىٰ في التـرابِ[١]

وقد أجاد السيد في استهلال قصائده بالنسيب، وما احسب ذلك إلّا جرياً على مسلك القدماء واقتفاءً بمن سبقه، لذا لم نجد له غزلاً خصّه بواحدة من النساء، علىٰ ان هناك بعض الاسماء التي وردت في شعره كـ(هند) و (دعد) و (زينب) و (الرباب) و (عزة) و(النوار) فهي رموز ليس إلّا.

ومن مليح شعره قوله:

أمسىٰ بعزَّةَ هذا القلبُ محزونا مستودعاً سقماً في اللّب مكنونا
يا عز إن تعرضي عنّا وتنتصحي قول الوشاة ومن يلحاكم فينا
وتصرمي الحبل من صبٍّ بكم كَلِف والصّرم يخلق اهواء المحبينا
نترك زيارتكم من غير مقلية إن كان في تركها ما عنك يسلينا
أقول لمّا رأيت الناس قد ذهبوا في كلّ فن بلا علم يتيهونا
من ناكثين ومراق وقاسطة دانوا بدين أبي موسى ومرجينا

إلى آخر الابيات، قال ابن المعتز عند ذكر هذه الابيات: لا يعادل شيء هذه الاشعار في العذوبة، هيهات لقد تقطعت دونها الشعراء.

أقول: وهذه الابيات وتلك العبارة محذوفة من النسخة المطبوعة[٢].

ومن روائع ابياته في النسيب والغزل ما استهلّ به قصيدته البائية قوله:

هلّا وقفت على المكان المعشب بين الطويلع فاللوى من كَبْكَبِ
فنجاد توضح فالنّضايد فالشظا فرياضِ سَخَّة فالنقا من جَونَبِ

---

١ ـ الديوان ص ١١٩.

٢ ـ مجالس المؤمنين للقاضي التستري ٥١٢/٢، وانظر: هامش طبقات ابن المعتز ص ٣٦.

طـال الثـواءُ عـلى مـنازلَ اقـفرتْ ... مـن بـعد هـندٍ والربـاب وزيـنب
أدْمٌ حَـــلَلْنَ بـــها وَهُـــنَّ أوانِسٌ ... كالعين ترعى من مسالِكِ أهضُبِ
يضحكنَ مـن طَـرَبٍ بـهنَّ تـبسُّما ... عن كلِّ ابيضَ ذي غُـروبٍ أشـنَبِ
حُـــورٌ مـــدامِـعُها كأنّ ثُـغُورَها ... وهْـــناً صـــوافِـي لؤلؤٍ لم يُـثْقَبِ
إنسٌ حَـــلَلْنَ بِـها نـواعِـمُ كـالدُمىٰ ... من بين مُـحصَنَةٍ وبكـرٍ خَـرْعَبِ
تـعساءُ واضـحةُ الجبينِ أسِـيلةٌ ... وعثُ المـؤزّرِ جَـثلةُ المُـتنقَّبِ
كـــنّا وهُـــنّ بـــنَضرةٍ وغـضارةٍ ... في خفضِ عيشٍ راغِدٍ مستعذَبِ
أيّـامَ لي فـي بطنِ طـيبةَ مـنزلٌ ... عـن ريبِ دهـرٍ حـايرٍ مُـتَقلِّبِ
فـعفا وصـارَ إلى البِـلَا بـعد البِـنا ... وازالَ ذلكَ صَـرْفَ دهـرٍ قُـلَّبِ
ولقد حلفتُ وقـلتُ قـولاً صـادماً ... تـــاللهِ لم آثَـــمْ وَلمْ أتـــريّبِ
لمـعاشِرٍ غَـلَبَ الشـقاءُ عـليهم ... وهـــوىً امـالَهم لامـرٍ مُـتعِبِ
من حميرٍ أهلِ السماحة والنـدى ... وقـريشٍ الغُـرِّ الكِـرامِ وتَـغْلِبِ
أيـنَ التـطرّبُ بـالولاء وبـالهوى ... أإلىٰ الكواذبِ مـن بـروقِ الخُـلَّبِ

إلى آخر الابيات ... ، وسنذكر القصيدة كاملة في باب الفضائل والمناقب .

غرض الهجاء :

عاصر شاعرنا السيد الحميري عشرة من الخلفاء ؛ خمسة في العهد الاموي وخمسة في العهد العباسي ، ولم يكن من بين هؤلاء العشرة فرد نزيه يستحق المدح والثناء ، إذ سيرة بني العباس لا تختلف عن سيرة من سبقهم من بني مروان أو بني سفيان ؛ الجميع قد أوغلوا في دماء الابرياء ، والجميع تتبّعوا ذرية النبي من نسل علي وفاطمة ، فما منهم إلّا مقتول أو مسموم أو مصفّد بالاغلال والحديد ،

مرمي في قعر السجون، حتى يلفظ انفاسه الاخيرة وهو على هذه الحالة.

لهذا تناول السيد في هجائه هذه الطبقة الظالمة من الحكّام وامراء الجور، فصبّ جام غضبه على بني اميّة الذين اسّسوا الظلم والجور، وما كان يتقي احداً منهم، بل اعلنها صرخة مدوّية بوجه اولئك المردة الذين اعتدوا على حريم أهل البيت، بل على حريم الرسالة والنبوة والإسلام.

ثم قصائد الهجاء عند السيد قليلة معدودة، وإذا كانت فهي مخصوصة في مبغضي أمير المؤمنين عليه السلام وفي اعداء أهل البيت، من ذلك شعره في القاضي سوّار بن عبد الله العنبري.

قال ابن المعتز بسنده عن العُتْبيّ: ادّعىٰ رجل على رجل مالاً عند سوّار القاضي، فطالبه سوار بالبيّنة، فلم يكن له شاهد إلّا السيد ورجل آخر، فأحضرهما، فقال سوّار: قد قبلنا شهادة أبي هاشم ولكن زدنا في الشهود، فظن السيد أنه ردّ الشاهد الآخر، فلمّا خرجا قال له الرجل: والله ما ردّ إلّا شهادتك ولم يُفصح بذلك خوفاً من لسانك وتبيّن الامر على ما قال، فغضب السيّد، وهجا سوّاراً بقصيدته التائية وبعثها إلى المنصور، وكتب اليه سوّار: يا امير المؤمنين إن السيد رافضيٌ يقول بالرجعة ويرىٰ المتعة.

فكتب إليه المنصور: إنا بعثناك قاضياً ولم نبعثك ساعياً وعزله واقطع السيد أرضاً بالبصرة من أراضي الحجاج[1].

وفي الاغاني: جاء الخبر بالشكل التالي:

انّ السيد تقدّم إلى سوّار القاضي ليشهد عنده، وقد كان دافع المشهود له بذلك وقال: أعفني من الشهادة عند سوّار، وبذل له مالاً فلم يُعفِه. فلما تقدّم إلى

---

١ ـ طبقات ابن المعتز ص ٣٥.

سوّار فشهد قال: ألست المعروف بالسيد؟

قال: بلىٰ، قال: إستغفر الله من ذنب تجرّأتَ به على الشهادة عندي، قُمْ لا أرضىٰ بك.

فقام مغضباً من مجلسه وكتب إلى سوّار رقعة فيها يقول:

إنّ سوّار بن عبد الـ ـلّه من شرّ القضاة

فلمّا قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر في البصرة فسبقه السيد إليه فانشده:

قُلْ للإمام الذي يُنجى بطاعته يوم القيامة من بُحبُوحة النار

لا تستعينَنْ جزاك الله صالحةً يا خيرَ مَنْ دبّ في حكمٍ بسوّار

لا تَستعِنْ بَخبيث الرأي ذي صَلَفٍ جَمّ العيوب عظيم الكِبر جبّار

تُضحي الخصومُ لديه من تجبّره لا يرفعونَ إليه لحظ أبصار

تِيهاً وكبراً ولولا ما رفعتَ له من ضَبْعه كان عينَ الجائع العاري

ودخل سوّار، فلما رآه المنصور تبسّم وقال: أما بلغك خبرُ أياس بن معاوية حيث قَبِل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه![1]

ومن هجاء السيد:

لما بلغ سوّار القاضي قول الحميري في حديث الطائر المشوي ابياتاً اوّلها:

لمّا اتىٰ بالخبر الأنبل في طائر اهدىٰ الى المرسل

في خبرٍ جاء أبان به عن أنس في الزمن الاوّل

١ـ الاغاني ٢٥٥/٧.

قال سوّار: ما يدع هذا أحداً من الصحابة إلّا رماه بشعر يظهر عواره وأمر بحبسه. فاجتمع بنو هاشم والشيعة وقالوا: والله لئن لم تخرجه كسرنا الحبس وأخرجناه، ايمتدحك شاعر فتثيبه، ويمتدح أهل البيت شاعر فتحبسه. فأطلقه على مضض. فقال السيد يهجوه:

قولا لسوّار أبي شملة ... يا واحداً في النوك والعارِ[1]
ما قلت في الطير خلاف الذي ... رويته أنت بآثارِ
وخبر المسجد إذ خصّه ... محللاً من عرصة الدارِ
ان جنباً كان وان طاهراً ... في كل اعلانٍ واسرارِ
واخرج الباقين منه معاً ... بالوحي من انزال جبّارِ
حيّا علياً وحسيناً معاً ... والحسن الطهر لاطهارِ
وفاطماً أهل الكساء الاولى ... خصّوا باكرامٍ وايثارِ
فمبغض الله يرىٰ بغضهم ... يصير للخزي وللنارِ
عليه من ذي العرش في فعله ... وسم يراه العائب الزاري
وأنت يا سوّار رأس لهم ... في كل خزي طالب الثارِ
تعيب من آخاه خير الورىٰ ... من بين أطهار وأخيارِ
وقال في خمٍّ له معلنا ... ما لم يلقّوه بانكارِ

وهجا سوّاراً لما نقل جثمانه إلى مأواه وقد دفن في موضع كان كنيفا، فقال:

عدى بسُوّار في أخلاق اطمار ... من داره ظاعنا عنها إلى النار
يا شرّ حي ثوى في الارض نعلمه ... ممن براه الإله الخالق الباري

---

١ ـ النوك: الحماقة.

لا قـدّس الله روحـاً أنت هـيكله ... وهـل تـقدس رجس بـين كـفار
ثوى ببرهوت في بـلهوت محتسباً ... مـلعنا بـين أطـفاش وفـجار
أبـان فـيك إله النـاس مـعجبة ... لمّـا قـضىٰ ربـنا فـيكم بـمقدار
في جرم جسمك إذ دليت في رحم ... فـي بـقعة بـين أحشـاش واقـذار
فـي مـخرج وكنيف قـد أعـدَّ لكم ... فـيه الثـواء بـاذلال وإصـغار
تشـنأ عـلياً أمـير المـؤمنين ولا ... تـقول فـيه بـقول الصـادق البـاري
يوم الغدير وكل النـاس قـد حضروا ... مـن كـنت مولاه في سـر وإجـهار
هـذا أخي ووصي في الامـور ومـن ... يـقوم فـيكم مقامي عـند تـذكاري
هـذا وليّ فـوالوه عـلىٰ ثـبت ... لا تفشلوا عـن مـواعـيظي وتسطاري
يـا رب عـاد الذي عـاداه مـن بشـر ... واركسه في دركـات الخـزي والعـار
فكـنت أنت ومـن واليت مـن أمـم ... في خـلع مـا قـال مـن نـقض وادبـار
فـالله يـخزيك يـا سـوار مـخزية ... في جاحم النار من غسلينها الجاري
في كلّ مَنْ حاد عن دين المليك ومن ... نعا لأحمد الطـهر مـن حـي وأنشـار
مع ما خبثت بـجمع المسـلمين ومـا ... منعت من حقّهم في حكمك الساري
حكـم لعـمرك لا يـرضاه خـالقنا ... ولا الرسـول لدىٰ النـزاع والجـاري
فـاذهب عـليك مـن الرحـمن بـهلته ... لمـا كسـا بسـواد الوجـه كـالقار
لنـعمت العـترة الصـيد المـطهرة ... خـير البـرية اطـهاراً لا طـهار[1]

ومن هجاء السيد لبني امية قوله:

أخـزىٰ الإلهُ بـني امـيّة انـهم ... ظلموا العِباد بـما أتـوه وخـاموا
نامت جدودُهم وأسقِطَ نجمُهُم ... والنـجم يسـقط والجـدود تـنامُ

---

١ ـ أخبار القضاة لابن وكيع ص ٧٤.

جزعت اميّة من ولاية هاشمٍ وبكتْ ومنهم قد بكىٰ الإسلامُ

وفي معرض مدحه لبني هاشم يقول في بني أمية هاجياً لهم:

ولكنهم خانوا النبي وأسّسوا امورهم في المسلمين علىٰ كُفرِ

اجاء نبيّ الحق من آل هاشم لِتَملِكَ تيْمَ دونهم عقدة الامر[١]

وله أبيات يميّز النسل الطيب من الخبيث، فيمدح بني هاشم ويذم بني أمية:

فان قلتم أبونا عبدُ شمس فان الزنج من أولاد نوح

هما غصنان من أصلٍ جميعاً ولكن ليس نبعُ مثل شيح[٢]

ومن قصائده الهجائية قوله في أبويه ينهاهما عن سبّ أمير المؤمنين عليه السلام:

خف يا محمد فالق الاصباح وأزل فساد الدين بالإصلاح

اتسب صنوَ محمدٍ ووصيّه ترجو بذاكَ الفوز بالانجاح[٣]

وقد ذكرناها كاملة فيما سبق.

وقال في عائشة لمّا خرجت إلى البصرة في حرب علي أمير المؤمنين عليه السلام:

جاءت مع الاشقَينَ في هودجٍ تُزجي إلى البصرةِ أجنادَها

كأنّها في فِعلِها هِرَّةٌ تُريد أن تأكلَ أولادها

قال الجاحظ: قالوا والهرة تأكل أولادها: فكفاك بهذه الخصلة لُؤماً وشَرَهاً

١ـ الديوان ص١٥١.

٢ـ الاغاني ٢٤٢/٧.

٣ـ الصنو: الاخ، الشقيق، كل اثنين من أصل واحد.

وعقوقاً وغلظِ قلب[١].

وفي ذلك روىٰ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، قال: دخلت امّ افعىٰ العبدية علىٰ عائشة، فقالت يا امّ المؤمنين: ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟

قالت: وجبت لها النار.

قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الاكابر عشرين ألفاً؟

قالت: خذوا بيد عدوّة الله[٢].

ومن صور الهجاء، أبيات قالها في خِراش:

لقد عرفت الناس جرائم بني امية وتعديهم علىٰ السادة العلويين الاطهار حتى تجاوز جرمهم إلى الاموات، فهذا خِراش بن حَوْشَب الشيباني من جند يوسف بن عمر الذي نبش قبر زيد بن علي الشهيد عليه السلام وصلبه بالكناسة، وفي خِراش يقول السيد:

لَعَنَ الله حَوْشَباً وخِراشاً ومَزْيدا
ويزيداً فإنّه كان أعتىٰ وأعندا
الفَ الفٍ والفَ الـ ـفٍ من اللعنِ سرمدا

غرض الرثاء:

كما عرفت ان السيد الحميري شديد الوقع على مبغضي أهل البيت عليهم السلام، وهو في نفس الوقت شديد الحبّ لعلي أمير المؤمنين وابنائه الاطهار، لذا اوقف

---

١ ـ الحيوان ٣١٧/٥ دار احياء التراث العربي ط٣، بيروت ١٩٦٩.

٢ ـ عيون الاخبار، لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ٢٠٢/١، ط دار الكتاب العربي بيروت.

شطراً من شعره في رثاء شهدائهم والتوجّع لهم. وأبرز قصائده الرثائية تلك التي قالها في الإمام الحسين عليه السلام:

أمُرُرْ على جَدَث الحسين فقل لا عظُمه الزكيّة
يا أعظُماً لا زلتِ من وطفاءَ ساكبةٍ رويّه

إلى آخر الابيات....

ومن جميل شعره يرثي أخاه:

يابنَ أُمّي فدتكَ نفسي ومالي كنتَ ركني ومفزعي وجَمالي
ولعمري لئن تركتُكَ ميتاً رهنَ رَمسٍ ضَنْكٍ عليك مُهال
لوشيكاً ألقاكَ حيّاً صحيحاً سامعاً مُبصِراً على خيرِ حال
قد بُعثتم من القُبور فأُبتُم بعد ما رمَّت العظام البوالي
او كسبعين وافداً مع موسىٰ عاينوا هائلاً من الأهوال
حين راموا من خُبثهم رؤية الله وأنّىٰ برؤية المُتعالي
فرماهم بصعقةِ أحرقتهم ثم احياهُم شديدُ المِحال[1]

غرض المدح:

من الاغراض البارزة التي تطالعنا في شعر السيد هو غرض المدح، الذي يحكي عن علاقات الشاعر مع كبار عصره والملوك الذين عاصرهم كالسفاح والمنصور و...، فله قصيدة واحدة في أبي العباس السفاح كما خصّ جملة من شعره بالمنصور الدوانيقي، والبعض الآخر من شعره بالمهدي، وهناك قطعتان ـ

---

١ ـ العقد الفريد ٤٠٧/٢ والديوان ص٢٣٨.

كما ذكر ـ قد خصّتا بالرشيد ولكن قد اغفلت كتب الادب والتاريخ عن ذكرهما كاملة:

أما قصيدته في السفاح هي:

دونكموها يا بني هاشم ... فجدّدوا من آيها الطامسا
دونكموها لا علا كعب من ... أمسىٰ عليكم ملكها نافسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم له لابسا
خلافة الله وسلطانه ... وعنصر كان لكم دارسا
قدساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطباً ولا يابسا
لو خيّر المنبر فرسانه ... ما اختار إلّا منكم فارسا
والملك لو شُوورَ في سائس ... لما ارتضىٰ غيركم سائسا
لم يُبق عبد الله بالشام من ... آل أبي العاص امرءاً عاطسا
فلستُ من ان تملكوها إلى ... مهبط عيسىٰ منكم آيسا[1]

وأما في المنصور فكانت له عدة قصائد مدح، وهي رائعة في سبكها ومعانيها، بل وكان المنصور يستعيد الابيات التي ينشدها السيد، ولإعجابه كان يلقمه من كل شيء كان بين يديه (من الحلوىٰ وغيرها) ويقول: شكراً لله ولك يا اسماعيل حبّك لاهل البيت عليهم السلام ومدحك لهم، وجزاك عنا خيراً. وفي هذا ينقل المرزباني في أخبار السيد باسناده عن جعفر بن سليمان قال: كنا عند المنصور فدخل عليه السيد، فقال له: أنشدني قصيدتك التي تقول فيها:

ملكَ ابنُ هندٍ وابنُ اروىٰ قبلَهُ ... مُلْكاً أمرَّ بحلّه الإبرامُ

فأنشدها حتىٰ بلغ إلى قوله:

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ١٥٨/٧ والاغاني ٢٤٠/٧ وفوات الوفيات ٣٥/١.

وأضـــاف ذاك إلى يـــزيدٍ مُـــلْكَهُ إثـــمٌ عـــليه فـــي الورىٰ وغَـــرامُ
اخـــزى الإله بـــني أُمـــيّة إنّـــهم ظـلموا العـباد بـما أتـوه وحـامُوا
نـامت جـدودُهم واسـقِطَ نـجمهُم والنـــجمُ يسـقطُ والجـدودُ تـنامُ
جَـزَعت أُمـيّةُ مـن وِلايـة هـاشم وبكتْ ومـنهم قـد بكـىٰ الإسـلام
إن يَـــجزعوا فـــلقد أتـــتهم دولةٌ وبـــها تـــدوم عـــليكمُ الأيّـــامُ
فـلكم يكـونُ بكـلِّ شـهرٍ أشـهرُ وبكـــلِّ عـــامٍ واحـــدٍ أعـــوامُ
يـا رهـطَ أحـمدَ إنّ مـن اعطاكُمُ مُـــلكَ الورى وعـــطاؤُه أقســـامُ
ردَّ الوَراثـــة والخـــلافة فـــيكمُ وبـــنو امـــيّة صـــاغرون رِغـــامُ
لَـــمُتمّمُ لكـــم الذي أعـــطاكـــم ولكـــم لديـــه زيـــادةٌ وتـــمامُ
أنـــتم بـــنو عـــمّ النـبيّ عـليكمُ مـــن ذي الجـــلال تـحيّة وسـلامُ
وورثـــتموهُ وكـــنتمُ أولىٰ بـــه إن الولاء تـــحوزُهُ الأرحـــامُ
مـا زلتُ أعـرفُ فضلكمُ ويُـحبُّكمْ قـــلبي عـــليه وإنـــني لَـــغُلامُ
أُوذىٰ واُشـــتَمُ فـــيكمُ ويُـــصيبني مِـــن ذي القـرابـة جـفوةٌ ومـلامُ
حتى بلغتُ مدىٰ المشيب فاصبحتْ مـــنّي القـــرون كأنّـــهنّ ثـــغامُ

لقد عرفت في مستهل هذا الخبر كيف طار المنصور فرحاً ثم أمر وزيره الربيع بن يونس بان يدفع للسيد فرساً وعبداً وجارية وألف درهم، وقال له: اجعل الألف له في كلّ شهر[1].

وله قصيدة في مدح المنصور وهي النونية منها قوله:

إن الإله الذي لا شيءَ يُشبِهُهُ اعطاكم الملكَ للدنيا وللدين

وقد ذكرنا بعضها في الصفحات السابقة.

---

١ ـ اخبار السيد الحميري ص٦٢ والغدير ٢/٣٨٠.

كما أنشد في المنصور أبيات مدحٍ أخرىٰ جميلة، وهي القصيدة التائية وقد تعرّض فيها أيضاً إلى هجاء سوّار منها قوله:

يا أمين الله يا منـ ـه صورُ يا خير الولاة
إنّ سوّار بن عبد اللـ ـه من شرّ القضاة

وقال مادحاً المهدي العباسي لما بُويع لولديه الهادي والرشيد بولاية العهد:

ما بالُ مجرىٰ دمعكَ الساجِمِ أمِنْ قذىً باتَ بها لازِمِ
أمْ مِنْ هوىً أنتَ لهُ ساهرُ صبابةً من قلبِكَ الهائِمِ
آليتُ لا أمدحُ ذا نائلٍ من معشرٍ غيرَ بني هاشمِ
أوْلَتْهُمُ عندي يدُ المصطفىٰ ذِي الفضلِ والمَنِّ أبي القاسم
فانّها بيضاءُ محمودةٌ جزاؤها الشّكرُ على العالَمِ
جزاؤها حفظُ أبي جعفر خليفةِ الرحمنِ والقائِمِ
وطاعةُ المهديّ ثم ابنِه موسىٰ على ذي الإربة الحازِمِ
وللرشيد الرابع المُرتضىٰ مفتَرَضٌ من حقِّهِ اللازِمِ
ملكُهُم خمسون معدودةً برغْمِ أنفِ الحاسدِ الراغِمِ
ليسَ عَلينا ما بَقوا غيرَهُم في هذهِ الأمّةِ مِن حاكِمِ
حتى يَردّوها إلى هابط عليهِ عيسى منهمُ ناجمِ[1]

وفي الرشيد قال مادحاً لما وشي به؛ كما في رواية المرزباني قال: مثلُ بين يديه، وقد رفع إليه انه رافضي...

فقال السيد مجيباً الرشيد: إن كان الرفض حبكم يا بني هاشم فما اعتذر

---

١ ـ الديوان ص٤٠٦ والاغاني ٢٥٥/٧.

منه، ولا أزول عنه، وإن كان غير ذلك فما أقول به ثم أنشده:

شجاك الحي إذ بانوا فـدمعُ العينِ هتّانُ

إلى أن يقول:

فـحبي لك ايـمانُ ومـيلي عـنكَ كـفرانُ

فـعدّ القوم ذا رفضا فلا عدّوا ولا كـانوا[١]

ولما انتهىٰ من انشاده أمر له الرشيد ببدرتين ففرّقهما فـبلغ الرشـيد ذلك فقال: أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا.

ومن مديحه الصادق قوله في أبي بُجَير بن السماك الاسدي أمير الاهواز وكان صديقاً له، ولمّا اظهرت المرجئة الشماتة بأبي بجير عـندما اشـرف عـلى الموت، فخرج السيد متحرقا حتى اكترىٰ سـفينة، وخـرج إلى الاهـواز وأنشأ يقول:

تـباشر اهـلُ تـدمر إذْ أتـاهم بأمـرِ أمـيرنا لهـم بشـيرُ[٢]

ولا لأمـــيرنا ذنبٌ إليـــهم صـغيرُ فـي الحـياة ولا كـبيرُ

سـوى حبِّ النـبي وأقـربيه ومـــولاهم بـــحبِّهمُ جـديرُ

وقـالوا لي لكـيما يُـحزنوني ولكـــن قـــولهم إفكٌ وزورُ

لقد أمسىٰ أخـوك أبـو بـجير بـــمنزله يُـــزار ولا يَـزورُ

وظـلّت شـيعةُ الهـادي عـليٍّ كأنّ الأرض تـحتهم تَـمور[٣]

---

١ ـ أخبار السيد /٣٨ وأعيان الشيعة ١٢/١٨٠ والديوان ٤١٠.

٢ ـ تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بداية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام. وقد زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان.

٣ ـ تمور، من مار البحر: ماج واضطرب، ومارت الارض تحرّكت.

فـــبِتُّ كأنـــني مـمارَمَوْني ... به فـي قِـدٍّ ذي حَـلَقٍ أسـيرُ[١]

كأنّ مـدامـعي وجـفونَ عـيني ... تُـوَخَّز بـالقتاد فـهنّ عُـورُ[٢]

أقـول عـليَّ للـرحـمن نـذْرُ ... صحيحُ حيث تُحتَبس النّـذورُ

بـمكة ، إن لقـيتُ أبـا بُجيرٍ ... صـحيحاً واللـواءُ له يسـيرُ

---

١ ـ القِد بالكسر : سير يقدّ من جلد ، ويقال لكل محبوس في قد : أسير .

٢ ـ توخَّز : من الوخز وهو الطعن بالرمح أو بابرة غير نافذة . القتاد : الشوك .

ديوان السيّد الحميري

نحاول أن نستعرض بعض النصوص لنقف على حقيقة ديوان السيد وحجم شعره.

قال صاحب الاغاني في حقّ السيد وشعره؛ ان أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة:

بشار وأبو العتاهية والسيد ـ الحميري ـ فانه لا يعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم اجمع[١].

ومما يؤكد هذا المعنىٰ قول أبي عبيدة، لما سُئل: «أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار»[٢].

وقال الموصلي: حدّثني عمّي قال:

جمعتُ للسيد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة، فخلت أن قد استوعبتُ شعره، حتى جلس إليّ يوماً رجلٌ ذو اطمارِ رثّةٍ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي، فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثم انشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره، وعرفت حينئذٍ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن

---

١ ـ الاغاني ٢٩٩/٧.

٢ ـ المصدر السابق ٢٣٢/٧.

جمعه[١].

وقد عرفت فيما سبق من بحثنا ان بعضهم جمع للسيد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة، ولم يستوف شعره فيهم، وان له في أهل البيت عليهم السلام ألفين ومائتين قصيدة كانت تحفظ أربع بنات له، كل واحدة تحفظ أربعمائة قصيدة منها.

وان بعضهم قال: فقط قصائده الميميّات حمل بعير عدا ما كان على غيره من الحروف[٢].

وانه لم يترك فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام الانظم فيها شعراً.

وقال السيد الامين العاملي:

(وقد ذهبت الايام بهذه القصائد وبديوانه الذي كان معروفاً محفوظاً)[٣].

وقد ذكر السيد العاملي طائفة كبيرة من شعره قد استقاها من بطون الكتب ورتّبها حسب ذوقه واجتهاده[٤].

وقال الاربلي مشيراً إلى ديوان السيد:

قلت: رجوع السيد عن كيسانيته بقول الصادق عليه السلام امر مشهور، وبألسنة الرواة ونقلة الآثار مذكور، في ديوان شعر مثبت مسطور....

قال هذه العبارة بعدما ذكر قصيدته البائية ومطلعها:

أيا راكباً نحو المدينة جسرة عذافرة تطوىٰ له كل سبب

---

١ ـ الاغاني ٢٣٧/٧.

٢ ـ طبقات ابن المعتز ص٣٦.

٣ ـ اعيان الشيعة م٤١٨/٣ ط دار التعارف. بيروت ١٩٨٣ م.

٤ ـ المصدر السابق ٤٠٥/٣ ـ ٤٣٠.

ثم ينقل الاربلي في كتابه كشف الغمّة الكثير من شعر السيد في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله وهكذا في فضائل ابنائه الاطهار، ومن قوله المتقدّم ان ديوان السيد الحميري إلى القرن الثامن الهجري كان موجوداً[١].

أمّا الشيخ اغا بزرك الطهراني فقد صرّح في الذريعة بوجود أكثر من نسخة من الديوان فقال:

توجد نسخة من ديوانه في احدى مكتبات اليمن، كما ذكره بعض، وكذا في المكتبة الظاهرية بدمشق، كما في فهرسها[٢].

ودوّن شعره أيضاً الشيخ محمد بن طاهر السماوي وقد طبع ضمن كتابه (الطليعة من شعراء الشيعة).

وقد جمع الشيخ علي الخاقاني صاحب مجلة البيان النجفية الغراء أحوال الحميري وشعره في ١٣٥٣ هـ.

من هذه النصوص اتضح للجميع ان شعر السيد غزير لا يمكن لأحد ان يستوفي جمعه، وقد ذهب وهو في صدور الرجال والرواة والحفّاظ، ومن اولئك الحفّاظ بناته الاربع، لكن قد احتفظت بعض المجاميع الادبية والموسوعات التاريخية بالشيء الكثير من شعره وقصائده.

فمن شعر السيد المحفوظ والذي وصلنا:

قصيدته المذهّبة والتي شرحت من قبل اعلام الأُمّة كشرح الشريف الرضي، وشرح العلامة تاج العلي العلوي الحسيني المتوفى سنة ٦١٠ هـ وهناك شروح أخرى.

---

١ ـ كشف الغمّة للاربلي المتوفى سنة ٦٩٣ هـ، ٣٩١/٢ ط دار الكتاب الاسلامي، بيروت.

٢ ـ الذريعة ٢٦٨/٩ تحت رقم ١٦١٥، القسم الاول من الجزء التاسع، ط دار الاضواء، بيروت.

وقد أقدم الاستاذ محمد الخطيب بمعونة الدكتور سعيد البستاني والدكتور صلاح الدين المنجّد علىٰ تحقيق شرح الشريف المرتضى على القصيدة المذهبة وعدد أبياتها مائة وسبعة عشر بيتاً.

وطبع هذا الشرح مع القصيدة في بيروت، دار الكتاب الجديد، سنة ١٩٧٠م.

ومن شعر السيد الذي وصلنا، قصيدته العينيّة، وهي في أربع وخمسين بيتاً ولها شروح كثيرة، منها شرح بهاء الدين الاصبهاني والمعروف بالفاضل الهندي المتوفّىٰ سنة ١١٣٧ هـ، وقد أشرنا إلى بقية الشروح في طيات الكتاب هذا فراجع. طبع هذا الشرح مع القصيدة في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام في قم سنة ١٤٢١ هـ.

اضف إلى هذا: الديوان المطبوع وهو ماثل بين أيدينا، والذي يضم مائتين واحدىٰ وعشرين قطعة وقصيدة في (١٨٧٦) بيتاً، جمعها وحققّها الاستاذ شاكر هادي شكر، وشرح أبياتها وعلّق على مضامينها وخرّج الايات والاحاديث من مصادرها، ثم طبع الديوان ـ بتقديم العلامة السيد محمد تقي الحكيم رحمه الله ـ في بيروت وهو من منشورات دار مكتبة الحياة.

لكن الذي قدّمه الاستاذ (شاكر هادي) انما هو يمثل جُزء الديوان لا كلّه ومع ذلك فقد أجاد وأفاد فلله دره وعلىٰ الله أجره.

وكما قال الناشر:

ولقد ابدعَ الاستاذ (شاكر) في جميع ما قام به من جمع وتبويب وفهرسة للشعر وللشروح، وفق أحدث ما يتطلبه البحث العلمي الحديث....

ويقع الديوان في ٥٧٣ صفحة بما فيه الفهارس.

أقول: عسىٰ ان يوفق بعض النابهين من الاساتذة ومحبّي الادب فيعثر على ديوان الحميري الكامل فيخرجه إلى النور ويرفع عن الجميع بعض الاوهام والشكوك وعلى الله ليس ببعيد.

وعليه، فان طائفة كبيرة من قصائد الحميري لم تزل مفقودة، وقد أوعز طه حسين سبب ضياع شعر السيد لكونه يتعرّض إلى الصحابة بسوء، وهذا المقال أخذه من أبي الفرج الاصبهاني حيث قال:

وإنما مات ذكره وهجر الناسُ شعره لما كان يُفرط فيه من سبّ أصحاب الرسول ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتُحُومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجره الناس تخوّفا وتراقُبا. وله طراز من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلحقُ فيه أو يقاربه، ولا يُعرف له من الشعر كثير وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم...[1].

وقد ردّ على هذا الاتهام العلامة الحكيم فقال:

ما وجد في شعره من تعرض للخلفاء ولبعض الصحابة ورائده في ذلك انه كان يتّهمهم بسوء النية بعدما صحّ لديه القول بالنّص لانه كان لا يرىٰ مبرراً لأعراضهم عن الخليفة الشرعي، وعلى هذا المعنى ينزل كل شعره الذي قاله فيهم[2].

ثم قال العلامة الحكيم رحمه الله مشيراً إلى سبب ضياع شعر السيد:

في عقيدتي أن هذه الكثرة من شعر الحميري وعدم تنوع ما يطرقه من مواضيع غالباً هي التي أخرجت الكثير من الناس عن استقصاء وحفظ كل ماله

١ـ الاغاني ٧/ ٢٣٠.

٢ـ شاعر العقيدة ص ١٤٠.

من شعر، وربما اكتفىٰ بعضهم بحفظ بعض القصائد، والاكتفاء بها عن الاستقصاء وأين من الناس من يقصر حياته مثلاً على حفظ الفي قصيدة لشاعر واحد، وأكثرها من نوع واحد...؟

ثم قال: ولكن العوادي الزمنية هي التي عرضت أكثر هذه الآثار للضياع، كما عرضت جملة كنوزها العلمية والادبية الخالدة[1].

---

١ ـ شاعر العقيدة، للعلامة محمد تقي الحكيم ص١٤٨.

الفصل العاشر

السيّد الحميري

شاعر المناقب والفضائل

* روىٰ المرزباني في كتابه أخبار السيد عن أبي عبيده قال: ان السيد كان يأتي الاعمش سليمان بن مهران فيكتب عنه فضايل علي أمير المؤمنين عليه السلام ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً....

أخبار السيد ص٤٩

تمهيد

لقد اتّسم شعر السيّد الحميري بالولاء العميق والصادق لأمير المؤمنين عليه السلام وابنائه الاطهار، وهذا الولاء الصادق دفعه أن يذكر مناقبهم ويشرح فضائلهم للخاص والعام، حتىٰ جدَّ الشاعر بعزم خالص في أن يأخذ سيرة أمير المؤمنين وفضائله ومعاجزه عن سليمان بن مهران؛ الاعمش فيكتبها ويصوغها قلائد من الشعر.

ولمّا كان الأمر كذلك فقد خصّصتُ فصلاً مستقلاً اتحدّث فيه عن شعر المناقب عند السيد، ذاكراً فيه عدةً من قصائده التي هي جامعة للكثير من الفضائل المختصة بأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره من الصحابة.

وقد آثرت ان اشرح بعض المفردات بما يناسب، وأن أُشير إلى بعض الاحاديث والاخبار التي لمّح إليها السيد في قصائده، ذاكراً مصادرها المعتبرة عند جمهور المسلمين اما الشعر فقد رجعت فيه إلى ديوان السيد وإلى شرح قصيدته المذهبة وهكذا شرح قصيدته العينيّة وقد استفدنا من تعاليق الديوان وشرح الشريف المرتضى علم الهدىٰ.

قال في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ذاكراً جملة من مناقبه[١]:

بـــيت الرســالة والنــبوة والّـذ ... يــن نــعدّهم لذنــوبنا شـفعاءا[٢]

الطـــاهرين الصـــادقين العـــا ... لمـــــين الســـادة النـــجباءا

إنـــي عـلقت بـحبّهم مـتمسكاً ... ارجـو بـذاك مـن الإله رضـاءا[٣]

أسـواهـم أبـغي لنـفسي قـدوةً ... لا والّـذي فـطرَ السـماء سـماءا

مـن كـان أول مـن أبـاد بسـيفه ... كـــفّار بـــدرٍ واســتباحَ دمـاءا

مـن ذاك نـوّه جـبرئيل بـاسمه ... فـي يـوم بـدر يسـمعون نـداءا

لا سـيف إلّا ذوالفـقار ولا فـتىً ... إلّا عـــلي رفـــعة وعـــلاءا[٤]

من أنزل الرحمن فـيهم هـل أتـىً ... لمـــا تـــحلوا للـنذر وفـاءا[٥]

---

١ ـ الديوان: ص٥٣، اعيان الشيعة: ٢١٢/١٢، المناقب: ٤٧/٢ و١٢٨ و١٣٢ و٧/٣ و١٢١ و٣٨٨.

٢ ـ عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: (الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيكم، وأهل نبيكم) المناقب لابن شهر آشوب: ١٦٤/٢.

٣ ـ عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يحبّنا أهل البيت إلّا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلّا منافق شقي).

٤ ـ النداء الذي سمعه المسلمون من جبرائيل هو: (لا سيف إلّا ذو الفقار، لا فتىً إلّا علي) وهذا النداء تكرر في عدة غزوات، منها غزوة بدر انظر: كتابنا ملامح شخصية الإمام علي، وذخائر العقبى: ص٧٤ والغدير: ٥٥/٢.

٥ ـ اشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُوراً﴾ الايات ٥ ـ ٩ من سورة الإنسان انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومولاتهم فضه. لمّا نذروا نذراً في شفاء الحسنين.

انظر تفصيل سبب نزول الايات من تفسير الكشاف: ٢٩٧/٣، تفسير الفخر الرازي: ٢٤٤/٣، أسباب النزول للواحدي: ص٣٣١ نور الابصار للشبلنجي: ص٢٠١، أسد الغابة: ٥٣٠/٥، مجمع البيان: ٤٠٤/١٠.

من خمسة جبريل سادسهم وقد ... مَدّ النّبي علىٰ الجميع عباءا[١]
من ذا بخاتِمِه تصدّق راكعاً ... فاثابه ذو العرش عنه ولاءا[٢]
يا رايةً جبريل سار أمامها ... قدماً واتبعها النبي دعاءا
الله فضّله بها ورسوله ... والله ظاهر عنده اللألاءا
من ذا تشاغل بالنبي وغسله ... ورأىٰ عن الدنيا بذاك عزاءا[٣]

---

١ ـ أراد السيد بالعباء والخمسة، أي الخمسة الذين طهّرهم الله سبحانه وقد ضمّهم النبي بالرداء اليماني والحديث مشهور ويعرف بحديث الكساء، وتفاصيله في أغلب كتبنا وهكذا في ذخائر العقبىٰ: ص ٢١ وأسد الغابة ٢٩/٤ وأسباب النزول للواحدي ص٢٦٧ وتفسير الآية ٣٣ من سورة الاحزاب (آية التطهير) في مجمع البيان: ٣٥٦/٨.

٢ ـ اشارة إلىٰ التصدق بالخاتم.

عن أبي ذر قال: صلّيت مع النبي ﷺ صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد. فرفع السائل يده وقال: اللهم أشهد اني سألت في مسجد الرسول فما اعطاني أحد شيئاً. وعلي عليه السلام كان راكعاً، فاومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فأقبل السائل حتىٰ أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ. فقال اللهم ان أخي موسىٰ سألك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه: ٢٥ ـ ٣٢.

فانزل الله سبحانه قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ القصص: ٣٥ فدعا النبي ﷺ كما يحكي القرآن المجيد ذلك الدعاء: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي...﴾.

وقال أبو ذر فو الله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتىٰ نزل جبرئيل فقال: يا محمد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

انظر: أسباب النزول: ١٤٨، نور الابصار: ١٧٠، تفسير الفخر الرازي: ٢٦/١٢، ذخائر العقبىٰ: ٨٨، تفسير الكشاف: ٤٦٨/١.

٣ ـ لم يباشر أحد في تغسيل النبي ﷺ إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام قال ابن عباس: لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره: هو أول عربي وعجمي صلىٰ مع رسول الله، وهو الذي كان لواءه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره، وهو الذي غسله وادخله قبره.

من كان أعلَمَهم وأقضاهم ومن جعل الرعيةَ والرعاة سواءا[١]
من كان باب مدينة العلم الذي ذكر النزول وفسّر الانباءا[٢]
من كان اخطبَهم وانطقَهم ومن قد كان يشفي قولُه البرحاءا
من كان انزعهم من الاشراك أو للعلم كان البطنَ منه حفاءا
من ذا الذي أُمِرُوا إذا اختلفوا بأن يَرضوا به في أمرهم قَضَّاءا
من قيل لولاه ولولا علمه هلكوا وعانوا فتنة صمّاءا
من كان أرسله النبي بسورة في الحج كانت فيصلاً وقضاءا
من ذاالذي اوصىٰ إليه محمد يقضي العدات فانفذ الايصاءا
من ذاالذي حمل النبي برأفة ابنيه حتىٰ جاوز الغمصاءا[٣]
من قال نعم الراكبان هما ولم يكن الذي قد كان منه خفاءا
من ذا مشىٰ في لمع برق ساطع إذْ راح من عند النبي عشاءا

وقال في مدح أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فتح حصون خيبر:

واذكر تقحّمه الديار ولا تكن ليهود خيبر لا تكون نسيا[٤]

---

١ ـ اشارة إلى حديث الرسول في علي عليه السلام إذ قال صلى الله عليه وآله: اقضىٰ امّتي علي. عن انس بن مالك. وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: تخصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش أنت اولهم ايماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية واعدلهم في الرعية، وابصرهم بالقضية، واعظمهم عند الله مزية.
انظر: ذخائر العقبىٰ: ص٨٣ وشرح الاشباه، للمؤلف.

٢ ـ اشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله قال: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه) أسد الغابة: ٢٢/٤.

٣ ـ الغمصاء: من فيه مغمز وقدح. هذا البيت إلى آخر القصيدة إشارة إلى بعض مناقب الحسنين.

٤ ـ مناقب ابن شهر آشوب: ٢٩٦/٢، اعيان الشيعة: ٢٧٨/١٢.

حمل الرتاج رتاج باب قموصها فحسبته يمشي بها بُختيًا
ماردّه سبعون حتىٰ الهثوا سبعون مؤتنف الشباب قويًا

روى ابن شهر آشوب ـ وآخرون ـ ان الذين استطاعوا حمل باب خيبر الذي اقتلعه أمير المؤمنين عليه السلام هم خمسون رجلاً وفي رواية سبعون رجلاً.

قال ابن الاثير: لما أتىٰ علي إلىٰ خيبر اشرف عليه رجل من اليهود فقال: من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غلبتم يا معشر اليهود. وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبه مثل البيضة علىٰ رأسه وهو يرتجز:

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب

فأجابه علي:

أنا الذي سمّتني امّي حيدره كليث غابات شديد قسوره
اكيلكم بالسيف كيل السندره[1]

قال الفخر الرازي: عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[2].

ان كل من كان أكثر علماً باحوال عالم الغيب كان أقوىٰ قلباً وأقل ضعفاً. ولهذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية. وذلك لان علياً كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد واشرقت الملائكة بانوار عالم الكبرياء فتقوىٰ روحه

---

١ ـ الكامل لابن الاثير: ١٤٩/٢.

٢ ـ الكهف: ٩.

وتشبه بجواهر الارواح الملكية. وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة. فلاجرم حصل من القدرة ما قدر بها علىٰ ما لم يقدر عليه غيره[١].

وقال الدكتور محمد حسين هيكل: بعث الرسول أبابكر براية إلىٰ حصن ناعم ـ أحد حصون خيبر ـ كي يفتحه فقاتل دون ان يفتح الحصن، وبعث الرسول عمر بن الخطاب في الغداة فكان حظه كحظ أبي بكر.

فدعا الرسول إليه علي بن أبي طالب ثم قال له خذ هذه الراية فامضِ بها حتىٰ يفتح عليك. ومضىٰ بالراية فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده. فتناول علي باباً كان عند الحصن فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتىٰ فتح الحصن...[٢].

وفي حديث خيبر قال السيد الحميري[٣]:

سأعطي امرءاً إن شاءَ ذو العرش رايتي
قوياً أميناً مستقلاً بها غدا
يحبّ الهي والإله يُحبّه
لدىٰ الحربِ ميمون النقيبة أصيدا
ففاز بها منه عليٌ ولم يزل
عليه معاناً في الامور مؤيّدا

---

١ ـ التفسير الكبير ٩١/٢١.

٢ ـ حياة محمد: ص٣٨٨.

٣ ـ نهج الايمان لزين الدين، علي بن يوسف بن جبر، من اعلام القرن السابع، ص٣٢٦، تحقيق العلامة السيد أحمد الحسيني ط الاولىٰ ١٤١٨.

عـلى عـادةٍ مـنه جـرت فـي عـدوه
وكـل امـريء جـار عـلى مـا تـعوّدا

أقول حديث الراية مشهور بين الخاص والعام وإليك أحد هذه الطرق: عن عبد الله بن بريده قال: سمعت أبي يقول حاصرنا خيبر وأخـذ اللـواء أبـو بكـر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد فخرج ورجع ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذٍ شدة عظيمة وجهد، فقال رسول الله ﷺ إني دافع الراية غـداً إلى رجل يحبّه اللهُ ورسولُه ويحب اللهَ ورسولهَ، لا يرجع حتىٰ يفتح الله له. فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً. فلما أن أصبح رسول الله ﷺ صلىٰ الغداة ثم قـام قـائماً فدعا باللواء والناس علىٰ مصافهم، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له. قال بريدة: وأنا في مَنْ تطاول لها.

انظر: مسند الإمام أحمد ٣٥٣/٥ و٣٣١/١ عن ابن عباس، و١٨٥/١ عن سعد بن أبي وقاص، و٣٨٤/٢ عن أبي هريرة.

ورواه البخاري في صحيحه مرفوعاً الى سلمه بن الاكـوع انـظر: ٢٣/٥ و١٧١ عن سهل و ٥٧/٤ و٢٥.

ورواه مسلم في صحيحه ١٨٧٢/٤ ورواه: الترمذي في صحيحه ٦٣٨/٥ ورواه ابن المغازلي في مناقبه ص ١٨١.

وله في حديث الطائر المشوي الأبيات:

ادخـل إليّ أحب الخـلق كـلهم حـبـاً إليك وكـان ذاك عـليا
لمّا بدت لأخيه سحنة وجـهه ودنـا فسـلم راضـياً مـرضيا
حيّا ورحب مـرحباً بـاحبهم حـيا إلىٰ مـلك العـلى واليـا[1]

---

١ ـ مناقب ابن شهر آشـوب: ٢٨٥/٢ و٢٦٥/١ و٧٦/٣، الديـوان: ص ٤٦٢، العـقد الفـريد: ٤٠٥/٢، أعيان الشيعة: ٢١٥/١٢.

أقول: حديث الطائر المشوي مشهور ومتواتر وقد ذكرناه في كتاباتنا السابقة منها: ملامح شخصية الإمام علي، وشاعر العقيدة المفجّع البصري، وشرح الاشباه، والخبر اليقين وغيرها فراجع.

وأصل الحديث رواه أنس بن مالك، ورواه عنه خمسة وثلاثون من الصحابة والتابعين. ورواه عن النبي ﷺ عشرة اشخاص[1].

وقد احتج المأمون بهذا الحديث علىٰ الفقهاء الذين ناظرهم في كون علي ابن أبي طالب عليه السلام أفضل الصحابة بعد الرسول.

والمناظرة بتفاصيلها رواها ابن عبد ربه[2].

وله في حديث الطائر المشوي الذي اهدي إلىٰ النبي ﷺ القصيدة الآتية:

نبئتُ أنّ أباناً كان عن أنسٍ يروي حديثاً عجيباً معجباً عجبا[3]

---

١ ـ دلائل الصدق: ٢/٢٨٠ والمناقب: ٢/٢٨٢.

٢ ـ العقد الفريد: ٥/٩٧.

٣ ـ تشير الأبيات إلىٰ قصّة الطائر المشوي الذي اهدي إلىٰ النبي ﷺ وكيف حاول أنس بن مالك صرف أمير المؤمنين والحيلولة دون وصوله إلىٰ النبي ﷺ. روى بن شهر آشوب في المناقب ٢/٢٨٢ قال: ان أنساً تعصّب بعصابة فسئل عنها فقال: هذه دعوة علي. قيل وكيف ذلك؟ قال: أُهدي إلىٰ رسول الله طائراً مشوياً فقال: (اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير). فجاء علي فقلت له: رسول الله عنك مشغول واحببت أن يكون رجلاً من قومي. فدعا رسول الله ثانية فجاء علي فقلت: رسول الله عنك مشغول. فدعا رسول الله ثالثة فجاء علي فقلت: رسول الله عنك مشغول... فرفع علي صوته وقال: وما يشغل عني رسول الله. وسمعه رسول الله فقال: يا أنس من هذا؟ قلت: علي بن أبي طالب. قال: ائذن له. فلما دخل عليه علي قال له: يا علي اني قد دعوت الله ثلاث مرات ان يأتيني بأحب خلقه إليه والي ان يأكل معي هذا الطير. ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك ان يأتيني بك. فقال: يا رسول الله اني قد جئت ثلاث مرات كل ذلك يردّني انس ويقول: رسول الله عنك مشغول. فقال لي رسول الله ما حملك علىٰ هذا؟ قلت: احببت ان يكون رجلاً من قومي. فرفع علي يده إلىٰ السماء فقال: اللهم ارم انساً بوضح لا يستره من الناس. وفي رواية: لا تواريه العمامة. ثم كشف ⇐

فـي طـائر جـاء مشـوياً بـه بشـرُ ... يـوماً وكـانَ رسـولُ اللهِ مـحتجبا
أدنـاهُ مـنه فـلمّا أنْ رآه دعـا ... رَبّـاً قـريباً لأهـلِ الخـيرِ منتجبا
أدخِـل إليَّ احبَّ الخـلقِ كـلّهم ... طُـرّاً إليك فأعـطاهُ الذي طَـلَبا
فـاغترَّ بـالبابِ مـغتراً فـقالَ لَـهم ... مـن ذا وكـان وراءَ البـابِ مـرتقبا
مَـنْ ذا؟ فـقال عـليّ قـال ان له ... شأنـاً له اهـتم مـنه اليـوم فـاحتجبا
فـقال لا تَـخجِبَنّ مـني أبـا حسـن ... يـوماً وأبـصر فـي أسـراره الغـضبا
مـن رده المـرة الأولىٰ وقـال له ... لُجْ واحـمد الله واقـبل كـل مـا وهـبا
أهـلاً وسـهلاً بـخلصاني وذي ثـقتي ... ومن له الحبّ من ربّ السما وجبا[1]
وقـال ثَـمَّ رسـول الله يـا أنس ... مـاذا أصـاب بك التـخليط مكـتسبا
مـاذا دعـاك إلىٰ أن صـار خـالصتي ... وخـير قـومي لديك اليـوم محتجبا
فـقال يـا خـير خـلق الله كـلهم ... اردت حـين دعـوت الله مـطّلبا
بـان يكـون من الانـصار ذاك لكي ... يكـون ذاك لنـا فـي قـومنا حسـبا
فـقد دعـا ربـه المـحجوب في أنس ... بـان يـحل بـه سـقم حـوى كـربا
فـناله السـوء حـتىٰ كـان يـرفعه ... في وجهه الدهر حتىٰ مـات مـنتقبا
إنـا وجـدنا له فـيما نـخبره ... بـعروة العـرش موصولاً بـها سـببا
حـبلاً مـتيناً بكـفيه له طـرف ... سـدَّ العـراج إليـه العـقد والكـربا
مـن يـعتصم بـالقوىٰ مـن حـبله فـله ... أن لا يكون غداً في حـال مـن عـطبا

⇒ العمامة عن رأسه فقال هذه دعوة علي.

روى القصيدة: محسن الامين في الاعيان: ٢١٥/١٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٦٥/١ و ٧٦/٢ و ٢٨٣، العقد الفريد: ٤٠٥/٢.

١ ـ الخلصان بالضم: الخالص من الاخدان. يستوي فيه الواحد والجماعة. يقال هو خلصاني وهم خلصاني. وفي الاصل (خلصائي).

قـوم غـلوا فـي عـليّ لا أبـاً لهـم ... وجشّـموا انـفس فـي حـبه تـعبا
قـالوا هـو الله جـل الله خـالقنا ... مـن أن يكـون ابـن امٍّ أو يكـون أبـا
فـمن ادار أمـور الخـلق بـينهم ... إذ كان في المهد أو في البطن محتجبا

* * *

وله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر جملة من مناقبه عليه السلام :

ألا طـرقتنا هـند والركب هـجع ... وطـاف لهـا مـني خـيال مـروّع
عـجبت لهـا أنّـى سـرت فـتعسفت ... ظلام الدجىٰ والليل اعبس اسفع[1]
فأنّي اهتَدت للركب والركب معرس ... بـحيث يـظلّ الطـير والوحش تـرتع
وعهدي بها ترتاع مـن صـوت وطـئها ... ومـن فـيّها بـين المقاصير تـجزع
فـقلت لهـا يـا هـند أهـلاً ومـرحبا ... وبت بـهـا مـن ليـلتي اتـمتّع
بـضم وتـقبيل عـلى غـير رقـبة ... وطـيب عـناق ليس فـيه تـمنُّع
ألاحظ منها الوجـه كـالشمس تـطلع ... والثـم مـنها الثـغر كـالمسك يسطع
وارشـف مـن فـيها رضـاباً كـانه ... مـعتقه راح بـماء تشـعشع[2]
فـيا طـيب ليـل بتّ فـيه مـتمتّعاً ... إلىٰ أن بـدا وجـه مـن الصبح يشـنع
فـقمت حـزيناً آكـل الكفّ حسـرة ... واعلم ان قـد كـنت فـي النـوم اخـدع
امـا تـرحـمي يـا هـند صـباً متيماً ... وكـاد اشـتياقاً قـلبه يـتقطع
يـبيت وقـد قـرّت بـوصلك عـينه ... ويضحي وما فـي نـظرة مـنك يـطمع
بـلىٰ فـي هـوىٰ آل النـبي مـحمد ... لمـثلي تـعلّ عـن هـواك ومـقنع

---

١ ـ اسفع: أسود.

٢ ـ شعشع الشراب: مزجه بالماء.

ألا إنّـــما العـــبد الذي هـو مـؤمن ... يـــقيناً هـــو المـرء الذي يـتشيع
إذا أنـــــا لم أهـــو النـــبي وآله ... فـمَن غـيرهم لي فـي القـيامة يشـفع
ومَن يسقني ريا مـن الحـوض شـربة ... هـــنالك الا الاصـلع الرأس انـزع[1]
ومَـن قـائلُ للـنار إذ مـا وردتـها ... ذري ذا وجـلّ النـاس فـي النـار وقّـع
ومَـــن بـلواء الحـمد ثَـمَّ يـظلّني ... سواه وشمس الحشر في الوجه تلذع
عـــليّ وصـــي المـصطفىٰ ووزيـره ... ونـاصره والبِـيضُ بـالبَيْض تـقرع
واكـــرم خـــلق الله صـنو مـحمد ... ومَـن ليس عـن فـضل إذا عـدّ يـدفع
ومَـــن مـــعه صـلّىٰ وصـام لربـه ... ولـــلّات قـــوم سـاجدون وركّـع
فـــذاك أمـــير المـؤمنين ومـن له ... فـضائل مـا كـادت لخـلق تـجمّع
هو الخـاطر المـختال يـمشي بسـيفه ... إلىٰ أهـــل بـدر والأسـنّة تـنزع[2]
وقـــد زفت الحـرب العـوان إليـهم ... عـليها حـليّ مـن قـواضب تـلمع
فجاشت لهـا نـفس الشـجاع مـخافة ... وقـــصر عـنها الفـارس المـتسرع
واحـجم عـنها المسـلمون ولم يكـن ... ليـــثبت إلّا رابـــط الجأش اروع[3]
مشـىٰ بـاذلاً للـموت فـي الله نـفسه ... وأيّـــده الخـلاق مـا شـاء يـصنع
هـناك بـرى هـام الكـماة بـصارم ... له مـن سـيوف الهـند مـا مسّ يـقطع
وفـي خـيبر فـاسأل بـه آل خـيبر ... أمن ضربهم بالسيف هل كـان يشـبع
ألم يُردِ فـيها مـرحباً فـارس الوغـىٰ ... صـــريعاً لجـنبيه ذئـاب وأضـبع

---

١ ـ الاصلع والانزع : يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢ ـ المختال : المتبختر .

٣ ـ من الوقائع التي احجم عنها جلّ المسلمين واقعة أُحد التي قال عنها الدكتور هيكل في كتابه حياة محمد : ٢٩٨ (وكان أكبر همّ كل مسلم أن ينجو بنفسه إلّا من عصم الله من أمثال علي بن أبي طالب).

اما فتح الحصن المشيد بناؤه ... وقد كاع عنه قبل ذلك تبّع[١]
ومن قلعت يمني يديه رتاجه ... وقد قصّرت عنه اكفّ وأذرع
ومن ذا سبىٰ منه حصاناً كريمة ... يذبّ همام القوم عنها ويدفع[٢]
فقرّ رسول الله عيناً بقربها ... وقد طمعت منها نفوس تطلّع
ومن ذا له قال النبي محمد ... غداة تبوك حين قالوا وشنّعوا
فغمّ أمير المؤمنين مقالهم ... وكادت اماقيه من الحزن تدمع
فقام رسول الله منهم مبلّغاً ... لهم فضله لو كان ذلك ينجع
فقال عليّ فاعلموا من نبيكم ... كهارون من موسىٰ فكفّوا وأقلعوا
ومن ذا لهم في يوم خم اقامه ... وقال لهم فيه مقالاً فأجمعوا
فقال فمن قد كنت مولاه منكم ... فهذا له مولىً يطاع ويسمع
ومن حملته الريح فوق سحابةٍ ... بقدرة ربّ قدرَ من شاء يرفع
ومرّ بأصحاب الرقيم مسلّماً ... فردّوا من الكهف السلام فاسمعوا
ومن فجّر الصخر الأصم لجنده ... ففاض معيناً منه للقوم ينبع
ومن لصلاة العصر عند غروبها ... تردّ له الشمس المضيئة تلمع
فصلّىٰ صلاة العصر ثم انثنت له ... تسير كسير البرق والبرق مسرع
فيا لائمي في حبهم كفّ إنني ... بحبّ أمير المؤمنين لَمُولَعُ
ولا دنت إلّا حُبَّ آلِ محمد ... ولا شيءَ منه في القيامة انفع
إذا العدل والتوحيد كانا وحبه ... بقلبي فاني العابد المتطوّع

---

١ ـ كاع: عُقر فمشىٰ علىٰ كوعه. لانه لا يقدر علىٰ القيام. والكوع طرف العظم الذي يلي رسغ اليد المحاذي للابهام.

٢ ـ الكريمة التي سبيت: أم المؤمنين صفية بنت حي بن اخطب النضيرية.

أنـا السـيّد القـوّال فـيهم مـدائحاً تـمر بـقلب النـاصبين فـتَصدع

❊ ❊ ❊

أقول: وتركنا التعليق علىٰ مفردات هذه القصيدة وهكذا شرح مضامينها لاننا سنذكر جملة من شعر السيد الحميري التي فيها اشارات واضحة إلىٰ مناقب الإمام، فلا داعي لتكرار الشرح هنا.

كما صدر لنا عدة بحوث تتضمن مناقب أمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام، وقد فصّلنا البحث هناك وأحلنا جميع تلك المطالب إلىٰ مصادرها. فمن كتبنا المطبوعة: ملامح شخصية الإمام علي عليه السلام، شرح الاشباه، الخبر اليقين في سيرة أميره المؤمنين، قبس من كرامات الإمام الحسين عليه السلام صدر منه ثلاث مجلّدات، وهناك بحوث فليراجع.

وقد أوردنا القصيدة في هذا القسم لكونها من القصائد الغرّاء ذات السبك والمضمون الرائع.

ومن قصائده الغرّاء في مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

وفـي يـوم بـدر حـين بـارز شـيبة بـعضب حسـام والأسـنّة تـلمع

فـبادره بـالسيف حـتىٰ أذاقـه حـمام المـنايا والمـنيّات تـركع

وصـيّره نـهباً لذئب وقشـعم عـليه مـن الغـربان سـود وأبـقع[1]

وفي يـوم جـاء المشـركون بـجمعهم وعمرو بـن عـبد فـي الحـديد مـقنّع

فـجدّله شـلواً صـريعاً لوجـهه رهـيناً بـقاع حـوله الضبع تـخمع[2]

---

١ ـ القشعم: النسر وهو من الطيور الكواسر. والقشعم: الأسد أيضاً.

٢ ـ تخمع: يقال خمعت الضبع خمعاً وخموعاً: ظلعت: أي مشت وكأن بها عرجاً.

واهـــلكهم ربـــي وردوا بـغيظهم ... كـما اهـلكت عـاد الطـغاة وتـبع
وفي خـاصف النـعل البيان وعبرة ... لمـــعتبر إذ قـــال والنـعل تـرقع
لاصـــحابه فـي مـجمع ان مـنكم ... وانـــفسكم شـــوقاً إليـــه تـطلع
امـاماً عـلىٰ تأويـله غـير جـائر ... يـــقاتل بـــعدي لا يـضلّ ويـهلع
فـــقال أبـوبكر أنـا هـو قـال لا ... فقال أبـو حـفص أنـا هـو فـاسفع[1]
فـــقال لهـــم لا لا ولكـــنه أخـي ... وخـاصف نـعلي فـاعرفوه المـرقّع
وفـي طـائر جـاءت بـه أم أيـمن ... بـيان لمـن بـالحق يـرضىٰ ويـقنع
فـــقال إلهـــي آت عـبدك بـالذي ... تـــحب وحب الله اعـــلىٰ وأرفـع
ليأكـــل مـن هـذا مـعي ويـناله ... فـــجاء عـــلي مـن يـصد ويـمنع
فـــــقال له ان النـــــبي ـ وردّه ـ ... علىٰ حـاجة فـارجع وكـل ليـرجع
فـــعاد ثـــلاثاً كـــل ذاك يـــردّه ... فـاهوىٰ بـتأييد إلىٰ البـاب يـقرع
فأســـمعه القـــرع الوصـي لبـابه ... فـقال له أدخـل بـعدما كـاد يـرجع
وقـال له يشكـو وقـد جئت مـرة ... وأخـرىٰ وأخـرىٰ كـل ذلك ادفـع
فسـرّ رسـول الله اكـل وصـيّه ... وانـف الذي لا يشـتهي ذاك يـجدع
وقـــال له مـــا إن يـحبك صـادق ... مـــن النـــاس إلّا مـؤمن مـتورّع[2]
ويـــقلاك إلّا كـــافر ومـــنافق ... يـفارق فـي الحـق الأنـام ويـخلع
فـلما قـضىٰ وحـي النـبي دعـا له ... ولم يك صلىٰ العصر والشمس تـنزع
فـردت عـليه الشـمس بـعد غـروبها ... فـصار لهـا فـي أول اللـيل مـطلع
واسكـنه فـي مسـجد الطـهر وحـده ... وزوَّجـــه والله مـــن شـاء يـرفع

---

١ ـ فاسفع . يقال سفع الطائر ضربته سفعاً : لطمها بجناحيه . وسفع فلان فلانا : لطمه .

٢ ـ في ينابيع المودة ـ الباب /٤٢ : عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ : عنوان صحيفة المؤمن حب علي عليه السلام .

مـــجاوره فـــيه الوصـــي وغـيره ... وأبوابهم في مسجد الطهر شرَّع[1]

فـقال لهـم سـدّوا عـن الله صادقاً ... فـضنوا بـها عـن سـدّها وتـمنَّعوا

فـــقام رجـــال يـذكرون قـرابـة ... ومـا ثَمَّ فيما يبتغي القوم مطمع

فـــعاتبه فـــي ذاك مـنهم مـعاتب ... وكـــان له عـــماً وللـــعم مـوضع

فـقال له أخـرجت عـمك كـارهاً ... واسكـنت هـذا ان عـمك يـجزع

فـقال له يـا عـم مـا أنـا بـالذي ... فـعلت بكـم هـذا بـل الله فـاقنعوا

وقـد كـان في يـوم الحـدائق عـبرة ... وقـول رسـول الله والعـين تـدمع[2]

فـقال عـلي مـم تـبكي فـقال من ... ضـــغائن قـــوم شـــرّهم اتـــوقّع

عـليك وقـد يُـبدونها بـعد ميتتي ... فـماذا هـديت الله فـي ذاك يُـصنع

وفـــي يـــوم نـاجاه النـبي مـحمد ... يســـرّ إليـه مـا يُـريد ويـطلع[3]

فقالوا أطـال اليـوم نـجوىٰ ابـن عـمه ... مـــناجاته بـــغي وللـبغي مـصرع

فـقال لهـم لست الغـداة انـتجيته ... بـــل الله نـــاجاه فـلم يـتورعوا

فأبـصر ديـناراً طـريحاً فلم يـزل ... مشـيراً بـه كـفاً يـنادي ويسـمع

---

١ ـ في البيت اشارة إلىٰ قول النبي ﷺ سدّوا الابواب الشارعة في المسجد إلّا باب علي عليه السلام .

٢ ـ روى ابن شهر آشوب في المناقب : ١٢١/٢ نقلاً عن مسند أبي يعلىٰ ، واعتقاد الاشنهي ، ومجموع أبي العلاء الهمداني عن أنس وأبي برزة وأبي رافع . قال : وفي ابانة ابن بطة من ثلاثة طرق . ان النبي ﷺ خرج يمشي إلىٰ قبا فمر بحديقة فقال علي : ما أحسن هذه الحديقة . فقال النبي ﷺ : حديقتك يا علي في الجنة أحسن منها . حتىٰ مر بسبع حدائق علىٰ ذلك . ثم اهوىٰ إليه فاعتنقه فبكىٰ وبكىٰ علي . ثم قال علي : ما الذي ابكاك يا رسول اله ؟ قال : أبكي لضغائن في صدور قوم لن تبدو لك إلّا من بعدي . قال : يا رسول الله كيف اصنع ؟ قال : اصبر . فان لم تصبر تلق جهداً وشدة . قال : يا رسول الله اتخاف فيها هلاك ديني ؟ قال : بل فيها حياة دينك .

٣ ـ في ذخائر العقبىٰ / ٨٥ : عن جابر قال : دعا النبي علياً يوم الطائف فانتجاه . فقال الناس : لقد اطال نجواه مع ابن عمه . فقال ﷺ : (ما انتجيته ولكن الله انتجاه) . وذكره ابن الاثير في أسد الغابة : ٢٧/٤ عن جابر أيضاً مع اختلاف قليل في اللفظ .

فمال به والليل يغشىٰ سواده ... وقد همَّ أهل السوق ان يتصدعوا
إلىٰ بيِّع سمح اليدين مبارك ... توسم فيه الخير والخير يتبع
فقال له بعني طعاماً فباعه ... فقال لك الدينار والحب اجمع
فلا ذلك الدينار احمىٰ تبره ... ولا الحب مما كان في الأرض يزرع
فبايعه جبريل والضيف أحمد ... فثم تناهى الخير والبرّ اجمع
وفي أهل نجران عشية اقبلوا ... إليه وحجّوا بالمسيح فابدعوا[1]
وردوا عليه القول كفراً وكذبوا ... وقد سمعوا ما قال فيه واورعوا[2]
فقال تعالوا ندع ابناءنا معاً ... وابناءكم ثم النساء فاجمعوا
وانفسنا ندعو وانفسكم معاً ... ليجمعنا فيه من الأصل مجمع
فقالوا نعم فاجمَعْ نباهِلْكَ بُكرةً ... وللقوم فيه شرّة وتسرع[3]
فجاءوا وجاء المصطفىٰ وابنُ عَمِّهِ ... وفاطم والسبطان كي يتضرّعوا
إلىٰ الله في الوقت الذي كان بينهم ... فلما رأوهم احجموا وتضعضعوا
فقال له مَه يا بريدة لا تقل ... فان برغمي في علي تتبع
فمنِّي عليَّ يا بريدة لم يزل ... واني كذا منه علىٰ الحق نطبع
وليّكم بعدي علي فايقنوا ... وقائعه بعد الوقيعة تسرع
بتوبته مستعجلاً خاب انه ... بسب علي في لظى يتدرع

---

١ ـ في البيت اشارة إلىٰ آية المباهلة.

٢ ـ اورعوا: يقال. وارعه موارعة: ناطقه. وكالمه. وشاوره.

٣ ـ اشارة إلىٰ آية المباهلة.

قصيدته المذهبة[1]

في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

١ هَلّا وقفتَ على المكانِ المُعشِبِ ... بين الطُّوَيلَعِ فاللِوى من كَبكَبِ

٢ فنجادِ تَوْضِحَ فالنَّضائدِ فالشَّظا ... فَرِياضِ سَنْحة فالنقا من جَوْنَبِ

٣ طالَ الثَّواءُ على مَنازِلَ اقفَرَتْ ... من بعدِ هندٍ والرباب وزينبِ

٤ أُدْمٌ حَلَلْنَ بِها وَهُنَّ أوانسُ ... كالعينِ تَرعى في مسالِكِ اهضُبِ

٥ يَضحكنَ من طربٍ بِهنَّ تَبَسُّماً ... عن كلِّ أبيضَ ذي غُرُوب أشنَبِ

٦ حُورُ مَدامِعُها كأنَّ ثُغُورَها ... وَهْناً صَوافي لؤلؤٍ لم تُثقبِ

٧ إنسُ حَلَلْنَ بِها نَوَاعِمُ كالدُمى ... من بينِ مُحْصَنةٍ وبِكرٍ خَرْعَبِ

٨ لَعْسَاءُ واضحةُ الجَبينِ أسِيلةُ ... وَعْثُ المُؤَزَّرِ جَثلةُ المُتَنقَّبِ

٩ كُنّا وهُنَّ بنضرَةٍ وغَضَارةٍ ... في خَفضِ عَيشٍ رَاغدٍ مُستَعْذَبِ

١٠ أيّامَ لي في بَطنِ طَيبةَ منزِلُ ... عن رَيبِ دهرٍ خائنٍ مُتقلِّبِ

---

١ ـ أعيان الشيعة: ٢٢٢/١٢ ـ ٢٣٦، الغدير: ١٩٢/٢، الكنى والالقاب: ٣٠٨/٢، طبقات الشعراء: ٣٥، المناقب: ١٩٢/٢ و ١٩٤ و١٤٩/٣ ـ ١٥٠، الحيوان للجاحظ: ٢٠٩/٢ وكشف الغمة: ٨٣.

أقول لاهمية هذه القصيدة شرحها علم الهدى الشريف المرتضى بطلب من أبيه رضوان الله عليهما وطبعت مع الشرح في مصر عام ١٣١٣هـ.

وشرحها العلامة السيد محسن الامين العاملي واثبت القصيدة، وشرحها في كتابه اعيان الشيعة كما هو مذكور في مصادر التخريج. ولقد استفدنا كثيراً من شروح المرتضى والعاملي رحمة الله عليهما فاثبتناها كما هي أو بتصرّف.

١١ فَعفا وصارَ إلىٰ البِلا بعد البِنَا وأزالَ ذلك صَرْفَ دهرِ قُلَّبِ
١٢ ولَقَدْ حَلَفتُ وقلتُ قولاً صادِقاً باللهِ لم آثَمْ ولَمْ أتريَّبِ
١٣ لِمَعاشِر غَلَبَ الشقاءُ عليهِم وهوىً أمالَهُم لأمرٍ مُتعبِ
١٤ مِن حِميَرٍ أهلِ السماحةِ والنَّدىٰ وقُريشٍ الغُرِّ الكِرامِ وتَغْلبِ
١٥ أينَ التطرّبُ بالولاءِ وبالهوىٰ أإلىٰ الكواذِبِ من بروقِ الخُلَّبِ
١٦ أإلىٰ أميَّةَ أم إلىٰ الشِّيَعِ التي جَاءَتْ علىٰ الجَمَل الخِدَبِّ الشَّوقَبِ
١٧ تَهوى من البَلدِ الحرامِ فنبَّحَت بعد الهُدُوِّ كِلابَ أهلِ الحَوأبِ
١٨ يَحدو الزبيرُ بها وطلحةُ عَسكراً يا لَلرجالِ لرأي أمٍّ مَشْجَبِ
١٩ يا لَلرجالِ لرأي أم قادها ذِئبانِ يكتَنِفانِها في أذؤُبِ
٢٠ ذِئبانِ قادهُما الشَقَاءُ وقادَها للحَيْن فاقتحَما بها في مَنْشَبِ
٢١ في وَرطةٍ لَجِجا بِها فتحمَّلَتْ مِنها علىٰ قَتَبٍ باثم مُحْقَبِ
٢٢ أم تَدِبّ إلىٰ ابنِها ووليِّها بالمؤذياتِ لَهُ دَبيبَ العَقْربِ
٢٣ اما الزُبيرُ فَحاصَ حينَ بَدَتْ لهُ جَأواء تَبْرقُ في الحديد الأشهَبِ
٢٤ حتىٰ إذا أَمِنَ الحُتوفَ وتحتَهُ عاري النَواهِقِ ذو نَجاءٍ مُلْهِبِ
٢٥ أثوَى ابنُ جُرموزٍ عُمَيِّرَ شِلْوَهُ في القاع مُنعَفِراً كَشِلوِ التَوْلَبِ
٢٦ واغترَّ طلحةَ عند مُختَلَفِ القَنا عَبْلُ الذِراعِ شديدُ أصلِ المَنْكِبِ
٢٧ فاختلَّ حَبَّةَ قلبِهِ بِمُذلَّقٍ ريَّان من دمِ جَوفِهِ المُتصبِّبِ
٢٨ في مارقين من الجَماعةِ فارقوا بابَ الهُدىٰ وحَيا الربيعِ المُخصِبِ
٢٩ خيرَ البريةِ بعدَ أحمدَ من لَهُ مني الهَوَىٰ وإلىٰ بنيهِ تَطرُّبي
٣٠ أمسي واصبحُ مُعْصِماً مِنّي لَهُ بِهوىً وحبلِ ولايةٍ لم يُقضَبِ
٣١ ونصيحةٍ خَلَصُ الصَفاءِ لَهُ بها مِنّي وشاهِدُ نُصرةٍ لم يَعْزُبِ

٣٢ رُدَّتْ عَـليهِ الشَمسُ لمَّـا فـاتَهُ وَقتُ الصَـلاةِ وقـد دَنَتْ للـمَغربِ
٣٣ حَـتّىٰ تـبلَّجَ نـورُها فـي وَقـتها لِـلعَصْرِ ثـم هَـوَتْ هُـويَّ الكَـوْكَبِ
٣٤ وَعَليهِ قَدْ حُـبِسَتْ بِـبابِلَ مَـرَّةً أخـرىٰ ومـا حُـبِسَتْ لِخلقٍ مُـغرِبِ
٣٥ إلاّ ليـوشَعَ أو له مـن بـعده ولردهـا تأويـلُ أمـر مُـعْجِبِ
٣٦ ولقد سَـرىٰ فـيما يَسِـيرُ بـليلةٍ بَـعدَ العِشـاء بكـربَلا فـي مَـوكبِ
٣٧ حَـتّىٰ أتـىٰ مُـتَبتِّلاً فـي قَـائِمٍ القَـىٰ قَـواعِـدَهُ بـقاعٍ مُـجْدِبِ
٣٨ بانيه ليس بِحَيثُ يَلقى عـامِراً غَـيرَ الوحـوشِ وغـيرَ أصـلَعَ أشـيَبِ
٣٩ فـي مُـدمَجٍ زَلِـقٍ اشـمَّ كأنَـهُ حُـلقومُ أبـيضَ ضَـيِّقٍ مُسْـتَصعَبِ
٤٠ فَدنا فصاح بـهِ فأشـرَفَ مـاثِلاً كـالنَّسرِ فـوقَ شَـظِيَّة مـن مَـرقَبِ
٤١ هَـلْ قـربَ قـائِمِك الذي بُـوِّئتَهُ مـاء يُـصابُ فـقال مـا مِـن مَشْـرَبِ
٤٢ الا بـغاية فَـرسخَينِ وَمـن لنـا بـالماءِ بـينَ نَـقاً وقِـيَّ سَـبْسَبِ
٤٣ فَثنىٰ الأعِنَّةَ نحو وَعثٍ فاجتلَىٰ مَـلْساءَ تـبرُق كـاللجَينِ المُـذْهَبِ
٤٤ قـالَ اقـلِبوها انكـم ان تَـقْلبوا تُـرووا ولا تَـرْوون إن لم تُـقلبِ
٤٥ فاعصَوْصَبُوا في قلعها فَـتَمَّنعتْ مِـنْهُم تَـمَنُّعَ صَـعبةٍ لم تُـركبِ
٤٦ حَـتَّىٰ إذا اعـيَتْهمُ أهـوىٰ لهـا كَـفاً مـتىٰ تـرد المُـغالِب تَـغْلِبِ
٤٧ فكأنَّـها كُـرَة بكَـفِ حَـزَوَّرٍ عَـبْلِ الذِراعِ دحـابها فـي مَـلعَبِ
٤٨ فسقاهُمُ مـن تَـحتِها مُـتَسلْسِلا عَـذباً يَـزيدُ عـلىٰ الزُلالِ الأعـذَبِ
٤٩ حـتىٰ إذا شَـرِبوا جـميعاً رَدَّهـا ومـضىٰ فَـخِلْتَ مكـانها لم يُـقْرِبِ
٥٠ اعني ابن فاطمةَ الوصي ومن يَقُلْ فـي فَـضْلِهِ وَفِـعالِهِ لم يَكْـذِبِ
٥١ ليستْ بِبالغةٍ عُشيرَ عُشَـيرِ مـا قـد كـانَ اعـطِيَهُ مَـقَالةَ مُـطْنِبِ
٥٢ صِهرُ النبي وجـارُهُ فـي مسـجِدٍ طُـهرٍ بـطيبة للـرسول مُـطَيَّبِ

٥٣ سِـيَّانِ فيه عليهِ غَيرُ مُذَمَّمٍ ... مـمشاهُ ان جُـنباً وأن لم يُـجْنِبِ

٥٤ وسرىٰ بِمَكَّة حين باتَ مبيتُهُ ... ومـضىٰ بِـرَوعةِ خَـائِفٍ مُـترقِّبِ

٥٥ خَيرُ البريَّةِ هـارباً مـن شَـرِّها ... بـاللَيلِ مُكْـتَتِماً ولم يُنْـتَضحَبِ

٥٦ باتوا وباتَ علىٰ الفراش مُلفَّعاً ... فَـيَرونَ ان مُـحَمّداً لم يَـذْهَبِ

٥٧ حـتىٰ إذا طَـلَعَ الشَـمِيطُ كأنـه ... في الليلِ صَفحةُ خدِّ أدهَمَ مُغْرِبِ

٥٨ ثاروا لأخذ أخي الفراشِ فصادَفَت ... غَـيرَ الذي طَـلَبتْ اكـفُّ الخُـيَّبِ

٥٩ فـوقاه بـادِرَةَ الحُـتوفِ بـنفسِهِ ... حَـذراً عـليه مـن العَـدوِّ المُجْلِبِ

٦٠ حتىٰ تـغيَّبَ عـنهُمُ فـي مَـدْخَلٍ ... صَـلّىٰ الإله عَـلَيه مـن مُـتَغَيَّبِ

٦١ وجزاه خَيرَ جزاءِ مُـرسلِ أمّـةٍ ... ادَّىٰ رسـالَتَهُ ولم يَـتَهيَّبِ

٦٢ فـتراجَـعوا لمّـا رأوه وعـاينُوا ... اسـدَ الإلٰـهِ مُـجالِداً فـي مِـنْهَبِ

٦٣ قالوا اطلبُوه فوجَّهوا من راكِبٍ ... فـي مُـبْتَغاه وطـالِبٍ لم يَـرْكَبِ

٦٤ حـتىٰ إذا قَـصَدوا لِبابَ مَـغَارَةٍ ... ألْـفوا عـليهِ نسـيجَ غَـزلِ العَـنكبِ

٦٥ صَـنعَ الإلهُ لَـه فـقال فـريقُهُم ... مـا فـي المَغارِ لِطالِبٍ مـن مَـطلَبِ

٦٦ مِيلوا فصدَّهُم المليكُ ومن يُرِدْ ... عـنهُ الدِفـاعَ مَـليكُهُ لم يَـغْطبِ

٦٧ حتىٰ إذا أمِنَ العيونَ رَمَتْ بـهِ ... خُـوص الرِكـابِ إلىٰ مـدينة يَـثرِبِ

٦٨ فاحتلَّ دارَ كـرامَـةٍ فـي مَـعْشَرٍ ... آووه فـي سَـعةِ المَـحَلِ الأرْحَبِ

٦٩ ولهُ بِـخَيبرَ إذ دَعـاه لرايَـةٍ ... رُدَّتْ عـليهِ هُـناك اكـرَمَ مَـنقَبِ

٧٠ إذْ جـاء حـامِلُها فأقـبلَ مُـتْعباً ... يَـهوي بـها العَـدَويّ أو كـالمُتْعبِ

٧١ يهوي بـها وفـتىٰ اليَـهودِ يَشُـلُّهُ ... كـالثورِ ولّـىٰ مـن لَـواحِقِ أكـلُبِ

٧٢ غَـضِبَ النـبي لَـها فأنَّبَهُ بِـها ... ودعـا أخـا ثِـقَةٍ لِكَـهلٍ مُـنْجِبِ

٧٣ رَجلاً كِلا طَرَفيه من سَام وما ... حـامُ لهُ بِأبٍ ولا بِأبـي أبِ

٧٤ من لا يَفِرُّ ولا يُرىٰ في نَجدةٍ إلّا وصارِمُهُ خَضيبُ المَضْرِبِ

٧٥ فَمشىٰ بها قِبَلَ اليَهودِ مُصمِّما يَرجو الشهادَةَ لا كَمَشي الأنكَبِ

٧٦ تَهتزُ في يُمنى يَدَي مُتعرِّضٍ للموتِ اروعَ في الكَريهَةِ مُحْرِبِ

٧٧ في فَيلَقٍ فيهِ السوابِغُ والقَنا والبِيضُ تَلمعُ كالحَريقِ المُلهبِ

٧٨ والمَشْرفِيَّةُ في الاكُفِّ كأنَّها لَمعُ البُروقِ بِعارضٍ مُتَحلِّبِ

٧٩ وذووالبصائِرِ فوقَ كل مُقلِّصٍ نَهدِ المَراكِلِ ذي سَبيبٍ سَلْهَبِ

٨٠ حَتّىٰ إذا دَنَتِ الاسِنَّةُ منهُمُ ورَمُوا قِبالَتَهم سِهام المِقْنَبِ

٨١ شَدّوا عَلَيه ليُرجِلوه فَرَدَّهُم عنه بأسمَرَ مُستقيمِ الثَعلبِ

٨٢ وَمضَىٰ فأقبَلَ مَرحبُ متذمِّراً بالسيفِ يَخطُر كالهِزَبْرِ المُغضَبِ

٨٣ فَتَخالَسا مُهَجَ النفوسِ فاقلَعا عن جَري أحمَرَ سائلٍ من مَرْحَبِ

٨٤ فَهوىٰ بمُختلَفِ القَنا مُتَجدلاً ودمُ الجبينِ بخدِهِ المُتَتَرِّبِ

٨٥ أَجلى فَوارسَه وأجلى رجله عن مُقْعَصٍ بدمائِه مُتَخضِّبِ

٨٦ فكأنّ زُوَّرَهُ العَواكِفَ حولَهُ من بينِ خامِعَةٍ ونَسْرٍ أهدَبِ

٨٧ شُعْثٌ لغَامِطةُ دُعوا لِوليمة أو ياسرون تخالَسوا في مَنْهَبِ

٨٨ فاسأَلْ فانَّكَ سوفَ تُخْبَرُ عنهُمُ وعن ابنِ فاطمةَ الاغرّ الأغلَبِ

٨٩ وعن ابنِ عبد اللهِ عمروٍ قَبلَهُ وعن الوليدِ وعن أبيهِ الصَقْعَبِ

٩٠ وبني قُريضة يوم فَرّق جَمعَهم من هاربين وما لَهم من مَهْرَبِ

٩١ ومُوائِلين إلىٰ ازلّ مُمَنَّعٍ راسي القواعد مُشْمَخرٍ حَوشَبِ

٩٢ ردَّ الخيولَ عليهم فتحصَّنوا من بعدِ ارعَنَ جَحْفَلٍ مُتَحزِّبِ

٩٣ ان الضِباعَ متىٰ تُحِسّ بنبأةٍ من صوتِ اشوسَ تقشَعِرَّ وتَهْرُبِ

٩٤ فَدعُوا لِيُمضِي حُكمَ أحمدَ فيهمُ حُكم العزيزِ علىٰ الذليلِ المُذنِبِ

٩٥ فرضوا بآخرَ كان أقربَ منهُمُ ... داراً فَمَتوا بالجِوارِ الاقرَبِ

٩٦ قالوا الجِوار من الكريم بِمَنزِلٍ ... يجري لَدَيهِ كنِسبةِ المُتَنسِّبِ

٩٧ فقضىٰ بما رَضىَ الإلهُ لهُم بِهِ ... بالحربِ والقتلِ المُلحّ المُخرِبِ

٩٨ قتلَ الكهولَ وكُلَّ امردَ منهُم ... وسَبى عقائِلَ بُدَّناً كالرَبرَبِ

٩٩ وقضىٰ عَقارَهُم لكلِّ مُهاجِرٍ ... دونَ الألى نَصَروا ولم يَتَهيَّبِ

١٠٠ وبخُمٍ إذ قالَ الإلهُ بِعَزمَةٍ ... قُمْ يا محمدُ بالولايةِ فاخْطبِ

١٠١ وانصِبْ أبا حَسَنٍ لقومِكَ إنَّهُ ... هادٍ وما بَلَّغتَ إن لم تَنصِبِ

١٠٢ فَدَعاهُ ثُمّ دعاهُمُ فاقامَهُ ... لَهمُ فَبَينَ مُصدِّقٍ ومُكَذِّبِ

١٠٣ جَعلَ الولايةَ بعدَهُ لمهذَّبٍ ... ما كانَ يَجعَلُها لِغيرِ مُهَذَّبِ

١٠٤ وله مناقبُ لا تُرامُ متىٰ يُرِدْ ... ساعٍ تناولَ بعضها بتَذبْذبِ

١٠٥ أني أدين بحبِّ آلِ محمدٍ ... دِيناً ومن يجبْهُمُ يَستَوجِبِ

١٠٦ منا المودة والولاء ومن يرد ... بدلاً بآل محمد لم يحبب

١٠٧ ومتىٰ يَمُتْ يَرِدِ الجحيم ولا يَرِدْ ... حوضَ الرسولِ وإن يَرِدهُ يُضرَبِ

١٠٨ ضَرْبَ المُحاذِرِ ان تَعَرَّ رِكابُهُ ... بالسوطِ سالِفةَ البعيرِ الأجرَبِ

١٠٩ وكأنَّ قلبي حينَ يذكُرُ أحمداً ... وَوَصِيَّ أحمدَ نِيطَ من ذي مِخلَبِ

١١٠ بِذُرى القوادِمِ من جَناح مُصَعِّدٍ ... في الجوِّ أو بِذُرى جَناحِ مُصَوّبِ

١١١ حتىٰ يكادَ من النِزاع إليهما ... يَفرى الحجابَ عن الضُلوعِ الصُلّبِ

١١٢ هِبَةٌ وما يَهَبُ الإله لِعَبْدِهِ ... يَزْدَدْ ومَهْما لم يَهَبْ لم يوهَبِ

١١٣ يَمْحو ويُثبِتُ ما يَشاء وعِندَهُ ... عِلمُ الكتابِ وعِلمُ ما لَم يُكْتَبِ

شرح وتعليق:

(١) الطويلع: ماء. واللّوىٰ: رمل ملتو. وكبكب جبل بعرفات.

(٢) النجاد: جمع نجد وهو ما اشرف من الارض. وتوضح بضم التاء وكسر الضاد مكان. والنضائد جمع نضيدة وليس في كتب اللغة ولا معجم البلدان مكان يسمى بالنضائد. وإنما قالوا الانضاد من الجبال جنادل بعضها فوق بعض. والنضاد جبل. فيمكن أراد بالنضائد الجبال التي فيها حجارة منضدة والشظا وادٍ. سنحة موضع. والنقا قطعة رمل محدودبة. وجونب موضع.

(٤) الأدم: الظباء البيض فيها طرائق تضرب إلىٰ السواد أو الحمرة والعين بكسر العين بقر الوحش. واهضب جمع هضبة وهي ما علا من الارض.

(٥) الغروب: بالضم جمع غرب وهو الريق. والاشنب البارد.

(٦) الوهن: قريب نصف الليل. ولم تثقب خصها لانها تكون حينئذ غير ملبوسة ولا مبتذلة.

(٧) الدُّمىٰ جمع دُمية وهي الصورة. والمحصنة ذات الزوج. والخرعب الطويلة اللينة العصب.

(٨) اللعس، سواد الشفة. ووعث المؤزر لينة الارداف. وجثلة المنتقب كثيفة الوجب.

(٩) النضارة: الخصب وكثرة المال. والغضارة الحسن والرونق أو هي أثر النعمة في وجه الإنسان.

(١٠) أي بدلاً عن ريب دهر.

(١٦) الخدب: بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء: الضخم. والشوقب الطويل.

(١٧) الحوأب: ماء أو بئر من مياه العرب على طريق البصرة، وفي الحديث الشريف أنه ﷺ قال لنسائه: ايتكنّ تنبحها كلاب الحوأب. وهو الذي نزلته عائشة لمّا جاءت إلى البصرة على جمل تقود جيشاً جرّاراً بمعيّة طلحة والزبير ومروان وأبان بن عثمان وغيرهم من كبار الصحابة الذين نكثوا بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأثاروا فتنة عمياء وحرباً ضروساً.

وفي التهذيب: الحوأب موضع بئر نبحت كلابه امّ المؤمنين مقبلها من البصرة.

(١٨) عسكر: اسم الجمل.

(٢٠) الحين: بفتح الحاء الهلاك. والمنشب من نشب في الشيء إذا علق به كما ينشب الصيد في الحبالة.

(٢١) الورطة: الهلكة. ولحجا أي نشبا. ومحقب من احتقب الشيء: احتمله خلفه.

(٢٣) حاص: عدل وحاد. والجأواء الكتيبة التي يضرب لونها إلىٰ السواد من صدأ الحديد. والاشهب الابيض يتخلله سواد.

(٢٤) النواهق: العظمان الشاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع. أي عاري النواهق من اللحم وهي صفة ممدوحة في الفرس والنجاء الاسراع. وملهب سريع العدو.

(٢٥) الشلو: العضو من اللحم. والتولب: الجحش.

(٢٦) اغتر: من الغرة. يقال اتاه علىٰ غرة وأصاب منه غرة فبطش به.

(٢٧) اختل: أي دخل في خلل قلبه.

(٣٠) معصماً: متمسكاً. ويتقصب: يقطع.

(٣٢) حديث رد الشمس أو وقوف سيرها معجزة من معاجز النبي ﷺ وفضيلة عظيمة من فضائل الإمام علي عليه السلام. وملخصه: ان النبي ﷺ كان نائماً ورأسه في حجر علي عليه السلام. فلما حان وقت صلاة العصر كره الإمام أن ينهض لادائها فيزعج النبي ﷺ من نومه. فلما قارب وقتها للغروب انتبه النبي ﷺ ودعا الله سبحانه وتعالىٰ بردها عليه فردها وصلىٰ الصلاة في وقتها. ولقد أورد الاميني في كتابه الغدير ٢/١١٧ ـ ١٢٩ اسماء ستة كتب صنفت خصيصاً بهذه المعجزة النبوية والمكرمة العلوية. كما ذكر (٤١) مصدراً جلّها أو كلها غير شيعية تثبت هذه الحادثة العظيمة وتصحح سندها.

(٣٤) روى الشيخ المفيد في الارشاد ص ١٦٤ انه عليه السلام لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من اصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم وصلىٰ بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتىٰ غربت الشمس ففاتت الصلاة كثيراً منهم، فتكلّموا في ذلك فدعا الله تعالىٰ فرد عليه الشمس حتىٰ صارت على الحالة التي تكون عليها وقت العصر. فصلّى العصر بجميع اصحابه ثم غابت.

قال المرتضىٰ رحمه الله ـ في شرح القصيدة ـ الرواية برد الشمس ببابل علىٰ أمير المؤمنين مشهورة. وانه لما فاته وقت صلاة العصر ردت الشمس له حتىٰ صلاها في وقتها، ثم قال: والصحيح في فوت الصلاة ههنا أحد الوجهين المتقدمين في رد الشمس في عهد النبي ﷺ. وهو ان فضيلة أول الوقت فاتته بضرب من الشغل فردت الشمس عليه ليدرك فضيلة أول الوقت. واما من ادعىٰ ان الصلاة فاتته بان انقضىٰ جميع وقتها اما لتشاغله بتعبية عسكره او لأن ببابل أرض خسف لا تجوز الصلاة عليها فقد ابطل. لأن الشغل بتعبية العسكر لا يكون عذراً في فوات صلاة الفريضة. وان أمير المؤمنين عليه السلام اجل قدراً واعظم ديناً من

أن يكون هذا عذراً له في فوت صلاة فريضته. واما ارض الخسف فانما تكره الصلاة فيها مع الاختيار. فأمّا إذا لم يتمكن المصلي من الصلاة في غيرها وخاف فوت الصلاة وجب أن يصلي فيها وتزول الكراهة: واما قول الشاعر (وعليه قد حبست ببابل) فالمراد بحبست: ردت. وانما كره أن يعيد لفظة الرد لانها قد تقدمت. والشمس إذا ردت فقد حبست عن المسير. المغرب: الذي أتىٰ بالأمر المستغرب.

(٣٦) في هذا البيت والأبيات التي تليه إلىٰ رقم (٤٩) الحديث عن احدىٰ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ذلك ان أمير المؤمنين عليه السلام لما سار إلىٰ حرب صفين أخذ طريق البر وترك الفرات. وأصاب أصحابه عطش شديد فلاح لهم دير، فهتف به. فأشرف راهب من صومعته. فقال له: هل قرب الدير ماء؟ قال: بيني وبين الماء أكثر من فرسخين. فسار قليلاً ونزل بموضع فيه رمل. وأشار إلىٰ مكان فكشفوه. فأصابوا تحته صخرة بيضاء عظيمة تلمع. فأمرهم بقلعها فلم يقدروا. فاقتلعها بيده ونحاها فإذا تحتها ماء أرق من الزلال وأعذب من كل ماء. فشرب الناس وارتووا وحملوا منه. وردوا الصخرة والرمل كما كان. فنزل الراهب إليه وقال له: أنت نبي؟ قال: لا، أنا وصي محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله. فأسلم الراهب وقال: ان أبي أخبرني عن جدي وكان من حواري عيسىٰ عليه السلام انه قال: ان تحت هذا الرمل عيناً من ماء أبيض من الثلج واعذب من كل عذب لا يقع عليها إلّا نبي أو وصي نبي. وان هذا الدير بُني علىٰ طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها. وسار الراهب مع الإمام فاستشهد بصفين ليلة الهرير.

(٣٧) المتبتّل: الراهب. القائم: صومعة الراهب.

(٣٨) الاصلع الأشيب: المراد به الراهب. والصلع محركة: انحسار شعر

مقدم الرأس.

(٣٩) المدمج: الشيء المستور والمراد به صومعة الراهب. الزلق: الذي لاتثبت عليه قدم. الاشم: الطويل المشرف. الأبيض: الطائر الكبير من طيور الماء. وتشبيه الصومعة الطويلة بحلقوم طائر الماء من أوقع التشبيه (ضيق مستصعب) صفتان لمدمج.

(٤٠) الماثل: المنتصب. وشبه الراهب بالنسر لعلو سنه. الشظية: قطعة من الجبل منفردة. المرقب: المكان العالي.

(٤٢) النقا: قطعة من الرمل محدودبة. القيّ بكسر القاف وتشديد الياء: القفر أو الصحراء الواسعة. السبسب: الأرض القفر كذلك.

(٤٣) الوعث: المكان اللين الذي تغيب فيه اخفاف الإبل. اجتلىٰ: أي نظر إلىٰ صخرة ملساء.

(٤٥) اعصوصبوها: اجتمعوا وصاروا عصبة.

(٤٧) الحزورّ: الغلام القوي. العبل: الغليظ الممتليء.

(٥٠) ابن فاطمة: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها.

(٥٢) أراد بالمسجد: مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة. وطيبة: اسم من اسماء المدينة و (مطيب) أي طاهر. ويحتمل أن يكون مضمخ بالطيب.

(٥٣) يشير إلىٰ ما روي من أن الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسد جميع الأبواب النافذة إلىٰ المسجد إلّا بابه وباب علي وحرم على أي أحد أن يمر بالمسجد جنباً غيرهما. فتكلم في ذلك الناس. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله واثنىٰ عليه. ثم قال أما بعد: فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب

علي. فقال فيه قائلكم. واني ما سددت شيئاً ولا فتحته. ولكنّي أمرت بشيء فاتبعته.

اورد هذا الحديث الأميني في كتابه الغدير ١٧٦/٣ ـ ١٨٣ والمظفر في كتابه دلائل الصدق ٢٦٠/٢ ـ ٢٦٦ وأورد اسماء جميع مصادره من كتب الصحاح وغيرها من المصادر.

(٥٤) مبيته: يقصد الموضع الذي كان يبيت فيه النبي ﷺ وهذه اشارة إلىٰ مبيت أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ فراش رسول الله ﷺ ليلة الغار. الروعة: الفزعة. الترقب: الانتظار.

(٥٥) لم يستصحب: يقصد أن النبي ﷺ لم يستصحب أحداً عند خروجه من داره.

(٥٦) في البيت والأبيات التي تليه إلىٰ رقم ٦٢ إشارة إلىٰ مبيت أمير المؤمنين علي عليه السلام علىٰ فراش النبي ﷺ ليلة هاجر من مكة المكرمة.

قال الرازي في تفسيره ٢٢٣/٥ بات (علي) علىٰ فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلىٰ الغار. ويروي أنه لما نام علىٰ فراشه قام جبرئيل عليه السلام عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة. ونزلت الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وجاء في ينابيع المودة ص٧٥ نقلاً عن الثعلبي في تفسيره وابن عقبة في ملحمته وأبي السعادات في فضائل العترة والغزالي في الاحياء باسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة ربيب النبي ﷺ انهم قالوا: قال رسول

---

١ ـ البقرة: ٢٠٧.

الله ﷺ أوحىٰ الله إلىٰ جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرها الموت. فأوحىٰ الله إليهما اني آخيت بين علي وليّ وبين نبي فرقد علىٰ فراش النبي يقيه بمهجته. اهبطا إلىٰ الأرض واحفظاه من عدوّه. فهبطا فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله عزوجل يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالىٰ (ومن الناس ...).

وذكر ابن الاثير في أسد الغابة: ٢٥/٤ والشبلنجي في نور الابصار ٧٨، نفس الخبر مع اختلاف بسيط، والعقد الفريد ٩٩/٥.

(٥٧) الشميط: الصبح. لاختلاط بياضه بباقي ظلمة الليل. وكل خليطه فهما شميط. والمغرب من الخيل: الذي تتسع غرته في وجهه حتىٰ تجاوز عينيه كما في تاج العروس.

(٦٩) في هذا البيت والابيات التي تليه إلىٰ رقم (٧٤) يروي الشاعر طرفاً من واقعة خيبر وتخلف أمير المؤمنين عن المعركة لانه كان ارمد العينين ثم احضره النبي وأعطاه الراية بعد أن شافاه الله من الرمد علىٰ يد النبي ﷺ في تلك اللحظة.

في السيرة الحلبية ٤٣/٣ وعيون الاثر ١٣٥/٢ وسيرة ابن هشام ٣٨٦/٣ والكامل لابن الاثير ١٤٩/٢ ودلائل الصدق ٢٥٤/٢ نقلاً عن مسند احمد والمستدرك للحاكم وكنز العمال والطبري وصحيحي البخاري ومسلم واللفظ لصاحب دلائل الصدق. ان المسلمين حاصروا خيبراً وأخذ اللواء أبو بكر. فانصرف ولم يفتح له. ثم أخذه عمر من الغد فرجع ولم يفتح له.

وأصاب الناس يومئذ شدة وجُهد. فقال رسول الله ﷺ: اني دافع الراية

غداً إلىٰ رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله رسوله. كرّارٍ غيرِ فرار. ولا يرجع حتىٰ يفتحَ الله له. فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها. فلمّا أصبح الناس غدوا إلىٰ رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين علي؟ فقالوا انه أرمد العين. فأرسل إليه. فاتىٰ. فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرىء. فاعطاه الراية ومضىٰ عليه السلام فلم يرجع حتىٰ فتح الله علىٰ يديه.

(٧٢) أراد بالكهل المنجب: أبا طالب والد أمير المؤمنين عليه السلام.

(٧٣) كلا طرفيه يقصد النسب من ناحيتي الأب والأم. سام والد البيضان وحام والد السودان. وفي البيت تعريض بمن كانت امه حبشية.

(٧٤) النجدة: القتال، الشجاعة، شدة البأس. والمعنىٰ الأول هو المقصود.

(٧٥) الانكب: المنحرف ومنه تنكب الطريق: انحرف عنه. في هذا البيت وما يليه إلىٰ رقم (٨٨) عرض للمعركة التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين مرحب وجماعته من يهود خيبر.

(٧٦) المحرب: الحسن البلاء في الحرب.

(٧٩) المقلّص بكسر اللام وتشديده: مأخوذ من التشمير في الثياب. ووصف الفرس بذلك لتشمر لحمه وارتفاعه عن قوائمه. نهد المراكل أي كثير لحم المراكل وهي مواضع ركل الفارس برجله السبيب: والسبيبه خصلة شعر الناصية. السلهب: الطويل.

(٨٠) المقنب كمنبر: جماعة الخيل إذا اغارت وليست بالكثيرة.

(٨١) ليرجلوه: أي ليحطوه عن فرسه ويجعلوه راجلاً. الاسمر: الرمح والثعلب: طرف الرمح الداخل في السنان.

(٨٢) متذمراً من ذمر الاسد: زأر. يخطر: يمشي برمحه بين الصفّين كما

يخطر الفحل. ويقال خطر الفحل بذنبه عند الصيال كأنه يتهدده. الهَزبر: الأسد.

(٨٤) مختلف القنا: الموضع الذي تختلف فيه جهات الطعنِ. متجدلاً: ملقىٰ علىٰ الجدالة وهي الارض السهلة.

(٨٥) أجلى: انكشف. وفوارسه ورجله: أي الفرسان والرجالة. المقعص: المقتول. يقال مات قعصاً: إذا أصابته ضربة أو رمية فمات في مكانه.

(٨٦) العواكف: من العكوف وهو طول المقام. الخامعة: الخمع لانها تتخمع في مشيها والخمع والخماع: العرج. الاهدب: الكثير اشفار العين.

(٨٧) شعث: بعيدي العهد بالدهن. لعافطة جمع لعفط: النهم الشره. الياسرون: جمع ياسر وهو الضارب بالقداح والمقامر علىٰ الجزور. تخالسوا: خلس بعضهم بعضاً أي اخذه خلسة وغفلة وذلك شأن المتقامرين. المنهب: موضع النهب.

(٨٨) ابن فاطمة: امير المؤمنين عليه السلام أمه فاطمة بنت أسد. الاغر: ذو الغرة البيضاء ويوصف بذلك الكريم النجيب. الاغلب: غليظ الرقبة ويقال أسد اغلب.

(٨٩) ابن عبد الله عمرو: هو عمرو بن عبد ود العامري بطل الأحزاب وقائدهم وسمّاه عبد الله نظراً إلىٰ الحقيقة إذ كل الناس عبيد الله. وهو الذي تحدّىٰ المسلمين وعبر الخندق الذي حفروه ليكون حائلاً بينهم وبين المشركين وعبر معه عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهبيرة ابن ابي وهب. وكان عبورهم من مكان ضيق اغفله المسلمون. وتحدّاهم مرة أخرىٰ حيث وقف أمامهم وجهاً لوجه منادياً بأعلىٰ صوته:

ولقد بُححت من النداء بجمـ ـــعكم هـل مـن مـبارز

ووقـفت إذ جَـبُن المشـيّـ ـــع وقـفة الرجـل المناجز

وكـــــذاك انـــي لم أزل مـــتسرعاً عـند الهـزاهـز
ان الشـــجاعة فـــي الفـتى والجـود من خير الغـرائـز

فقام علي سلام الله عليه وقال انا له يا رسول الله. فـقال النـبي ﷺ انـه عمرو. ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبّخ المسلمين قائلاً أين جنتكم التي تَزعُمُون انه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبروزون لي؟ فقام علي عليه السلام وقال انا له يا رسول الله. فقال: اجلس انه عمرو بن عبد ود. ثم نادىٰ الثالثة فقام علي عليه السلام وقال انا له يا رسول الله. فقال انه عمرو. فقال وان كان عمراً. فأعطاه سيفه ذا الفـقار وألبسـه درعه وعمّمه بعمامته وقال: اللهم اعنه عليه. اللهم انك أخذت عبيدة مني يـوم بدر وحمزة يوم أحد. وهذا علي أخي وابن عمي فلا تـذرني فـرداً وأنت خـير الوارثين. ثم تقدم أبو الحسن إلىٰ عمرو وهو يقول:

لا تـــعجلن فـــقد أتـاك مجيبُ صوتِك غير عـاجز
ذونـــــية وبـــــصيرة والصـدق مـنجى كـل فـائز
انـــي لارجـــو ان اقـيم عـــليك نـائحة الجـنائز
مـن ضـربة نـجلاءَ يـبقىٰ ذكـــرها عـند الهـزاهـز

فقال عمرو من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: انا علي بن أبي طالب. فقال: غيرك يا ابن أخي من اعمامك من هو أكبر منك سناً. فاني أكره أن أهريق دمك فقال: لكني والله ما اكره أن اهريق دمك. فـغضب وتـقدم نـحو علي عليه السلام. فقال له علي: يا عمرو انك كنت عاهدت الله علىٰ أن لا يَدعُوكَ أحدٌ من قريش إلىٰ احدىٰ خُلّتين إلّا قبِلتَها.

قال: أجـل. قـال عـلي: فـاني ادعـوك إلىٰ الله وإلىٰ رسـوله ﷺ وإلىٰ الإسلام. فقال لا حاجة لي بذلك قال علي عليه السلام: فاني ادعوك إلىٰ البراز. فضحك

عمرو وقال: ان هذه لخصلة ما كنت اظن أن أحداً من العرب يروعني بها. ثم نزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه. ودنا هو والإمام كل من الآخر فثارت بينهما غبرة. وضرب عمرو علياً عليه السلام بالسيف فنشب سيفه في ترس علي. ثم بادره أمير المؤمنين بضربة على حبل العاتق هو موضع الرداء من العنق فارداه صريعاً يخور بدمه. فكبّر الإمام وكبّر المسلمون. وفرّ أصحاب عمرو وعبروا الخندق إلّا نوفل بن عبد الله فانه سقط في الخندق. فجعل المسلمون يرمونه بالحجارة. فقال لهم: قتلة أجمل من هذه. ينزل إليّ بعضكم اقاتله. فنزل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقتله. وبقتل عمرو بن عبد ود وهروب أصحابه ثم بهبوب الريح الشديدة الباردة على المشركين انتهت المعركة بنصر مبين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

انظر: السيرة الحلبية ٣٣٧/٢ ـ ٣٤٢ والسيرة النبوية لزيني دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية ١٣٠/٢ ـ ١٣٥ ونهاية الارب للنويري ١٧٣/١٧ ـ ١٨٣ والارشاد للمفيد ٤٤ ـ ٤٩ وعيون الاثر لابن سيد الناس ٦١/٢ ـ ٦٢.

(٩١) موائلين: لاجئين. الازل: الذي تزل به الاقدام لطوله ووعورة طرقه وهو حصنهم. المشمخر: العالي. الحوشب: العظيم الجنبين.

(٩٢) الجحفل: الجيش الكثير العدد. متحزب: مشتق من الحزب وهو الجماعة من الناس. وقيل متحرب بالراء المهملة: أي غضبان.

(٩٣) النبأة: الصوت. الاشوس: الرافع رأسه تكبراً وأراد به هنا الاسد. تقشعر: ترجف.

(٩٤) الذليل إذا كان مذنباً: كان ذلك أشد لخضوعه.

(٩٥) متوا: من المت في النسب وهو ان تصل نفسك بغيرك. ورضي اليهود

بحكم سعد لانه كان جاراً لهم.

(٩٧) الملح: المستمر. والمخرب: فانه إذا استمر القتل فيهم اخلىٰ ديارهم واخربها.

(٩٨) العقائل: الكرائم من النساء. البدّن: جمع بادن: الوافرة لحم الجسم. الربرب: جماعة بقر الوحش.

(٩٩) العقار: مصدر واسم من عقر النخلة. والمنزل والضيعة والارض.

(١٠٠) في البيت وما بعده اشارة إلىٰ حديث وواقعة الغدير.

(١٠٨) العر. بالفتح: الجرب. الركاب: الابل التي يسار عليها. السالفة: صفحة العنق.

* * *

وله في ولادة الامام علي عليه السلام[1] في الكعبة وهي منقبة اختص بها الإمام دون سواه:

ولدتـه في حرم الإله وامنه ... والبيت حيث فِناؤه والمسجد

بيضاءُ طاهرةُ الثياب كريمةُ ... طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها ... وبدت مع القمر المنير الأسعُدُ

ما في الورىٰ أبداً وليداً مثله ... إلّا ابنُ آمنةَ النبي محمد

---

١ ـ أعيان الشيعة: ١٢/٢٤٠، المناقب: ٢/١٧٥، دلائل الصدق: ٢/٣٢٨.

ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة. وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله آنذاك ثلاثين سنة. وقد كانت ولادته عليه السلام بمكة المكرمة وفي الكعبة المشرفة. ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه.

وقال مادحاً لأمير المؤمنين عليه السلام وذاكراً مواقفه النبيلة مع عائشة في يوم البصرة (واقعة الجمل)

١ وانك آيـــة للـــناس بـعدي تـــــخبّر انـــــهم لا يـــوقنونا
٢ وأنت صـراطـه الهـادي إليـه وغـــيرك مـا يـنجّي المـاسكينا
٣ أعـائش مـا دعـاك إلىٰ قـتال الـ ـــوصي ومـــا عـــليه تـنقمينا
٤ ألم يـــــعهد إليك الله أن لا تـــرىٰ أبـــداً مـن المـتبرجـينا
٥ وان ترخي الحجاب وان تـقرّي ولا تـــــتبرجـــي للـــناظرينا
٦ وقـــال لك النـبي أيـا حـميراً سـيبدى مـنك فـعل الحـاسدينا
٧ وقـــال سـتنبحك كـلاب قـوم مـــن الاعـــراب والمـــتعرّبينا
٨ وقـــال سـتركبين علىٰ خـدبّ يســـــمىٰ عسكـــراً فـــتقاتلينا
٩ فـخنت مـحمداً فـي أقـربيه ولم تـــرعَي له القـــول الرصـينا
١٠ وانـزل فـيه رب النـاس آيـاً اقـــرت مـــن مـواليـه العـيونا
١١ بأنـــي والنـــبي لكـــم وليّ ومـــؤتون الزكـــاة وراكـــعونا
١٢ ومن يـتولّ رب النـاس يـوماً فـــــانهم لعـــــمري فـــائزونا
١٣ وقـــال الله فـي القـرآن قـولاً يـــرد عـــليكم مـــا تـــدّعونا
١٤ اطـيعوا الله ربّ النـاس ربـاً واحـــــمد والأولى المـــتأمّرينا
١٥ فـــذلكم أبـو حســن عـليّ وســـــبطاه الولاة الفـــاضلونا
١٦ فقلت أخذت عـهدكم علىٰ ذا فكـــونوا للـــوصي مســـاعدينا

١٧ لقد أصبحت مولانا جميعاً ولسنا عن ولائك راغبينا
١٨ ويسمع حسّ جبريل إذا ما أتىٰ بالوحي خير الواطئينا
١٩ وصلّى القبلتين وآل تيم واخوتها عديّ جاحدونا
٢٠ وبات علىٰ فراش أخيه فرداً يقيه من العتاة الظالمينا
٢١ وقد كمنت رجال من قريش بأسياف يلحن إذا انتضينا
٢٢ فلما ان اضاء الصبح جاءت عداتهم جميعاً مخلفينا
٢٣ فلما ابصروه تجنّبوه وما زالوا له متجنّبينا
٢٤ وأنفق ماله ليلاً وصبحاً واسراراً وجهر الجاهرينا
٢٥ وصدق ماله لما أتاه الـ ـفقير بخاتم المتختمينا
٢٦ وآثر ضيفه لما أتاه فظلّ وأهله يتلمظونا
٢٧ فسمّاه الإله بما أتاه من الايثار باسم المفلحينا
٢٨ ومن ذا كان للفقراء كنا إذا نزل الشتاء بهم كنينا
٢٩ أليس المؤثر المقداد لمّا أتاه مقوياً في المقوبينا
٣٠ بدينار وما يحوي سواه وما كل الافاضل مؤثرينا
٣١ وكان طعامه خبزاً وزيتاً ويؤثر باللحوم الطارقينا
٣٢ وانك قد ذكرت لدىٰ مليك يذلُّ لعزّه المتجبرونا
٣٣ فخرّ لوجهه صعقاً وابدى لرب الناس رهبة راهبينا
٣٤ وقال لقد ذكرت لدىٰ إلهي فابدى ذلة المتواضعينا
٣٥ واعتق من يديه ألف نفس فاضحوا بعد رق معتقينا
٣٦ براءة حين رد بها عتيقاً وكان بأن يبلّغها ضنينا
٣٧ وقال رسول الله أنّى يؤدي الوحي إلّا الاقربونا

٣٨ وانك آمن من كل خوف إذا كان الخلائق خائفينا
٣٩ وانك حزبك الادنون حزبي وحزبي حزب رب العالمينا
٤٠ وحزب الله لا خوف عليهم ولا نصب ولا هم يحزنونا
٤١ وانك في جنان الخلد جاري منازلنا بها متواجهونا
٤٢ وانك في جوار الله كابٍ وجيران المهيمن آمنونا
٤٣ وانك خير أهل الأرض طراً وأفضلهم معاً حسباً وديناً
٤٤ وأوّل من يصافحني بكفٍّ إذا برز الخلائق ناشرينا
٤٥ وقد قال النبي لكم وأنتم حضور للمقالة شاهدونا
٤٦ عباد الله إنا أهل بيت برانا الله كلاًّ طاهرينا
٤٧ وسالت نفس أحمد في يديه فألزمها المحيّا والجبينا
٤٨ تعالوا ندع أنفسنا فندعو جميعاً والأهالي والبنونا
٤٩ وأنفسكم فنبتهل ابتهالا إليه ليلعن المتكذبينا
٥٠ فقد قال النبي وكان طبّاً بما يأتي وأزكىٰ القائلينا
٥١ إذا جحدوا الولاء فباهلوهم إلىٰ الرحمن تأتوا غالبينا
٥٢ والقي باب حصنهم بعيداً ولم يك يستقل بأربعينا

شرح وتعليق:

(٣) في هذا البيت وما بعده إلىٰ رقم (٩) يخاطب الشاعر أم المؤمنين عائشة موجّهاً إليها اللوم علىٰ اشتراكها في حرب البصرة.

(٨) الخدب. بكسر الخاء وتشديد الباء: الجمل كامل الخلق شديد عسكر: اسم الجمل الذي ركبته أم المؤمنين.

(١١) في البيت اشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

(١٤) في البيت اشارة إلى الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

(١٨) تؤكّد الروايات المعتبرة على أنّ أمير المؤمنين شاهد جبرئيل وسمع صوته في عدة مواطن. منها ما رواه محب الدين الطبري في ذخائر العقبى /٩٤ نقلاً عن مناقب أحمد عن علي عليه السلام قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مريض فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق. والنبي صلى الله عليه وآله نائم.

فلما دخلت عليه قال: ادنُ إلىٰ ابن عمك فانت أحق به مني. فدنوت منهما فقام الرجل وجلست مكانه فقال النبي صلى الله عليه وآله: فهل تدري من الرجل؟ فقلت: لا. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك جبرئيل يحدّثني حين خف عني وجعي فنمت ورأسي في حجره. وعن ابن عباس وقد ذكر عنده علي قال انكم لتذكرون رجلاً كان يسمع وطء جبرئيل فوق بيته.

(١٩) في البيت إشارة إلىٰ أن أمير المؤمنين صلّى قبل المسلمين بعدة سنين، فهو اوّل من صلّى مع النبي صلى الله عليه وآله.

(٢٤) روىٰ الواحدي في أسباب النزول ص٦٤ بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان عند علي عليه السلام اربعة دراهم فانفق بالليل واحداً وبالنهار واحداً وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً فنزلت الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

---

١ ـ المائدة: ٥٥.

٢ ـ النساء: ٥٩.

﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] وذكر نفس الخبر كل من الزمخشري في كشّافه ٣٠١/١ ورشيد رضا في تفسير المنار ٩٢/٣ وغيرهما كثير.

(٢٥) كرر الشاعر في هذا البيت ما ذكره بالأبيات (١٠ ـ ١٢) بشأن تصدّق علي عليه السلام بالخاتم.

(٢٩) في البيت اشارة إلىٰ قصة رواها ابن شهر آشوب في المناقب ٧٨/٢ بسنده عن ابن عباس مفادها ان المقداد اخبر أمير المؤمنين بانه لم يذق الطعام منذ ثلاثة أيام. فباع أبو الحسن درعه بخمسمائة درهم ودفع إليه خمسين وانصرف، فلقيه اعرابي يبيع ناقته فاشتراها منه بمائة درهم، ثم لقيه اعرابي آخر اشتراها منه بمائة وخمسين درهماً. وقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك أن البائع جبرئيل والمشتري ميكائيل. مقوياً: جائعاً.

(٣١) الاخبار الواردة عن زهد أمير المؤمنين وانفاق موارده في سبيل الله كثيرة جداً. نقتطف منها ما يكفي للاستشهاد:

عن محمّد بن كعب القرضي ان علياً عليه السلام كان يربط الحجر علىٰ بطنه من الجوع وصدقته تبلغ أربعين ألف دينار. وعقّب ابن الاثير علىٰ ذلك بقوله: (لم يرد أربعين ألفاً زكاة ماله وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد). وعن أبي النوار بياع الكرابيس قال: اتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام له فاشترىٰ منّي قميصي كرابيس. فقال لغلامه: اختر أيّهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر. أسد الغابة ٢٣/٤ و٢٤.

وفي فضائل أحمد رؤي علىٰ علي ازار مرقوع فقيل له في ذلك. فقال: هذا العدلي من الكبر واجدر أن يقتدي به المسلم. وفي مسند الموصلي: انه عليه السلام

---

١ ـ البقرة: ٢٧٤.

اشترىٰ ثوباً اعجبه فتصدّق به.

وعن الاصبغ بن نباتة قال علي عليه السلام: دخلت بلادكم (يعني العراق) بأسمالي هذه وراحلتي ها هي. فان أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فانني من الخائنين. وقال مرة مخاطباً أهل البصرة: ما تنقمون مني؟ ان هذا لمن غزل اهلي وأشار إلىٰ قميصه. ورآه سويد بن غفلة وهو يأكل رغيفاً يكسره بركبتيه ويلقيه في لبن خاثر يجد ريحه من حموضته فقلت: ويحكِ يا فضّة. أما تتقون الله تعالىٰ في هذا الشيخ فتنخلون له طعاماً؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام بابي وأمي من لم ينخل له طعام ولم يشبع من خبز البر حتىٰ قبضه الله (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال عليه السلام لعقبة بن علقمة ـ وقد كلّمه عن خشونة طعامه ولباسه ـ يا أبا الجنوب أدركت رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا فان أنا لم آخذ به خفت أن لا الحق به. المناقب ٢/٩٦ ـ ١٠٠

(٣٥) عن الصادق عليه السلام ان أمير المؤمنين عليه السلام اعتق ألف نسمة من كد يده. وقال له رجل ورأىٰ عنده وسق نوىٰ (حمل بعير) ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: مائة ألف عبد ان شاء الله. فغرسه فلم يفاد منه نواة واحدة فهو من اوقافه. ووقّف مالاً بخيبر. وبوادي القرىٰ. ووقّف عين أبي نيزر والبغيبغة ووقّف ارباجا وارينة. ورعدا. ورزينا. ورباحا علىٰ المؤمنين وأخرج مائة عين في ينبع وجعلها للحجيج وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة. وبنىٰ مسجد الفتح في المدينة ومسجداً مقابل قبر حمزة ومسجداً في الميقات وآخر في الكوفة وجامع البصرة ومسجداً في عبادان. انظر: المناقب: ٢/١٢٣.

(٣٦) في الأصل (رد بها زريقاً) وهو تحريف ظاهر.

وله في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

١ قف بالديار وحيّهن ديارا ... واسق الرسوم المدمع المدرارا
٢ كانت تحلّ بها النوار وزينب ... فرعى إلهي زينباً ونوارا
٣ قل للذي عادىٰ وصيّ محمدٍ ... وأبانَ لي عن لفظه انكارا
٤ مَنْ عنده علم الكتاب وحكمه ... من شاهد يتلوه منه نذارا
٥ علم البلايا والمنايا عنده ... فصل الخطاب نمى إليه وصارا
٦ وله ببدر وقعة مشهودة ... كانت علىٰ أهل الشقاء دمارا
٧ فاذاق شيبة والوليد منية ... إذ صبحاه جحفلاً جرارا
٨ واذاق عتبة مثلها اهوالها ... غَضباً صقيلاً مرهفاً بتارا
٩ وله بلاء يوم أحد صالح ... والمشرفية تأخذ الادبارا
١٠ إذ جاء جبريل فنادىٰ معلناً ... في المسلمين وأسمع الابرارا
١١ لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتىٰ ... إلّا علي ان عَدَدْت فخارا
١٢ من خاصف نعل النبي محمد ... ارضى الإله بفعله الغفارا
١٣ فيقول فيه معلناً خير الورىٰ ... جهراً وما ناجى به اسرارا
١٤ هذا وصيّ فيكم وخليفتي ... لا تجهلوه فترجعوا كفارا
١٥ وله بيوم الدوح اعظم خطبة ... ادّىٰ بها وحي الإله جهارا
١٦ وله صراط الله دون عباده ... من يهده يُرزَق تقىً ووقارا
١٧ في الكتب مسطور مجلّىٰ باسمه ... وبنعته فاسأل به الاخبارا

١٨ من كان ذا جار له في مسجد ... من نال منه قرابة وجوارا
١٩ والله ادخله وأخرج قومه ... واختاره دون البرية جارا
٢٠ من كان جبريل يقوم يمينه ... فيها وميكال يقوم يسارا
٢١ من كان ينصره ملائكة السما ... يأتونه مدداً له انصارا
٢٢ من كان وحّد قبل كل موحد ... يدعو الإله الواحد القهارا
٢٣ من كان صلىٰ القبلتين وقومه ... مثل النواهق تحمل الاسفارا
٢٤ من كان في القرآن سمّي مؤمناً ... في عشر آيات جعلن خيارا
٢٥ من قال للماء افجري فتفجّرت ... ما كلّفت كفا له محفارا
٢٦ حتّى تروّى جنده في مائها ... لما جرىٰ فوق الحضيض وفارا
٢٧ وبكربلا آثار أخرىٰ قبلها ... احيا بها الانعام والاشجارا
٢٨ وأتاه راهبها وأسلم طائعاً ... معه وأثنىٰ الفارس المغوارا
٢٩ أم من عليه الشمس كرت بعدما ... غربت والبسها الظلام شعارا
٣٠ حتىٰ تلاقىٰ العصر في أوقاتها ... والله آثره بها ايثارا
٣١ ثَمّت توارت بالحجاب حثيثة ... جعل الإله لسَيْرها مقدارا
٣٢ من كان آذن منهم ببراءة ... في المشركين فأنذَر الكفارا
٣٣ منكم برئنا أجمعين فأشهراً ... في الأرض سيروا كلكم فرّارا
٣٤ وابتاع من جبريل حباً قد زكىٰ ... في جنة لم تحرم الأنهارا
٣٥ جبريل بايعه وأحمد ضيفه ... خير الأنام مركباً ونجارا

شرح وتعليق:

(٤) جاء في ينابيع المودة ـ الباب ٣٠ عن عطية العوفي عن أبي سعيد

الخُدري رضي الله عنهما قال:

سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[1] قال: [ذلك وزير أخي سليمان بن داوود عليه السلام. وسألته عن قوله عزّوجل: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[2] قال ذاك أخي علي بن أبي طالب] عليه السلام.

(٥) علم البلايا والمنايا: هو الإخبار بالغيب تلقاه أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ بدليل قوله عليه السلام: علّمني رسول الله ألفَ باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب. ولقد حصل الإخبار منه بالغيب في عدة مواطن منها: اخباره بقتل ذي الثدية من الخوارج. وانبأ عن نفسه انه يقتل. واخبر ميثماً التمّار بانه يصلب وأراه النخلة التي يصلب عليها فتم ذلك علىٰ يد عبيد الله بن زياد، واخبر بقتل قنبر فقتله الحجاج، ولما اجتاز بكربلاء بكىٰ وقال هذا والله مناخ ركابهم وموضع قتلهم وأشار إلىٰ ولده الحسين وأصحابه. واخبر بعمارة بغداد وملك بني العباس وأحوالهم وأخذ المغول الملك منهم. انظر: دلائل الصدق ٤٣٢/٢ و٤٣٣ ومروج الذهب ٤١٦/٢ و٤١٧.

(١٢) جاء في أسد الغابة ٣٢/٤ عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ فانقطع شسعه. فاخذها علي يصلحها. فمضىٰ رسول الله ﷺ فقال: ان منكم رجلاً يقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتلت علىٰ تنزيله. فاستشرف لها القوم. فقال رسول الله ﷺ: لكنه خاصف النعل. فجاء فبشّرناه بذلك فلم يرفع به رأساً كأنه شيء قد سمعه من النبي ﷺ.

١ـ النمل: ٤٠.

٢ـ الرعد: ٤٣.

وفي ينابيع المودة ـ الباب ١١ عن عبد الرحمن بن بشير الانصاري قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ قال: ليضربنكم رجل علىٰ تأويل القرآن كما ضربتكم علىٰ تنزيله. فقال أبوبكر أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنه خاصف النعل. فانطلقنا فإذا علي يخصف نعل رسول الله ﷺ في حجرة عائشة فبشّرناه.

(١٥) الدوح: كان بجانب غدير خم وفيه خطب النبي ﷺ بولاية علي عليه السلام.

(١٦) في البيت إشارة إلىٰ الحديث: (لا يجوز الصراط إلّا من بيده جواز من علي عليه السلام).

(١٧) في المناقب ٢٥٣/٢ قال سلمان الفارسي: «والذي نفسي بيده لو اخبرتكم بفضل علي في التوراة لقالت طائفة منكم انه لمجنون. ولقالت طائفة أخرىٰ اللهم اغفر لقاتل سلمان».

ويؤكد الشاعر علىٰ أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام عندما سلّمه الراية يوم خيبر (انهم يجدون في كتبهم ان الذي يدمر عليهم اسمه ايليا) وقد أشار ابن الاثير إلىٰ ذلك في كامله ١٤٩/٢.

(١٨) في البيت إشارة إلىٰ سد الأبواب الشارعة في المسجد إلّا باب علي.

(٢٠) في أسد الغابة ٢٠/٤ عن سعيد بن المسيب قال: لقد اصابت علياً عليه السلام يوم أحد ست عشرة ضربة كل ضربة تلزمه الأرض. فما كان يرفعه إلّا جبرئيل عليه السلام. وفي ذخائر العقبى ص٧٤ عن الحسن: كان رسول الله يبعث علياً بالسرية. جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله. لا ينصرف حتىٰ يفتح عليه.

(٢٣) كانت القبلة الأولىٰ بيت المقدس مدة بقاء رسول الله ﷺ في مكة

وإلىٰ ما بعد هجرته إلىٰ المدينة بسبعة عشر شهراً. ولما ضاق اليهود ذرعاً بالنبي ﷺ فكّروا في ان يمكروا به وان يقنعوه بالجلاء عن المدينة. فذكروا له: ان من سبقه من الرسل استوطن بيت المقدس، فان يكن رسولاً حقاً فجدير به أن يصنع صنيعهم. فنزل الوحي بالآية الكريمة: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1] فحوّل القبلة من تلك اللحظة إلى مكة المكرمة. وانكر اليهود عليه ذلك، وحاولوا فتنة مرة أخرىٰ بقولهم انهم يتّبعونه إذا هو رجع إلى قبلته الأولىٰ. فنزل قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ﴾[2]. انظر: حياة محمد ﷺ للدكتور محمد حسين هيكل ص ٣٣٧.

(٢٤) لدىٰ الرجوع إلىٰ كتب التفسير والمناقب وجدت الكثير من الآيات قد سمي بها علي عليه السلام مؤمناً. وهو عليه السلام في الحقيقة كما قال عنه ابن عباس ـ ليس من آية في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) إلّا وعليّ رأسها وأميرها وشريفها. فلقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ في القرآن وما ذكر علياً إلّا بخير، ذخائر العقبى ص٨٩. اقول: واليك الآيات العشر التالية التي نزلت في الامام علي عليه السلام، لتأييد ما ورد في البيت المذكور.

---

١ ـ البقرة: ١٤٤.

٢ ـ البقرة: ١٤٢ و١٤٣.

الأولىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] نزلت في علي عليه السلام عندما تصدّق بخاتمه وهو راكع ـ انظر أساب النزول للواحدي ١٤٨ و١٤٩ ومجمع البيان ٣/ ٢١٠ وذخائر العقبى /٨٨.

الثانية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2] نزلت عندما افتخر طلحة بن شيبة فقال: أنا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو شئت بت فيه. وقال العباس بن عبد المطلب. أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان. لقد صلّيت إلىٰ القبلة ستة أشهر قبل الناس ـ أسباب النزول: ١٨٢ ومجمع البيان ٥/ ١٤ ودلائل الصدق ٢/ ١٠٢ وينابيع المودة ـ الباب: ٢٢.

الثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[3] عن علي عليه السلام قال: ان في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي هي آية النجوىٰ. وقال عليه السلام: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي. وكنت كلّما ناجيته قدّمت بين يدي نجواي درهماً. ثم نسخت فلم يعمل بها أحد. فنزلت الآية: ١٣:

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٩/ ٢٧١ والكشاف للزمخشري ٣/ ٢١١ ودلائل الصدق ٢/ ١٠٤.

---

١ ـ المائدة: ٥٥.

٢ ـ التوبة: ١٩.

٣ ـ المجادلة: ١٢.

الرابعة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ﴾[1] قال ابن أبي ليلىٰ: نزلت في علي بن أبي طالب ورجل من قريش. وقال غيره نزلت في علي عليه السلام والوليد بن عُقبة. فالمؤمن علي عليه السلام والفاسق الوليد. وذلك انه قال لعلي عليه السلام أنا ابسط منك لساناً وأحدُّ منك سناناً. فقال علي عليه السلام ليس كما تقول يا فاسق. انظر: أسباب النزول: ٢٦٣، مجمع البيان ٣٣٢/٨، الكشاف للزمخشري: ٥٢٦/٢، ذخائر العقبىٰ: ٨٨، دلائل الصدق ١٥٨/٢.

الخامسة: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّـهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2] قال الطبرسي في مجمع البيان: وردت الرواية من طريق الخاص والعام ان المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين عليه السلام وهو قول مجاهد.

وقالت اسماء بنت عميس رضي الله عنها: سمعت النبي يقول: [وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب] مجمع البيان: ٣١٦/١٠ وينابيع المودة، الباب ٢٢.

السادسة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[3] عن أبي نعيم الحافظ عن ابن عباس وعن جعفر الصادق عليه السلام قالا. قال علي عليه السلام: كنّا عاهدنا الله ورسوله أنا وحمزة وجعفر وعبيدة على أمر وفينا به لله ولرسوله. فتقدّمني أصحابي. وخلفت بعدهم فانزل سبحانه فينا: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ـ فمنهم قضىٰ نحبه ـ حمزة وجعفر وعبيدة ـ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ـ انا المنتظر

---

١ ـ السجدة: ١٨.

٢ ـ التحريم: ٤.

٣ ـ الاحزاب: ٢٣.

وما بدلت تبديلا. انظر: ينابيع المودة، الباب ٢٣.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام وهو على منبر الكوفة عن قوله تعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قال: اللهم غفراً هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث. فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد. وأما أنا فانتظر اشقاها يخضب هذه من هذا وأشار بيده إلى لحيته ورأسه.

دلائل الصدق: ٢/١٦٤ نقلاً عن الصواعق المحرقة لابن حجر. وذكره الشبلنجي في نور الأبصار: ٩٧.

السابعة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[1] قال الزمخشري في كشّافه: ٢/٢٩٤ وروي ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي رضي الله عنه [يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة]. فانزل الله هذه الآية. وقال الشبلنجي في نور الابصار: ١٠١ عن محمد بن الحنفية في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ انه قال لا يبقى مؤمن إلّا وفي قلبه ودّ لعلي وأهل بيته.

الثامنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[2] في مجمع البيان: ١٠/٥٢٤ عن ابن عباس. نزلت في علي وأهل بيته. وفي نور الابصار: ٧٠ لمّا نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام [هو أنت وشيعتك. تأتي أنت وهم راضين مرضيين. ويأتي اعداؤك غضباً مقمحين].

التاسعة: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[3] في دلائل الصدق:

---

١ ـ مريم: ٩٦.

٢ ـ البينة: ٧.

٣ ـ الانفال: آية ٦٢.

١١٩/٢ عن السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة: مكتوب علىٰ العرش (لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي. محمد عبدي ورسولي أيّدته بعلي) ثم قال أبو هريرة: وذلك قوله تعالىٰ (هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين) يعني علي. وفي ينابيع المودة ـ الباب: ٢٣ ـ عن ابن عباس وعن جعفر الصادق عليه السلام. قالا: نزلت هذه الآية في علي. وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (رأيت مكتوباً علىٰ العرش لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. محمد عبدي ورسولي أيدته ونصرته بعلي بن أبي طالب).

العاشرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[1] ذكر الفخر الرازي في تفسيره ١٠١/٣١ انه جاء علي عليه السلام في نفر من المسلمين. فسخر منه المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلىٰ أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه. فنزلت هذه الآية قبل أن يصل علي عليه السلام إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وورد نفس الخبر في الكشاف للزمخشري ٣٢٣/٣.

وروىٰ الزمخشري في الكشاف: ٥٢٦/٢ عن الحسن بن علي عليهما السلام انه قال للوليد بن عقبة. كيف تشتم علياً وقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات وسمّاك فاسقاً؟!

وقال الحميري في مدح أمير المؤمنين، مذكّراً بيوم الغدير:

يـــابايعَ الديـــن بـــدنياهُ ... ليس بِـــــهذا أمـــرَ اللهُ

مِنْ أين أبغضتَ عليَّ الوصي ... وأحـمدُ قـد كـان يـرضاهُ

مـن الذي أحـمد مِـن بـينهم ... يـوم (غـدير الخـمّ) نـاداهُ

---

١ ـ المطففين: ٢٩.

أقـامَهُ مِـن بـين أصـحابِهِ وهُـم حَـوالَـيهِ فسـمّاهُ
هـذا عـليٌّ بـن أبـي طـالب مـولىً لِـمَنْ قَـدْ كُـنتُ مـولاهُ
فـوالِ مَـنْ والاه يـا ذا العـلا وعـادِ مَـنْ قَـدْ كَـان عـاداهُ

وقال في قصيدة أخرىٰ يمدح آل البيت ويصلي عليهم الصلاة التامة وهو بذلك يُعلن ولاءه الكامل لآل الرسول ويبرأ من مبغضيهم واعدائهم، وقد تعرّض في الأبيات لأبي الخلّال العتكي[1] فقال:

إذا أنـا لَـمْ أحـفَظ وصـاةَ مـحمدٍ ولا عَـهْدَهُ يـومَ الغـديرِ مـؤكّدا
فإنّي كَـمَنْ يشـري الضـلالةَ بـالهدىٰ تـنصَّرَ مِـنْ بَـعْدِ الهُـدىٰ أو تَـهَوّدا
ومـالي وتـيماً أو عـدِيّاً وإنّـما أولو نعمتي في اللهِ مِـنْ آل أحـمَدا
تَـتِمُّ صَـلاتي بـالصّلاة عـليهم وليستْ صَـلاتي بَـعد أن أتشـهّدا
بكـاملةٍ إنْ لَـمْ أُصـلِّ عـليهم وأدعـو لهـم ربّـاً كَـرِيماً مُـمَجّدا
بَذَلْتُ لَـهُم ودّي ونُـصْحِي ونُـصْرتي مَدىٰ الدّهرِ ما سُمِّيتُ يا صاحِ سَيِّدا
وإنّ امرأ يُـلحىٰ علىٰ صـدق ودِّهـم أحـقُّ وأولىٰ فِـيهم أن يُـفنّدا
فإنْ شِئْتَ فاخْتَر عاجِلَ الغمِّ ظلّة وإلّا فأَمسِكْ كَـي تُـصانَ وتُـحمَدا

أقول: وفي إنشاء هذه الأبيات روىٰ ابو الفرج في الاغاني ٢٦٢/٧ حديثاً جرىٰ بين أبي الخلّال العتكي والأمير عقبة بن مسلم وخلاصة الحديث ان اعجب الامير بشاعرنا الحميري فاكرمه، وانّ هذا الاكرام اساء العتكي وأخذ يندّد بالشاعر، ورماه ببعض التهم، وادّعىٰ أنه يتعرّض إلىٰ سبّ الشيخين: الأول والثاني، ثم طلب العتكي من الأمير عقبه أن يمدح الشاعر أبابكرٍ وعمراً، فما كان من السيد إلّا أن أنشد هذه الأبيات والقصيدة تقع في ٢٥ بيتاً.

---

١ ـ انظر قصّة ابي الخلال العتكي في ص٣١٨.

امّا السبب في إنشاد هذه الأبيات، فكما يتضح: انّ العطايا والمنح والمنزلة الرفيعة التي حظي بها الحميري عند الوالي عقبه بن مسلم كانت هي السبب، ممّا عجّ المنافسون للشاعر وحسّاده أن يحيكوا له الدسائس كي يوقعوا به شرّ وقيعة.

فهذا أبو الخلال العتكي من منافسي السيد كان علىٰ رأس الوشاة، وكان يسعىٰ جاهداً عند الوالي في الايقاع بالسيد واقصائه عن البلاط، فادّعىٰ عليه انه يتعرض في شعره إلىٰ سب الصحابة، ولغرض التدليل علىٰ هذا الادعاء طلب من الوالي أن يمتحن سريرة الشاعر من خلال وصفه للخليفتين ومدحه ايّاهما. وما درىٰ العتكي أن السيد لا يبالي ـ تجاه ولائه وعقيدته ـ بكل مظاهر الحياة والمادة فمن هو عقبه بن مسلم؟ ومن هؤلاء الوشاة...؟

وما قيمة المنح والعطايا وهو يمتلك أغلا وأعز شيء منهما؛ أنه يمتلك الهداية والولاء لأهل البيت عليهم السلام. فهل من مثل السيد الحميري أن يبيع حبّه وولاءه لآل الرسول بثمن بخس؛ فيمدح تملّقاً للوالي أو تستراً علىٰ عقيدة طالما غذّاها بالودّ والنصح والنصرة مدىٰ الدهر!

ومما يجري في باب المدح والتذكير بالمناقب، قوله في مصارعة جرت بين الحسن والحسين عليهما السلام في صغرهما وبمحضر من جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامّهما الزهراء عليها السلام[1]:

قال بينا النبي وابناه والبَرَّ ةُ والروح ثالث في قرار

---

١ ـ روى ابن شهر آشوب في المناقب ٣٩٣/٣ نقلاً عن السمعاني في فضائله عن أبي هريرة وابن عباس والحارث الهمداني وأبي ذر والصادق عليه السلام انه اصطرع الحسنان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ايه يا حسن خذ حسيناً. فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا رسول الله اتستنهض الكبير علىٰ الصغير؟ فقال: هذا جبريل يقول: أيه يا حسين خذ حسناً.

إذ دعا شبّراً شبير فقام الـ ... طهر للطاهرات والاطهار[١]

لصراعٍ فقال أحمدَ هيّا يا ... حسنُ شدَّ شدّة المغوار

قالت الدرّة البتولة لمّا ... سمعت قوله بلا إنكار

اتجرّي الكبير والناس طراً ... يقصدون الصغار دون الكبار

قال إذ كنت فاعلاً انّ مَن يكـ ... ـنف هذا عَنِ الورىٰ متواري

إن جبريل قائل مثل قولي ... لفتىٰ النجدوالندىٰ والوقار[٢]

---

١ ـ ان شبراً وشبيراً ابنا هارون عليهما السلام ، وقد سُمّي بهما الحسنان لمناسبة قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ... إلى آخر الحديث....

٢ ـ ديوان السيد الحميري ص٢٤٩ ، مناقب ابن شهر آشوب ٣٩٣/٣، اعيان الشيعة ٢٥٢/١٢ .

الفصل الحادي عشر

جنايات ادبيّة

روّادها

- محمد الخطيب ـ في تحقيقه لشرح القصيدة المذهبة للسيد المرتضىٰ علم الهدىٰ.
- د. عبد الحسين طه ـ في أدب الشيعة.
- د. طه حسين ـ في حديث الاربعاء ـ ومن تاريخ الأدب العربي.
- أبو الفرج الاصبهاني ـ في كتابه الاغاني؛ وهو مصدر الجميع.

جنايات ادبية

في دراستنا الادبية المتقدّمة عن السيد الحميري وجدنا اغلب الدراسات التي تناولت حياة السيد وشعره قد جعلته غرضاً لسهامها؛ فنسبته إلى الغلو تارة، وإلى ضعف العقل تارة أخرىٰ، كما ازدرته في عقيدته حتىٰ صيّرته ذراعاً شيعياً يؤمن بالخرافات والقصص والأساطير، وهي في دعاواها تلك ظالمة حاقدة، قد سخّرت قلمها لتشييد المطاعن والافتراءات غير آهبة وغير مسؤولة....

وقد لمست هذه الجنايات مؤطّرة بعنوان منمّق تحت شعار الدراسات الادبية، وهي في عمقها لا تقل عن جنايات الطواغيت وذوي السلطان، لما تحملها هذه البحوث من تشويه الحقائق والطعن في الشخصيات الإسلامية، والانتقاص من رجال الفكر والادب.

وقد حمل راية هذه البحوث والدراسات الادبية في القرن العشرين نخبة من أساتذة الازهر، وادباء مصر، كالدكتور طه حسين، والدكتور عبد الحسيب طه حميده، وأمثالهم، ولمّا وجدت هذه الحلقات من الزيف والتعدّي لازالت تجتر ما في بطون الكتب لتقذفها إلى عالمنا المعاصر بأقبح صورة وبأخس عبارة، فما كان منّي إلّا أن أقف منتصراً لمن ظُلِم.

فهناك دراسات قد صدرت على اقتضا بها إلّا أنها تحمل السموم والشكوك والتعصّب الاعمىٰ؛ وعلى سبيل المثال: المقدمة التي صدّرها محمد الخطيب في تحقيقه لشرح الشريف المرتضىٰ علم الهدى على القصيدة المذهّبة للسيد

الحميري.

والدراسة التي أفردها الدكتور عبد الحسين طه حميده في كتاب أدب الشيعة، إذ تناول السيد الحميري في الفصل الخامس من الكتاب، ثم دراسة الدكتور طه حسين وما بثّه في كتابيه: حديث الاربعاء، ومن تاريخ الادب العربي؛ العصر العباسي الاوّل.

على ان هؤلاء وغيرهم من الكتّاب هم عيال علىٰ أبي الفرج الاصبهاني، وان كتاب الاغاني يُعدّ المصدر الاوّل لتلك السفاسف والترهات التي قدّمها اساتذة الأدب العربي في عصر يتّسم بالعلم والمعرفة والتحقيق.

وسوف نتطرّق إلى بعض تلك العناوين مشيرين زيف محتواها والله من وراء القصد.

وقفة مع محمد الخطيب:

اما الاستاذ الخطيب في مقدّمته عرض لنا صورة من حياة السيد وسجّل هناك آراءه كناقد ومؤرّخ، ونحن نقف عند آرائه النقدية وما فيها من تشكيك خاصة في:

١ ـ مقولته في وفاة السيد.

٢ ـ في عقيدة الشاعر وكيسانيّته.

٣ ـ في تبنّي الشاعر لمذهب الامامية وقصيدته الميميّة.

٤ ـ في تهاون السيد بأمور الشرع.

٥ ـ الجنبة القصصية والاساطير.

هذه أهم العناوين التي سنبحثها للقاريء بمعزلٍ عن كل تعصب أو هوىٰ...

المبحث الأول
في وفاة السيد الحميري

استند الخطيب على احدىٰ روايات الاغاني الشاذّة ـ المكذوبة ـ مفادها ان رجلاً جاء إلى الإمام الصادق فأخبره بموت السيد فترحّم عليه الإمام، فاستنكر أحد الحاضرين، وكان عباد بن صهيب راوي الخبر جالساً، فقال هذا الرجل المستنكر: يابن رسول الله تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة ؟!

بهذه المقدمة، يستدل الخطيب على وفاة السيد في حياة الإمام. وهكذا يستدل على أنّ السيد كان يشرب النبيذ، والمورد الثالث الانتقاص من مقام السيد لكونه يؤمن بالرجعة.

قلنا في الرد على الخطيب:

امّا سنة وفاة الإمام الصادق عليه السلام هي ١٤٨ هـ باجماع المؤرّخين، بينما أجمعت كتب الادب والتاريخ والتراجم على ان وفاة السيد كانت في عام ١٧٣ هـ أو ١٧٥، أو ١٧٨ أو ١٧٩ هـ.

فأقوال المؤرّخين لا تخرج عن هذا الحصر، وفي مقدمتهم: أبو الفرج الاصبهاني في اغانيه ٢٧٨/٧ والمرزباني في أخبار السيد ص١٥٢.

وابن حجر في لسان الميزان ٤٨٨/١ وابن الجوزي في المنتظم ٣٩/٩ وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٦٩/٢ و٧٤ والقاضي المرعشي في مجالس المؤمنين ٥١٧/٢ وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ١٩٢/١.

والاميني في الغدير ٢/٢٧٢ ط ٥ بيروت وهناك عشرات المصادر فراجع.

ثم ان رواية الاغاني المشهورة والمذكورة في عدة مصادر تؤكد على ان الرشيد هو الذي بعث بالكفن لتجهيز السيد؛ انظر الجزء السابع، ص٢٧٨ من الاغاني.

وعليه ان رواية عباد بن صهيب تسقط؛ فلا اعتبار لها، لعدة وجوه، الأول: أجمعت المصادر على أن السيد توفي زمن الرشيد وقد مدحه قبل وفاته بقصيدتين ونال منه بدرتين.

الوجه الثاني: مراد الراوي هو الطعن على الشاعر؛ لإيمانه بالرجعة، وهذا المعتقد هو من متبنّيات الامامية.

الوجه الثالث: هدف الراوي هو رمي السيد بالفسق والانتقاص منه عند الإمام عليه السلام.

اقول: وقد ناقض الخطيب قوله في سنة وفاة السيد فقد صرّح في الصفحة ٥٦ من مقدمته ان وفاة الشاعر كانت سنة ١٧٣ هـ.

ثم ان الاصبهاني وآخرين غيره ـ وهم كثر ـ قد اكّدوا على أن السيد الحميري قد هجا سوّارا لمّا سمع بموته، وان سوّارا هذا القاضي قد توفي سنة ١٥٧ هـ، قال ابن الاثير: وفي هذه السنة ـ ١٥٧ هـ ـ بنى المنصور قصره الذي يُدعى بالخُلد، وفيها حوّل الاسواق إلى الكرخ... ثم يقول: وفيها مات عامر بن اسماعيل المُسليّ، وصلّى عليه المنصور. وتوفّي سوّار بن عبد الله، قاضي البصرة...[1].

---

١ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ٦/١٣ دار صادر بيروت، ١٩٦٥ والنجوم الزاهرة ليوسف تغرى بردى، ت ٨٧٤هـ، ٢/٣٠ المؤسسة المصرية.

ولكي نؤكد لهذا المحقق المبجّل الذي ذهب في خبطه دون ان يراجع امّهات الكتب بدقة وروّية فنذكّره بما اعتمده من أخبار، وبالذات أخبار ابن الساحر فإليك هذه الرواية يذكرها أبو الفرج قال: وحَكىٰ ابن الساحر، ان السيد دُعِي لشهادة عند سوّار القاضي، فقال لصاحب الدعوى: اعفني من الشهادة عند سوّار؛ فلم يعفه صاحبها منها وطالبه بإقامتها عند سوّار، فلما حضر عنده وشهد قال له: ألم أعرِفك وتعرفني! وكيف مع معرفتك بي تُقدِم علي الشهادة عندي فقال له: إني تخوفتُ إكراهه، ولقد افتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل مني فاقمتها، فلا يقبل الله لك صرفاً ولا عدلاً إن قبلتها، وقام من عنده، ولم يقدر سوّار على شيء لما تقدم به المنصور إليه في أمره، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يقض يومئذٍ بين اثنين.

ثم إن سوّارا اعتل العِلّة التي مات فيها فلم يقدر السيد على هجائه في حياته لِنهي المصنور ايّاه عن ذلك. ومات سوّار، فأُخرج عشياً وحُفِر له، فوقع الحفر في موضع كنيف. وكان بين الازد وبين تميم عداوة، فمات عقب موته عبّاد ابن حبيب بن المهلّب، فهجا السيّد سوّاراً في قصيدة رثى بها عبّاداً ودفعها إلى نوائح الازد لما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار ينحن بها وأوّلها:

يا من غدا حاملاً جُثمان سُوّار ... من داره ظاعناً منها إلى النار[1]

لا قدّسَ اللهُ روحاً كان هيكلها ... فقد مضتْ بعظيم الخزي والعارِ

حتى هَوتْ قعرَ بَرهوتٍ معذّبةً ... وجسمهُ في كنيف بين أقذار[2]

---

١ ـ الاغاني ٢٦٨/٧ و ٢٦٩.

٢ ـ برهوت: بئر عميقة بحضر موت لا يستطاع النزول إلى قصرها. ويشير بقوله (حتى هوت قعر بُرهوت)

لقد رأيتُ من الرحمنِ معجبةً فيه وأحكامه تجري بمقدار

فاذهبْ عليكَ من الرحمن بَهْلَتُه يا شرَّ حيٍّ براهُ الخالقُ الباري[1]

وعليه: أنّ هذه الابيات وما ذكره الاصبهاني يؤكّدان بقاء الشاعر إلى ما بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام بمدّة طويلة.

⇐ إلى ما ورد في هذه البئر من أنها مأوى ارواح الكفار والمنافقين.

١ ـ البهلة: اللعنة.

المبحث الثاني
في عقيدة السيد رحمه الله

تقدمت الاخبار التي تنصّ على كيسانية الشاعر ثم رجع السيد بعد ذلك إلى الإمام الصادق وتاب على يديه، واعتنق مذهب الإمامية، وفي هذا من الشعر الكثير التي دوّنتها كتب الادب والتراجم للسيد وبالاخص الرائية:

* تجعفرت باسم الله والله أكبر *

والقصيدة البائية:

* أيا راكباً نحو المدينة جَسرةً *[1]

وغيرها من القصائد التي حفظها لنا التاريخ وذاعت على ألسنة الرواة، وهي غير خافية على المحقق اللبيب، والدارس النبيه، طالما تلك الكتب في متناول اليد.

فهذا الاربلي:

ذكر قصيدة السيد البائية والتي مطلعها:

أيا راكبا نحو المدينة جسرة عذافرة تطوى له كل سبب

حتى جاء بها كاملة ثم قال:

وفي هذا الشعر دليل على رجوع السيد رحمه الله عن مذهب الكيسانية، وقوله بامامة الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ووجود الدعوة ظاهر من الشيعة في أيام أبي

---

١ ـ كشف الغمة للاربلي المتوفى سنة ٦٩٣ هـ، ٢/٣٩١ ط بيروت.

عبد الله عليه السلام إلى امامته، والقول بامامة صاحب الزمان وغيبته عليه السلام وانها احدى علاماته وهو صريح قول الامامية الاثني عشرية.

قلت رجوع السيد عن كيسانيته بقول الصادق عليه السلام أمرٌ مشهور، وبألسنة الرواة ونقلة الآثار مذكور، وفي ديوان شعره مثبت مسطور...[1].

وجاء في فرق الشيعة للنوبختي وهو من علماء القرن ٣ هـ:

ومن الكيسانية السيد اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ الحميري وهو الذي يقول:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى ... حتى متى تحمىٰ وأنت قريب

يا ابن الوصي ويا سمي محمد ... وكنيه نفسي عليك تذوب

لو غاب عنا عمر نوح أيقنتْ ... مِنّا النفوس بأنه سيؤب[2]

ويقول أيضاً:

ألا حي المقيم بشعب رضوى ... وأهدِ له بمنزله السلاما

أورد من القصيدة ستة أبيات ثم قال:

وقد روى قوم ان السيد ابن محمد رجع عن قوله هذا وقال بامامة جعفر بن محمد عليه السلام وقال في توبته ورجوعه في قصيدةٍ أولها:

* تجعفرت باسم الله والله أكبر *[3]

أقول: مع تسليمنا بهذه الاخبار لوضوحها، وما أكثرها، فلا يبقىٰ مجال في تشكيك الاصبهاني في عقيدة السيد بالامامة عندما نقل عن عمّه ـ وبسنده

---

١ ـ كشف الغمّة، علي بن عيسى الاربلي ٣٩١/٢، دار الكتاب الاسلامي، بيروت ١٩٨١.

٢ ـ فرق الشيعة ص٢٩ ـ ٣٠.

٣ ـ فرق الشيعة ص٣٠.

عن مسعود بن بشر ـ خبر ابن الساحر إذ قال: إنَّ جماعة تذاكروا أمر السيّد وأنه رجع عن مذهبه في ابن الحنفية وقال بإمامة جعفر بن محمد عليه السلام، فقال ابن الساحر راويته: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات إلّا منحولة له قيلت بعده. وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً يروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام إنّه سيولد لك بعدي ولد وقد نحلتُه اسمي وكنيتي، فقال في ذلك قصيدته الدالية:

* اشاقتك المنازل بعد هند *

أقول: ما أورده ابن الساحر؛ راوية السيد، ليس فيه من الأدلة ما يستند عليه الباحث ولا الراوي نفسه، بل العكس هو الصحيح، حيث تواترت الاخبار والروايات ان السيد التقىٰ بالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام والإمام أوضح له العقيدة الصحيحة، وعلى أثر ذلك تاب السيد علىٰ يد الإمام. وهناك موقف آخر بين السيد ومؤمن الطاق في مناظرة كلامية بها اهتدىٰ الشاعر إلى الطريق الصواب، وربما كانت هذه المناظرة بأمرٍ من الإمام الصادق كما تقدم.

مهما يكن من شيء فإنَّ عشرات القصائد التي أنشدها تكفي دليلاً على ردّ ابن الساحر وهكذا صاحبه أبو الفرج الاصبهاني.

ومما قاله محمد الخطيب مقتفيا قول أبي الفرج في نقله لرواية أبي داوود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق[1] قال في السيد: ما مضىٰ والله إلّا على مذهب الكيسانية وهذه القصائد التي يقولها الناس مثل:

* تجعفرت باسم الله والله أكبر *

وقوله:

---

١ ـ الحنزق: تصحيف لكلمة (المسترق) وهي الصواب.

* أيا راكباً نحو المدينة جسرةً...

إذا ما هداك الله لاقيت جعفراً...

لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط قالها ونحلها للسيد وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرها، بمحل قاسم منه وخدمته ايّاه[1].

أقول: كما ان صاحب الاغاني ليس له دليل يقول به أو يعتمده كذا هذا البيغاء الخطيب الذي ردّد قول النصّاب دون أن يمعن النظر في تلك التهم أو يتحقق جيداً كي يتحرى الحقيقة فيكشفها ناصعة جليّة.

أقول ومما يستدل على توبة السيد ورجوعه عن الكيسانية، قصيدته الكافيّة وهي آخر ما قاله السيد في مرضه الذي مات فيه:

أحبّ الذي من مات من أهل ودّه تلقّاه بالبشرىٰ لدىٰ الموت يضحك

ومن مات يَهوىٰ غيره من عدوّه فليس له إلّا إلىٰ النار مسلك

أبا حسن تفديك نفسي وأسرتي ومالي وما أصبحت في الارض املك

أقول: وقد ذكرنا هذه الأبيات في الفصل الخامس (السيد الحميري ووفاته) فراجع.

---

١ ـ الاغاني ٢٣١/٧.

المبحث الثالث

ادعاء الخطيب ان القصيدة الميمية منحولة

ليس غريباً من السيد الحميري ان يذكر الائمة الاثني عشر في قصيدته الميمية بل الغريب والعجيب من المحقق محمد الخطيب الذي نقل جملة من الروايات والتي في طيّها تؤكد التقاء السيد بالإمام الصادق عليه السلام، وان الإمام قد عرّفه الحق فكيف يغفل الخطيب عن ذلك، وما هو الحق الذي عرّفه ايّاه؟ ألم تكن الإمامة هو ذلك الحق، وغيبة الإمام الثاني عشر هو الحق بعينه؟!

فأدلتنا هي:

أوّلاً: ان الشاعر التقى بالإمام عليه السلام وأفهمه ان الغيبة ستقع للإمام السادس من ولده وهو الإمام الثاني عشر من الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فعرف الشاعر من ذلك الوقت اسماء الائمة وطرفاً من احوالهم، وإليك هذا الخبر:

جاء في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق بسنده عن حيّان السرّاج[1] قال: سمعت السيد بن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو ـ أي منحرف عن أهل البيت عليهم السلام ـ واعتقد غيبة محمد بن علي الملقب بابن الحنفية، قد ضللت في ذلك زماناً. فَمنّ اللهُ عليّ بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام وانقذني به من النار وهداني إلى سواء السراط. فسألته بعدما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها منه انه حجة الله عليّ وعلىٰ جميع أهل زمانه، وانه الإمام الذي فرض الله طاعته

---

١ ـ حيّان السرّاج راوي الحديث من الكيسانية.

وأوجب الاقتداء به فقلت له: يا ابن رسول الله قد رُوي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحّة كونها فاخبرني بمن تقع؟

فقال عليه السلام: ان الغيبة ستقع بالسادس من ولدي. وهو الثاني عشر من الائمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الارض. وصاحب الزمان.

والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قال السيد: فلمّا سمعت ذلك من مولاي الصادق تبت إلى الله تعالى على يديه، وقلت قصيدتي التي اوّلها:

❊ ولما رأيت الناس في الدين قد غوَوا ❊[1]

الدليل الثاني:

لم يكن خبر الأئمة الاثني عشر غريباً على الاذهان عند الشيعة الامامية في زمن الحميري أو قبله أو بعده، وإن لم يستوفِ الزمن آنذاك جميعهم. لان الاحاديث النبوية والاخبار الكثيرة المتظافرة عن المعصومين تؤكّد هذا العدد، وان آخرهم الإمام الثاني عشر وهو القائم (عج).

الدليل الثالث:

إن روايات (الأئمة اثنا عشر) قد تجدها في مئات الكتب والمراجع من فقه وحديث وكلام وتأريخ وسياسة و...

وكان يتناقلها الصحابة والتابعون وابناءُهم جيلاً بعد جيل، وهي موجودة في المصادر المعتبرة عند الفريقين، إذاً ما بال الخطيب يردّ القصيدة الميميّة لا

---

١ ـ كمال الدين ص ٣٤ ط الاخوندي طهران.

لشيء إلّا لكون الشاعر ذكر اسماء الائمة الاثني عشر!

وستقف أيها القاريء العزيز على مصادر الفريقين والتي جعلناها في قسمين:

القسم الأول مصادر الجمهور وحديث: انّ الخلفاء اثنا عشر:

جاء في الباب السابع والسبعين من ينابيع المودة: ذكر يحيىٰ بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً ان الخلفاء بعد النبي ﷺ اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

وورد هذا الخبر في البخاري من ثلاثة طرق، وفي الترمذي من طريق واحد. وفي مسلم من تسعة طرق وفي أبي داوود من ثلاثة طرق وفي الحميري من ثلاثة طرق.

وعن عباية بن ربعي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وان اوصيائي بعدي اثنا عشر اولهم علي وآخرهم القائم المهدي (عج)).

وأخرج الحموينى وموفق بن أحمد الخوارزمي عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون).

وأخرج الحموينى أيضاً عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً وليعاد عدوه وليأتم بالأئمة الهداة من ولده فانهم خلفائي وحجج الله على خلقه من بعدي وسادات امتي وقواد الأتقياء إلى الجنة

حزبهم حزبي وحزبي حزب الله وحزب اعدائهم حزب الشيطان) إلى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة الدالة على كون الخلفاء من بعده ﷺ اثني عشر، وهم من أهل بيته وعترته عليهم السلام.

إذاً لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء من بعده من اصحابه لقلتهم عن اثني عشر. ولا يمكن حمله على الملوك الامويين لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز. ولكونهم ليس من بني هاشم.

لأن النبي ﷺ قال: كلهم من بني هاشم ـ في رواية عبد الملك عن جابر ـ ولا يمكن ان يحمل على الملوك العباسيّين لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم الآية ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1] و ـ حديث الكساء ـ فلابد من ان يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله وكان علمهم عن آبائهم متصلاً بجدهم ﷺ وبالوراثة اللدنية.

القسم الثاني روايات الطائفة المحقّة:

وسوف نذكر لك أيها القاري العزيز اسماء الصحابة والتابعين الذين رووا عن النبي وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام حديث ان الائمة اثنا عشر، وبعدها نذكر جملة من رواياتهم من اولئك:

أبو الطفيل، سمع عن أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد (أن الأئمة اثنا عشر)

أبو سعيد الخدري عن أمير المؤمنين عليه السلام كذلك

---

١ ـ الشورى: ٢٣.

عبد الله بن جعفر الطيار عن الرسول ﷺ

عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ

جابر بن سمرة عن النبي ﷺ

سلمان الفارسي عن النبي ﷺ

عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ

ويروي عن ابن عباس كل من: الاصبغ بن نباته، والاعمش عن عباية بن الربعي عن ابن عباس.

جابر بن عبد الله الانصاري عن فاطمة الزهراء.

سليم بن قيس الهلالي عن عبد الله بن جعفر الطيار

عبد الرحمن بن سليط عن الإمام الحسين عليه السلام

ثابت بن دينار عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

داود بن القاسم الجعفري عن الإمام الباقر عليه السلام

(السائل الذي دخل المسجد وسأل أمير المؤمنين عليه السلام ثم جدّد العهد بالإمام وذكر الائمة الاثني عشر، كان هو الخضر عليه السلام).

عبد العظيم الحسني بسنده عن الباقر عليه السلام

زرارة بن اعين عن الإمام الباقر عليه السلام

أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام

ابراهيم بن مهزم عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام

يحيى بن أبي القاسم عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن الرسول ﷺ

المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام

غياث بن ابراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام

محمد بن عمران عن الإمام الصادق عليه السلام

الاعمش عن الإمام الصادق عليه السلام

تميم بن بهلول عن الإمام الصادق عليه السلام

صالح بن عقبة عن الإمام الصادق عليه السلام

الحسين بن زيد بن علي عن الإمام الصادق عليه السلام

اسحاق بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام

علي بن عاصم عن الإمام محمد جواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام

الحسين بن العباس بن الجريش عن الإمام الجواد عليه السلام

وذكر الشيخ الكليني في باب (ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم عليهم السلام عشرين رواية اغلبها معتبرة صحيحة.

وفي عيون اخبار الرضا عليه السلام ٣٧ رواية ذكرها الصدوق باسانيد معتبرة تنتهي إلى المعصومين. اغلبها تتّحد مع اسانيد الشيخ الكليني.

وإليك طرفاً من تلك الاخبار مسندة إلى مصادرها:

عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١ ـ الصدوق عن أبيه قال حدّثنا سعد بن عبد الله بن أبي خلف، قال حدثنا يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان، عن أبان بن خلف، عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا الحسين على فخذيه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول: أنت سيد بن سيد، أنت إمام بن إمام، أنت حجة بن حجّة، أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم[1].

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٥٢/١.

عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ :

٢ ـ الصدوق بسنده عن الاصبغ بن نباته عن عبد الله بن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون .

٣ ـ والصدوق بسنده عن الاعمش ، عن عباية بن الربعي عن عبد الله بن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد النبيّين وعلي بن أبي طالب سيد الوصيّين وان اوصيائي بعدي اثنا عشر ، اوّلهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم عليه السلام[1] .

عن عبد الله بن جعفر الطيار عن الرسول ﷺ :

٤ ـ الصدوق بسنده عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : سمعت عبد الله بن جعفر الطيار ، يقول لنا عند معاوية والحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن عبّاس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد ، يذكر حديثاً جرى بينه وبين معاوية ، وانه قال لمعاوية بن أبي سفيان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم أخي علي بن أبي طالب عليه السلام أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد فابني الحسن أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، ثم ابني الحسين عليه السلام أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد فابني علي بن الحسين أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا عبد الله ثم ابني محمد بن علي الباقر أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا عبد الله وتكمله اثني عشر اماماً تسعة من ولد الحسين ، قال عبد الله : ثم استشهدت الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن عباس وعمر بن أبي

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٤/١ .

سلمة واسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية.

قال سُلَيم بن قيس: وقد كنت سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وأسامة انهم سمعوا ذلك من رسول الله[١].

عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ:

٥ ـ الصدوق بسنده عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعته يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً، ثم اخفىٰ صوته، فقلت لأبي: ما الذي اخفىٰ رسول الله ﷺ؟

قال: قال: كلّهم من قريش[٢].

٦ ـ والصدوق بسنده عن زياد بن خيثمة، عن أسود بن السعيد الهمداني، قال: سمعت جابر بن سمرة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، فلما رجع ـ رسول الله ـ إلى منزله فأتيته فيما بيني وبينه، فقلت: ثم يكون ماذا؟

قال: ثم يكون الهرج[٣].

عن أمير المؤمنين؛ علي بن أبي طالب عليه السلام:

٨ ـ الصدوق بسنده عن المفضل بن عمر، عن الصادق؛ جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لما أُسري بي إلى السماء أوحىٰ إليّ ربّي جل جلاله، فقال: يا محمد اني اطلعت إلى الارض

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٤٨.

٢ و ٣ ـ عيون أخبار الرضا ١/٥٠ و ٥١.

اطلاعاً فاخترتك منها، فجعلتك نبياً وشققت لك من اسمي اسماً، فانا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وجعلته وصيّك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذريتك وشققت له اسماً من اسمائي فانا العلي الاعلىٰ وهو علي، وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة فمن قبلها كان عندي من المقربين، يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي[1] ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنّتي ولا اظللته تحت عرشي، يا محمد أتحب أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّي، فقال عزّوجلّ: ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا أنا بانوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن القائم في وسطهم كانه كوكب دري، قلت: يا رب من هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحلّ حلالي ويحرّم حرامي، وبه انتقم من اعدائي وهو راحة لاوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين فيخرج اللات والعزّىٰ طريّين فيحرقهما، فلفِتنة الناس بهما يومئذ أشد من فتنة العجل والسامري[2].

عن عبد الله بن مسعود:

٩ ـ الصدوق بسنده عن الشعبي عن عمّه قيس بن عبد الله قال: كنا جلوساً

---

١ ـ الشن: القربة.

٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٥٨.

في حلقة فيها عبد الله ين مسعود، فجاء اعرابي فقال: أيكم عبد الله بن مسعود؟ فقال عبد الله أنا عبد الله بن مسعود، قال: هل حدّثكم نبيّكم ﷺ كم يكون بعده من الخلفاء؟ قال: نعم، اثنا عشر عدة نقباء بني اسرائيل.

١٠ ـ وبمثله وبسند آخر رواه الصدوق عن مسروق[١].

عن فاطمة عليها السلام واللوح المبارك:

١١ ـ الصدوق بسنده عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الانصاري، قال: دخلت علىٰ فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقدامها لوح يكاد ضوئه يُغشي الابصار وفيه اثنا عشر اسماً ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه وثلاثة اسماء في آخره وثلاثة اسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي اثنا عشر، قلت: أسماء مَن هؤلاء؟

قالت: هذه اسماء الاوصياء، اوّلهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي آخرهم القائم، قال جابر: فرأيت فيه محمداً محمداً محمداً في ثلاثة مواضع، وعلياً علياً علياً علياً في أربعة مواضع[٢].

الاسماء التي في اللوح عند فاطمة عليها السلام:

الصدوق بسنده عن الحسن بن محبوب عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه اسماء الاوصياء، فعددت إثنيَ عشر آخرهم القائم عليه السلام ثلاثة منهم محمد

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٤٨ و٤٩.

٢ ـ المصدر السابق ١/٤٦.

وأربعة منهم علي عليهما السلام[١].

عن الإمام الحسين بن علي الشهيد عليه السلام :

١٣ ـ الصدوق بسنده عن غياث بن ابراهيم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني مخلّف فيكم الثَّقلَين كتاب الله وعترتي، مَن العترة؟

فقال: أنا والحسن والحسين والائمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه[٢].

١٤ ـ والصدوق بسنده عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف تهلك أمة أنا وعلي وأحد عشر من ولدي؛ أولو الالباب اوّلها، والمسيح بن مريم آخرها، ولكن يهلك بين ذلك من لست منه وليس مني[٣].

١٥ ـ والصدوق بسنده عن عبد الرحمن بن سليط قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: منّا اثنا عشر مهدياً أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحق يحيى الله تعالى به الارض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون له غيبة يرتدّ

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٤٧.

٢ ـ المصدر السابق ١/٥٧.

٣ ـ المصدر السابق ١/٦٥.

فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون فيقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟

أما ان الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ[١].

عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام :

١٦ ـ الصدوق بسنده عن ثابت بن دينار، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي، عن سيد الاوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: الائمة من بعدي اثنا عشر اوّلهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله تبارك وتعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها[٢].

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام :

١٧ ـ روى الصدوق عن جعفر بن مسرور، قال: حدثنا الحسين بن محمد ابن عامر عن المعلى بن محمد البصري، عن الحسن بن علي الوشا عن أبان بن عثمان، عن زرارة بن أعين، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نحن اثنا عشر اماماً، منهم الحسن والحسين ثم الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام[٣].

١٨ ـ روى الصدوق عن محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني، قال:

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٨/١.

٢ ـ المصدر السابق ٦٥/١.

٣ ـ المصدر السابق ٥٦/١.

حدثنا الحسين بن اسماعيل، قال حدّثنا أبو عمرو سعيد بن محمد بن نصر القطان، قال: حدّثنا عبيد الله بن محمد السلمي، قال: حدّثنا محمد بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد بن سعيد بن محمد، قال: حدّثنا العباس بن أبي عمرو، عن صدقة بن أبي موسى عن أبي نضرة، قال: لما احتضر أبو جعفر محمد ابن علي الباقر عليه السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً فقال له أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو امتثلت في تمثال الحسن والحسين عليهما السلام لرجوت ان لا تكون أتيت منكراً، فقال له: يا أبا الحسن ان الامانات ليست بالتمثال ولا العهود بالرسوم، وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله عزّوجل، ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: يا جابر حدّثنا بما عاينت من الصحيفة، فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأُهنئها بمولد الحسين عليه السلام فإذا بيدها صحيفة بيضاء من درة، فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟

قالت: فيها اسماء الأئمة من ولدي، قلت لها: ناوليني لانظر فيها، قالت: يا جابر لو لا النهي لكنت أفعل، لكنه قد نهى أن يمسّها إلّا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنّه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها، قال جابر: فاذا أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمّه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى امه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن بن علي البر، أبو عبد الله الحسين بن التقي امّهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل، امه شهر بانو بنت يزدجرد، أبو جعفر محمد بن علي الباقر أمّه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق وامّه أُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو ابراهيم موسى بن

جعفر امّه جارية اسمها حميدة المصفاة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا امّه جارية اسمها نجمة، أبو جعفر محمد بن علي الزكي امّه جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد بن الامين امه جارية اسمها سوسن، أبو محمد الحسن ابن علي الرفيق امّه جارية اسمها سمانة وتكنّىٰ ام الحسن، أبو القاسم محمد بن الحسن هو حجّة الله القائم امه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين[١].

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

١٩ ـ روى الصدوق عن محمد بن علي ماجيلويه، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، قال: كنت أنا وأبو بصير ومحمد بن عمران مولى أبي جعفر عليه السلام يقول: نحن اثنا عشر محدّثاً، فقال أبو بصير: بالله لقد سمعت ذلك من أبي عبد الله عليه السلام فحلّفه مرة أو مرتين، فحلف انه سمعته. فقال له أبو بصير: لكنّي سمعته من أبي جعفر عليه السلام[٢].

٢٠ ـ والصدوق بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: منّا اثنا عشر مهدياً، مضىٰ ستة وبقىٰ ستة، ويصنع الله في السادس ما أحبّ[٣].

٢١ ـ الصدوق بسنده عن تميم بن بهلول قال حدّثني أبو معاوية عن

---

١ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٤١.

٢ ـ المصدر السابق ١/٥٦.

٣ ـ المصدر السابق ١/٦٩.

الاعمش عن جعفر بن محمد عليه السلام .

٢٢ ـ والصدوق بسنده عن تميم بن بهلول، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي الهزيل وسألته عن الإمامة فيمن تجب وما علامة من تجب له الامامة ؟

فقال: ان الدليل على ذلك والحجة على المؤمنين والقائم بامور المسلمين والناطق بالقرآن والعالم بالاحكام أخو نبي الله وخليفته على امّته ووصيّه عليهم ووليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى المفروض الطاعة بقول الله عزّوجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

الموصوف بقوله عزّوجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2] والمدعو إليه بالولاية المثبت له الامامة يوم غدير خم بقول الرسول صلى الله عليه وآله عن الله عزوجل: ألست أولى بكم منكم بأنفسكم، قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأعن من أعانه، علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين، وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيين، وخير الخلق أجمعين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعده الحسن بن علي ثم الحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وابنا خيرة النسوان أجمعين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن عليهم السلام إلى يومنا هذا واحداً بعد واحد، وهم عترة الرسول عليه وعليهم

---

١ ـ النساء: ٥٩.

٢ ـ المائدة: ٥٥.

السلام المعروفون بالوصية والامامة، لا تخلو الارض من حجّة منهم في كل عصر وزمان، وفي كل وقت وأوآن، وهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الارض ومن عليها، وكل من خالفهم ضال مضل تارك للحق والهدى، وهم المعبرون عن القرآن والناطقون عن الرسول ﷺ، من مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية، ودينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد وأداء الامانة إلى البر والفاجر وطول السجود وقيام الليل واجتناب المحارم وانتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار[1].

٢٣ـ الصدوق عن أبيه قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحكم بن مسكين الثقفي، عن صالح بن عقبة، عن جعفر ابن محمد عليه السلام قال: لمّا هلك أبو بكر واستخلف عمر، رجع إلى المسجد، فقعد فدخل عليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين اني رجل من اليهود وأنا علّامتهم وقد أردت أن اسئلك عن مسائل إنْ أجبتني فيها أسلمت، قال: ما هي؟ قال: ثلاث وثلاث وواحدة، فان شئت سألتك وإن كان في قومك أحد اعلم منك فارشدني إليه، قال: عليك بذلك الشاب يعني علي بن أبي طالب عليه السلام. فأتىٰ علياً عليه السلام فسأله، فقال له: لم قلت ثلاثاً وثلاثاً وواحدة، ألا قلت سبعاً.

قال: أنا إذاً جاهل إن لم تجبني في الثلاث اكتفيت، قال: فإن اجبتك تُسلم؟

قال: نعم. قال: سل. قال: أسئلك عن أول حَجَرٍ وضع على وجه الارض؟

واوّل عين نبعت؟

واوّل شجرة نبتت؟

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٥٥.

قال: يا يهودي: أنتم تقولون ان أول حجر وضع على وجه الارض الحجر الذي في بيت المقدس، وكذبتم هو الحجر الذي نزل به آدم من الجنة.

قال: صدقت والله انه بخط هارون واملاء موسى.

قال: وأنتم تقولون: إن اوّل عين نبعت على وجه الارض العين التي في بيت المقدس وكذبتم، هي عين الحياة التي غسل فيها يوشع بن نون السمكة، وهي العين التي شرب منها الخضر، وليس يشرب منها أحد إلّا حي.

قال: صدقت والله انه لبخط هارون واملاء موسى.

قال: وأنتم تقولون إن اوّل شجرة نبعت على وجه الارض الزيتون وكذبتم، هي العجوة[1] التي نزل بها آدم عليه السلام من الجنة معه.

قال: صدقت والله انه لبخط هارون وإملاء موسى.

قال: والثلاث الاخرى: كم لهذه الامّة من امام هدى لا يضرّهم من خذلهم؟

قال: اثنا عشر اماماً.

قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى إلىٰ آخر الحديث[2].

---

١ ـ العَجوة نوع من التمر الجيد بالمدينة.

٢ ـ وتكملة الخبر... قال: فأين يسكن نبيّكم في الجنّة؟ قال: في أعلاها درجة واشرفها مكاناً، في جنات عدن.

قال: صدقت والله انه بخط هارون واملاء موسى.

قال: فمن ينزل معه في منزله؟

قال: اثني عشر اماماً.

قال: صدقت والله انه بخط هارون واملاء موسى.

ثم قال: السابعة فاسألك كم يعيش وصيّه بعده؟

⇐

عن الإمام الجواد عليه السلام :

٢٤ ـ الصدوق بسنده عن علي بن عاصم، عن محمد بن علي بن موسى الجواد عليه السلام، عن أبيه علي بن موسى (الرضا) عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر (الكاظم) عليه السلام، عن أبيه جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام، عن أبيه محمد بن علي (الباقر) عليه السلام، عن أبيه علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والارضين.

قال له أُبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والارضين أحدٌ غيرك؟

قال: يا أُبي والذي بعثني بالحق نبياً ان الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الارض، وانه لمكتوب عن يمين عرش الله عزّوجلّ: (مصباح هدى وسفينة نجاة، وإمام خير ويُمن وعز وفخر وعلم وذخر)، وان الله عزّوجلّ ركّب في صلبه نطفة طيبة مباركة زكية ... الخ.

أقول: والحديث طويل يذكر فيه الرسول صلى الله عليه وآله لأبي الأئمة واحداً بعد واحدٍ ويذكر لكل واحد منهم دعاءه المأثور.

⇐ قال: ثلاثين سنة.

قال: ثم ماذا؟ يموت أو يقتل؟

قال: يقتل ويضرب على قرنه فتخضّب لحيته.

قال: صدقت والله إنه بخط هارون واملاء موسى.

قال الصدوق رحمه الله: ولهذا الحديث طرق آخر قد اخرجتها في كتاب كمال الدين وتمام النعمة في اثبات الغيبة وكشف الحيرة.

عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٥٤.

الذي إذا دُعي به استجاب له الله سبحانه وقضىٰ له حاجته كما ان الرسول ﷺ يذكر صفات لكل إمام منهم ومنزلته عند الله سبحانه، وهكذا يتسلسل في ذكر كل واحد فيهم بتقديم عبارة:

(وان الله تبارك وتعالى ركب في صلبه نطفة وسمّاها عند...) فمن أراد التفصيل فليرجع إلى المصدر[1].

هذا مجمل الدليل الثالث من المبحث الثالث وسنوافيك ببقيّة الادلة إن شاء الله.

نتابع في صحة نِسبة القصيدة الميمية للسيد ومعرفته بالائمة الاثني عشر:

الدليل الرابع:

نقل ابو الفرج وغيره: ان السيد كان يأتي إلى الاعمش فيسمع منه فضائل أمير المؤمنين ومناقبه وكان في الوقت ينظمها شعراً....

والاعمش من علماء الطائفة ومحدّثيها، عندما يروي شيئاً، إنما يروي كأحد أئمة الحديث، وحافظ وفقيه ثبت. وكانت تجلّه علماء السنة.

إذن مَن هو الاعمش الذي أخذ عنه الحميري؟

الأعمش؛ هو سليمان بن مهران الاسدي ٦٠ـ١٤٨ هـ:

ذكر الحافظ جمال الدين يوسف المزّي المتوفّىٰ سنة ٧٤٢ هـ في ترجمة الاعمش ـ وهي مفصّلة ـ اسماء الصحابة والتابعين الذين أخذ عنهم الاعمش، وهم كثيرون جداً حتى بلغت مرويّاته أكثر من عشرة آلاف حديث.

وهكذا روىٰ عن الاعمش جمع غفير جداً من كافة الطبقات والمذاهب

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٥٩ ـ ٦٤.

والفرق والمِلل، وقد استقصىٰ المؤلّف في كتابه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) اسماء من رووا عنه، فأفاد وأجاد.

ثم ذكر آراء علماء المذاهب ومن ترجم للاعمش ونحن نذكر جملة من تلك الاقوال:

قال البخاري، عن عليّ بن المديني: له نحو ألف وثلاثمائة حديث.

وقال علي بن المدينيّ: حفِظ العلم علىٰ امّة محمد ﷺ ستة: فلأهل مكّة عمرو بن دينار، ولأهل المدينة ابن شهاب الزُهري، ولأهل الكوفة ابو اسحاق السَّبيعي وسليمان بن مِهران الاعمش، ولأهل البصرة يحيىٰ بن أبي كثير ناقلة وقتادة.

وقال عباس الدّوري، عن سهل بن حَليمة: سمعت ابن عُيينة يقول: سبق الاعمش أصحابه بأربع خصال: كان اقرأهم للقرآن، وأحفظهم للحديث، واعلمهم بالفرائض....

وقال هُشَيْم: ما رأيت بالكوفة أحداً كان اقرأ لكتاب الله من الاعمش.

وقال أبوبكر عيّاش، عن مغيرة: لمّا مات ابراهيم اختلفنا إلى الاعمش في الفرائض.

وقال زهير بن معاوية: ما أدركت أحداً أعقل من الاعمش ومغيرة.

وقال يحيىٰ بن معين: كان جرير إذا حدّث عن الاعمش قال: هذا الدّيباج الخسرواني.

وقال اسحاق بن راشد: قال لي الزُّهري: وبالعراق أحد يحدّث؟ قلت: نعم هل لك ان آتيك بحديث بعضهم؟

فقال لي: نعم.

فجئته بحديث الاعمش فجعل ينظر فيها[1] ويقول:

ما ظننت إن بالعراق من يحدّث مثل هذا. قلتُ وأزيدك: هو من مواليهم.

وقال محمد بن عبد الله بن عمّار الموصلي: ليس في المحدّثين اثبت من الاعمش و....

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ثقة ثبتاً في الحديث، وكان محدِّث أهل الكوفة في زمانه، يقال إنه ظهر له أربعة آلاف حديث ولم يكن له كتاب وكان يقرأ القرآن رأسَ فيه.

وقال محمد بن داود الحُدَّاني، عن عيسىٰ بن يونس:

لم نَر نحن ولا القرن الذين كانوا قبلنا مثل الاعمش وما رأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الاعمش مع فقره وحاجته.

وقال ابراهيم بن محمد بن عَرْعَرة: سمِعتُ يحيىٰ القطّان إذا ذُكر الاعمش قال: كان من النسّاك، وكان محافظاً على الصلاة في جماعة وعلى الصف الأول وهو علّامةُ الاسلام.

وقال عبد الله بن داود: مات الاعمش يوم مات وما خلّف أحداً من الناس أعبد منه، وكان صاحِب سُنّة.

وقال محمد بن خلف التميميّ، عن أبي بكر بن عياش كنّا نسمّي الاعمش سيد المحدِّثين.

وقال الحافظ بن حجر: وحكي عن ابن معين أنه قال: أجود الاسانيد الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله.

فقال له انسان: الاعمش مثل الزهري.

---

١ ـ فيها: أي في أحاديثه.

فقال: برئت من الاعمش أن يكون مثل الزهري، الزهري يرىٰ العرض والاجازة، ويعمل لبني اميّة، والاعمش فقير صبور مجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن[١].

وقال اسحاق بن منصور: عن يحيىٰ بن معين: الاعمش ثقةٌ.

وقال النسائي: ثِقة ثبتٌ[٢].

وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه واثنىٰ عليه كثيراً وقال عنه: كان محدّث أهل الكوفة في زمانه يقال انه ظهر له أربعة آلاف حديث ولم يكن له كتاب.

وكان من اقرأ الناس للقرآن واعرفهم بالفرائض وأحفظهم للحديث.

كما ذكره ابن خلكان فقال: انه كان ثقة عالماً فاضلاً[٣].

ثم ذكر جملة من أخباره ونوادره وحسن أخلاقه ومزاحه[٤].

---

١ ـ تهذيب التهذيب ٤/١٩٧.

٢ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ يوسف المزّي ٨/١٠٦ ـ ١١٤.

٣ ـ تاريخ بغداد ٩/٣ ـ ١٣.

٤ ـ وفيات الاعيان ٢/٤٠٠.

المبحث الرابع
توبة السيد وانقطاعه عن الشراب

نقل الخطيب رواية ابن الساحر ليضرب بها جميع العصافير بحجر واحد، ومفاد الرواية هو كون السيد مات ولم يرجع عن كيسانيّته، وكان يشرب النبيذ، وانه مات قبل الإمام الصادق عليه السلام.

وكل ذلك لا يثبت امام الادلة القطعية التي سنوردها.

وقد تقدم منا في معالجة عقيدة الشاعر انه مات امامياً إثنَي عشرياً وشعره حجّة على الجميع.

وهكذا اثبتنا بالأدلة الشافية والحجج القطعية ان وفاة السيد متأخرة عن وفاة الإمام الصادق عليه السلام وقد عاش السيد إلى زمن هارون الرشيد.

اذن حديثنا في هذه الفقرة عن دين الشاعر، فنقول: إلى أي حدٍ كان السيد متهاوناً في أمر الدين؟ وهل كان يشرب النبيذ، حتى بعد توبته كما نسجته رواية اسماعيل بن الساحر؟!

أقول: رواية ابن الساحر مردودة، لتظمّنها مجموعة من الاكاذيب، وللادلة الآتية:

أوّلاً: إن ادنى فرد من المؤمنين لا يجرأ ان يتعدّى حدود الشرع، فكيف بالسيد الحميري العالم المحدّث الثقة يتهاون فيرتكب هذا المحرّم، وخاصة في النصف الثاني من عمره؟!

ثانياً: ان شربه للنبيذ إنما كان ذلك منه في ايّام فتوّته، وهو على مذهبه السقيم ومعتقده في الكيسانية، وشأنه كبقية شعراء عصره.

ثالثاً: لقد ثبتت توبته على يد الإمام الصادق لمّا اعلن الشاعر هذه التوبة من خلال كلامه الصريح وشعره المزبور في الكتب، من ذلك قوله:

❊ تجعفرت باسم الله والله أكبر ❊

وقوله:

❊ أيا راكباً نحو المدينة جَسرة ❊

وقوله:

❊ أحب الذي من مات من أهل ودّه ❊

وقوله:

على آل الرسول واقربيه سلام كلّما سجع الحَمامُ

رابعاً: إن ترحم الإمام الصادق عليه السلام عليه مرّات عديدة وكتاب السيد إلى الإمام يعرّفه توبته لخير دال على برآءته.

خامساً: ولو كان حقاً عاكفاً على الشراب حتى أواخر عمره لذكر ذلك في شعره ولتغنّى به وبمجالسه....

قال الدكتور شوقي ضيف: ويقال إنه كان يعكف على الخمر، وليس له فيها اشعار مذكورة.

كلمة (يقال) تدل على التضعيف...

ثم قال:

وفي الحق أنه عاش للتشيّع ينفق فيه أيامه وقصيده، وكان يعرف كيف يوازن بين جزالته وعذوبته، مع الرونق والحلاوة، ولعل ذلك ما جعلته يتحامى

فيه الغريب واللفظ الآبد، حتى يلذّ الاسماع والافئدة وحتى يسير على الشفاه والألسنة، وما زال هذا دأبه حتى توفي سنة ١٧٣ للهجرة[١].

سادساً: التناقض والخبط في روايات اسماعيل بن الساحر:

روايات السكر جاءت عن طريق اسماعيل بن الساحر؛ وأبو الفرج هو المصدر الاوّل في نقلها.

وقد جاء التناقض في قول اسماعيل في خبرين متتالين في الاغاني.

الخبر الاول: قال اسماعيل: فلمّا قدمنا الاهواز قدم السيد وقد سكر، فأتي به أبا بجير بن سماك الاسدي وكان ابن النجاشي عند ابن سماك بعد العشاء الآخرة وكان يعرفه باسمه ولم يعرفه. فقال له: يا شيخ السوء تخرج سكران هذا الوقت، لأُحسِنَنّ أدبك... إلى آخر الخبر.

الخبر الثاني: وهو يلي الخبر الاوّل مباشرة: قال اسماعيل: رأىٰ أبوبجير السيد متغيّر اللون، فسأله عن حاله؛ فقال: فقدتُ الشراب الذي الفته لكراهة الامير ايّاه؛ قال: فاشربه فإننا نحتمله لك.

قال: ليس عندي.

قال لكاتبه: اكتب له بمائتي دورق ميبختج... إلى آخر الخبر وكلاهما في الاغاني ٧/٢٧٤ و٢٧٥.

هكذا ورد في الاغاني ولا ندري أيّ الخبرين كان اسماعيل بن الساحر صادقاً فيه! وان أبابجير بن سماك هو واحد لا غير وهو صديق السيد[٢].

---

١ ـ تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، للدكتور ضيف، ص ٣١٤ ط ٦ دار المعارف بمصر.

٢ ـ كما صرّح بذلك أبو الفرج فقال: وروى ابو سليمان الناجي: ان السيد قدم الاهواز وأبو بجير بن سماك الاسدي يتولّاها وكان له صديقاً.. الاغاني ٧/٢٦٧.

ان أبا بجير في الخبر الاول يغضب على السيد ويخاطبه بقوله: يا شيخ السوء تخرج سكران ... لأحسنَنّ أدبك ....

وان أبا بجير في الخبر الثاني يأمر كاتبه أن يشتري للسيد مائتي دورق نبيذ ... لانه تركه وقد اضرّ به ... وان السيد يترك الشراب خوفاً من صديقه أبي بجير ولا يخاف من ربّه ... هل يحتاج المقام الى توضيح أكثر من هذا التناقض والكذب الصريح ... ان حبل الكذب لقصير، ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ.

سابعاً: شهادة جعفر بن عفّان الطائي، وكان من كبار الشعراء، ومن أصحاب الامام جعفر الصادق عليه السلام؛ شهد بحق الشاعر، وقد تقدّم نقد السيد لجعفر في قوله:

ما بال بيتكم يخرّب سقفه وثيابكم من أرذل الاثواب

حيث أبان السيد مواطن الضعف في هكذا وصف.

فقال فيه جعفر: أنت والله الرأس يا أبا هاشم ونحن الاذناب ....

ثم قال: وبالجملة فلا شكّ يدخل في غاية جلالته وعظم رتبته وخلوص عقيدته، وكونه من التائبين إلى الله، الراجعين إلى أهل بيت الرسالة والباذلين دون محبّتهم نفسه[1].

خلاصة الأدلة المتقدمة:

ان رواية ابن الساحر ـ بما فيها من الاكاذيب وقد عرفتها ـ ساقطة من الاعتبار للادلة المتقدمة.

فالحجة قائمة على ان الشاعر اثنا عشري المذهب.

---

١ ـ روضات الجنات ١/١٠٦.

والحجة قائمة على ان الشاعر تاب إلى الله من ذنوبه عند الإمام الصادق عليه السلام.

والحجة قائمة على أن الإمام ترحّم على السيد بعد توبته.

والحجة قائمة على ان الشاعر توفي زمن الرشيد أي بعد وفاة الإمام بأكثر من ربع قرن من الزمان.

وما رواية ابن الساحر في هذه المواضيع إلّا سحر مفتعل، ولم يفلح الساحر حيث أتىٰ.

أقول: ولا يستبعد ان هذه الرواية من مختلقات أبي الفرج وعصره، حيث عقّب على رواية ابن الساحر فقال: وقد روىٰ بعضُ من لم تصحّ روايته أنه رجع عن مذهبه[1].

نقول لابي الفرج وأنت العالم بالاخبار والرجال، مَنْ هذا الذي لم تصح روايته عندك؟

ولماذا لم يذكر في بقية الاخبار؟

وما هي الطعون الواردة على ذلك الراوي؟

وأي المصادر المعتمدة في ردّ هذا البعض؟

و... و...

ثامناً: اقرار اسماعيل بن الساحر على نفسه بالفسق:

روىٰ أبو الفرج الاصبهاني عن أبي جعفر الاعرج قال: حدّثني اسماعيل بن الساحر قال: خرجتُ من منزل نصر بن مسعود، أنا وكاتب عقبه بن سَلْم

١ـ الاغاني ٢٧١/٧.

والسيد ونحن سكارى ... إلى آخر الخبر[1].

أقول: ان شهادة الراوي ـ ابن الساحر ـ على نفسه بالفسق والسكر ثابتة بالإقرار. واقرار العقلاء على انفسهم حجّة وجائز.

لكن شهادة الفاسق على الغير تُردّ شرعاً وقانوناً لفسقه.

تاسعاً: هناك مناوؤن للسيد وسعاة الشر، حرصوا جاهدين ان يوقعوا بالسيد، مما صاغوا هكذا رواية لاسقاط الشاعر في أعين الشيعة وأئمة أهل البيت عليهم السلام، من جهة، وللانتقام من السيد بتعريضه إلىٰ سخط الحاكم وعقوبته من جهة أخرى. وإليك طرفاً من أخبار بعض المناوئين والسعي به إلى السلطان:

المناوؤن للسيد:

سوّار يفتعل قضية ليأخذ بها السيد.

روىٰ ابن وكيع عن اسحاق بن محمد، قال: حدّثني أبو عثمان المازني، عن الحرمازي، عن الحارث بن صفوان، قال: قال السيد: غاظ سوّار بن عبد الله جودة شعري في قصيدة قلتها فقال: اطلبوا عليه شهادة بغير هذا لجناية في مال، أو دفع حق؛ فاني رأيت هذا وأشار إلى أبي جعفر يدفع عنه لمثله إلى بني هاشم فأنشدت أقول:

يالقوم لشوهة الاشرار ... ولأمر بداه من سوّار

قاضي العدل في الحساب لدىٰ ... الناس وتقويم حكمة الأثار

جار في حكمهم علىّ جهارا ... في شهود تعمدوا أوزاري

حاد عن دينه ليبلغ منّي ... لده والله لي خير جار

---

١ ـ الاغاني ٧/٢٧١.

قال يا قومي فاطلبوا لي شهوداً يشهدون الغداة عندي بعار
فاقدّمه للحكومة اقطعـ ـه فيا لذتي ظفرت بثاري[1]

إلى آخر الابيات....

جاء في أخبار القضاة[2] لمحمد بن خلف بن حيّان المعروف بوكيع المتوفىٰ سنة ٣٠٦ هـ وهو متقدّم على أبي الفرج قال المصنف: حدّثني اسحق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي، قال: حدّثني معاذ بن سعيد الحصري، قال: شهد السيد عند سوّار بشهادة، فقال له: الست اسماعيل بن محمد الذي يعرف بالسيد؟

قال: نعم:

قال: قم يا رافضي.

قال: والله ما شهدتُ إلّا بحق... الخ.

ففي هذه الرواية ليس للسيد ذنب إلّا لانّه محبّ لاهل البيت عليهم السلام والمحب عند سوّار رافضي.

وفيه أيضاً بسنده عن الهيثم بن واقد، قال: شهد السيد عند سوّار بشهادة. فقال له سوّار: تتجرأ تشهد عندي وأنا أعرف عداوتك السّلف؟

فقال السيد: أعاذني الله من ذلك وإنما هو شيء لزمني، ثم نهض فقال:

وما تُغني الشهادة عند وغد جَهول بالحكومة والخصام
له بالمصر أعوام تباعاً تمام العشر أو فوق التمام
وما أجدى على أحد بخير ولا فصل القضاء بالانفصال

---

١ ـ أخبار القضاة ص٧٦ ط عالم الكتاب بيروت.

٢ ـ أخبار القضاة ص ٧٠.

إذا حـضر الخصوم يَغُضُّ طرفاً وشـيَّحَ وجـهَه فـعلَ اللـئام
سـموع للـخصوم إذا لقـوه ولا يـقضي بـحق فـي الذمـام
جـهول بـالقضاء حـليف بـول وكـور للأثـام وللـحرام
إذا لم يـقض بـين الخصم يـوماً وبـين مـخاصميه مـن الأنـام
فـلم يأخـذ عـطا المنصور فـيه عـطاء مـن عـطاياه العـظام
واجزل فـي الذي يـقضى عـلى مـا فعلت الضرب بالسيف الحسام[1]

وفي هذه الرواية المتقدمة كما عرفت ليس للشـاعر ذنب إلّا لانـه يسب السلف كطلحة والزبير، انهم من السلف الصالح الذي يحترمهم سوّار واضـرابـه وهكذا عندهم معاوية وابنه يزيد ...، هذا منطق المنحرفين وأهل العناد.

عبد الله بن إباض:

بلغ السيد الحميري أن عبد الله بن إباض كان يَعيبُ على أمير المؤمنين عليه السلام ويتهدّد السيد بأنه يذكره عند المنصور بما يوجب القتل، وكان ابن إباض يـظهر التسنّن ويكتم مذهب الإباضية فكتب إليه السيد قصيدته الميمية:

* لِمَنْ طللٌ كالوشمِ لم يتكلّم *

قال المرزباني: فلمّا وصلت ابن إباض امتعض منها جـداً، وأجـلب فـي أصحابه وسعىٰ به إلى الفقهاء والقرّاء فاجتمعوا وصاروا إلى المنصور وهو بدجلة البصرة، فرفعوا قصّته فأحضرهم وأحضر السيد، فسألهم عن دعواهم فقالوا: انه يشتم السلف، ويقول بالرجعة، ولا يرى لك ولا لأهلك امامة.

فقال لهم: دعوني أنا وأقصدوا لما في أنفسكم.

---

١ ـ اخبار القضاة لابن وكيع ص ٧٣.

ثم أقبل على السيد فقال: ما تقول فيما يقولون؟

فقال: ما اشتم أحداً، واني لأترحّم على أصحاب رسول الله وهذا ابن إباض قل له يترحّم علىٰ عليّ وعثمان وطلحة والزبير.

فقال له: ترحّم على هؤلاء.

فتولّىٰ ساعة، فحذفه المنصور بعود كان بين يديه، وأمر بحبسه فمات في الحبس، أقول: وذكرنا القصة فيما سبق في الفصل الاول، فراجع.

ابن سليمان العباسي؛ (محمد) أو (جعفر):

قال الحسن بن علي بن المغيرة حدّثني أبي قال: كنت مع السيد على باب عُقبه بن مسلم ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ ننتظره وقد أُسرج له ليركب، إذ قال ابنُ سليمان بن علي يُعرِّض بالسيد: أشعر الناس والله الذي يقول:

محمد خيرُ من يمشي على قدمٍ وصاحباه وعثمانُ بن عفّانا

فوثب السيد وقال: اشعر والله منه الذي يقول:

سائل قريشاً من كنت ذاعَمَهٍ من كان اثبتها في الدين اوتادا

من كان اعلمها عِلماً واحلمها حلماً واصدقها قولاً وميعاداً

إن يصدُقُوك فلن يَغدُوا أبا حسنٍ إن أنت لم تلق للابرار حُسّادا

ثم اقبل علىٰ الهاشمي ـ العباسي ـ فقال: يا فتى، نعم الخلف أنت لشرف سلفك! أراك تهدِم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضّل من ليس أصلُك من أصله على مَنْ فضلُك من فضله، وسأُخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك.

فوثب الفتى خجلاً ولم ينتظر عُقبةَ بن مسلم ...[١].

أقول: وسليمان هو بن علي بن عبد الله بن العبّاس، عم أبي جعفر المنصور، ولّي البصرة وعمان والبحرين، وتوفّي بالبصرة سنة اثنتين واربعين ومائة.

وكان له ابن[٢] عثماني الهوىٰ ويطعن على السيد، وقد فضّل الشيخين على أمير المؤمنين كما ذهب إلى ان اشعر الناس الذي يقول:

❊ محمد خيرُ من يمشي على قدم ❊

أبو الخلّال العتكي:

عن عبد الله بن أبي بكر العتكي[٣] قال: أن أبا الخلّال العتكي دخل على عقبة بن مسلم والسيد عنده وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخلّال شيخ العشيرة وكبيرها، فقال له: ايّها الأمير أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يَفتُر عن سبّ أبي بكر وعمر!

فقال له عقبة: ما علمت ذاك ولا اعطيته إلّا على العشرة والمودّة القديمة، وما يُوجبه حقّه وجواره، مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حقّهم ورعايتهم.

فقال له أبو الخلّال: فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبابكر وعمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض.

فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل، فقال السيد:

---

١ ـ الاغاني ٢٦٦/٧.

٢ ـ يحتمل هو محمد بن سليمان أو جعفر.

٣ ـ الاغاني ٢٦٣/٧.

إذا أنـا لم احـفظ وصـاة مـحمد ولا عـهده يـوم الغـدير المـؤكّدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهدىٰ تـنصّر مـن بـعد التـقىٰ وتـهوّدا

إلى آخر الابيات[1].

الاصمعي:

أبو الفرج عن التوّزي[2] قال: رأىٰ الاصمعي جزءاً فيه من شـعر السـيد، فقال: لمن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بـما عـنده فـيه، فأقسـم عـليّ أن أخـبره فاخبرته، فقال: أنشدني قصيدة منه، فانشدته قصيدة ثم أخرىٰ وهو يستزيدني، ثم قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لو لا مذهبه ما في شعره ما قـدّمت عليه أحداً من طبقته[3]، وقد مرّ تحت عنوان ما قيل فيه.

ومن أعداء الشاعر: **البصريون**، وكانوا يومئذٍ عـثمانيين يـبغضون عـلياً ومحبّيه:

روىٰ المرزباني باسناده عن ابن أبي حردان قال: حضرت السيد بـبغداد عند موته فقال لغلام له:

إذا متّ فأتِ مجمع البصريين واعلمهم بموتي وما أظنّه يـجيء مـنهم إلّا رجل أو رجلان، ثم اذهب إلى مجمع الكوفيين فاعلمهم بموتي وانشدهم:

❊ يا أهل كوفان إني وامق لكم ❊

فلمّا مات فعل الغلام ذلك، فما أتي من البصريين إلّا ثلاثة مـعهم ثـلاثة

---

١ ـ انظر: بقية الابيات في ص ٢٧٢.
٢ ـ لم يكن التوّزي متشيّعاً، الاغاني ٢٣٩/٧.
٣ ـ الاغاني ٢٣٢/٧.

اكفان وعطر، وأتى من الكوفيين خلق عظيم معهم سبعون كفناً[١].

وفي رواية الاغاني عن بشير بن عمّار قال: حضرت وفاة السيد في الرميلة ببغداد، فوجّه رسولاً إلى صفّ الجزّارين الكوفيّين يعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب إلى صفّ السموسين[٢] فشتموه ولعنوه فعلم انه قد غلط فعاد إلى الكوفيين ... الخ[٣].

يتضح من الخبرين ان البصريين آنذاك لم يأنسوا بالسيد، بل كانوا يُبغضونه ويشتمونه ويلعنونه، لانهم كانوا عثمانيين في هواهم وقد هجاهم السيد لمّا خرجوا يستسقون فقال:

اهبط إلى الارض فخذ جلمدا ثم ارمهم يا مزن بالجلمدِ

لا تسقهم من سبل قطرة فإنهم حرب بني أحمدِ

---

١ ـ أخبار السيد للمرزباني ص١٦٩، اقول: وقد ذكرنا تفصيل وفاة الشاعر في ص١٦٩ فراجع.

٢ ـ في تجريد الاغاني: السنوسين كما أورد بدل الجزارين الخرّازين. وقد تقدم ان كلمة سنوسين أو سموسين انها محرّفة، والاصل محلة تسمّى (بين السورين).

٣ ـ الاغاني ٢٧٨/٧.

المبحث الخامس
السيّد والجنبة القصصيّة في شعره

تعرّض الدكتور طه حسين في كتابيه حديث الاربعاء، ومن تاريخ الادب العربي إلى شعر السيد الحميري بالنقد والتشنيع، لاصقاً بالشاعر شتىٰ التهم والنقائص مردداً في قوله كلمات ابن حزم وأبي الفرج الاصبهاني فقال:

(فليس غريباً أن نرى السيد الحميري يمدح بني العباس، ويتقرب اليهم، مع أنه كان من غُلاة العلويين الذين اسرفوا في علويتهم، حتى تجاوزوا بها كل حد... ولكن رفضه وغلوّه بغّضا شعره إلى الناس، وحملهم على أن يُعرضوا عنه الإعراض كلّه)[1].

ويذهب إلىٰ أن سبب اعراض الناس عن شعر السيد يعود إلىٰ أحد السببين؛ إمّا لأنهم كانوا يكرهون أن يرووا شتم أبي بكر وعمر... وإما لأنهم كانوا يخشون السلطان[2].

أقول: والعجيب من هذا البعض أنْ يتهم الشاعر بالغلو في الوقت الذي حرص السيد ان يذم الغلاة، والسبئية بالخصوص فقال رحمه الله:

قومُ غَلَوا في عليٍّ لا أبالهم واجْسَمُوا أنفُساً في حبِّه تَعَبَا

---

١ و ٢ ـ من تاريخ الادب العربي، د. طه حسين ٣١٥/٢ ط دار العلم للملايين، بيروت.

وقد كرر المؤلف هذه العبارات بل البحث بكامله في كتابه حديث الاربعاء ٢٤١/٢.

قـــالوا هــو الله ، جــلَّ الله خــالقُنا من أن يكون ابنَ شيء أو يكون أبا[١]

ومن هذا البعض كما عرفت طه حسين والدكتور حميدة والخطيب كما مر وابن عبد ربه الاندلسي؛ وقد ناقض الاخير نفسه في نفس الصفحة من كتابه فبعدما اتهمه بالغلو أورد له تلك الابيات الآنفة الذكر، وهي صريحة في معتقد السيد، بل وخير دليل في الرد على ابن عبد ربّه ومن شايعه كابن حزم وهكذا بعض المتأخرين.

ثم هذا التشنيع من الدكتور طه حسين انّما هو صدىٰ لمقولات صاحب الاغاني في السيد حيث قال:

(وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعنِ عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجره الناس تخوّفاً وتراقُبا. وله طراز من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلحق فيه أو يقاربه. ولا يعرف له من الشعر كثير، وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدّ لهم...)[٢].

من هذا النص والذي سبقه نعرف بوضوح مدى اتّحاد كلام طه حسين مع كلام الاصبهاني، وكلاهما يؤكّدان على ان الناس هجروا الشاعر وشعره تخوّفاً من السلطان وتراقباً.

وعلى هذا الوتر يعزف الآخرون. وعلينا أن نسأل من معالي الدكتور: وأي غلو وجدته عند السيد؟

---

١ ـ العقد الفريد ٤٠٥/٢ ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣. عيون الاخبار لابن قتيبة ١٤٩/٢ هامش رقم ١.

٢ ـ الاغاني ٢٣٠/٧.

ـ عقيدته في الكيسانية ... ؟ فقد رجع عنها ...

ـ حبّه لأهل البيت ... ؟ فذلك بمحكم القرآن والسنّة الشريفة ، وان حبّهم ايمان وبغضهم كفر ونفاق .

ـ هجوه لمبغضي علي وابنائه ... ؟ فذاك فرع من الحب ، فلابد من تولّي علي وأهله الكرام ، والتبرّي من اعدائهم .

في أي واحدة من هذه يُعدّ غلواً ... ؟!

إذا كان الدكتور لم يَحِر جواباً لانه اصبح رميماً تذروه الرياح ، فما بال من اقتفىٰ أثره وردّد كلامه ، وهو يملأ الآفاق بصراخه ؟

وبمثل ذلك في (معجم الشعراء في تاريخ الطبري) للدكتور عزمي سكر . قال المصنّف وهو مقتفٍ اثر من سبقه :

(... ثم هو ـ السيد ـ يبالغ في معتقده ويتطرف فيناقض المنطق ويجافيه ، إذ يحصر الخير في آل البيت ويقف الشر على خصومهم ... ويحفل شعره بالاساطير الشيعية المتعدّدة ...)[1] .

ثم يواجهنا طه حسين بتهم أخرىٰ ألصقها بالسيد فيقول :

(ثم نستطيع أن نميّز هذا الشاعر بخصلة لم نرها في شاعر من الذين تحدّثنا عنهم قبل اليوم ، وهي أنه كان سخيفاً ضعيف العقل ، شديد الايمان بالخرافات والأوهام ، ويظهر أن هذه الخصلة جاءته من مذهبه نفسه في الرجعة ، فقد اسرف في هذا المذهب ، كما اسرف في مدح العلويين والايمان بهم ...)[2] .

وبمثل ذلك جرى قلم الدكتور (عبد الحسيب طه حميده) في معرض

---

١ ـ معجم الشعراء من تاريخ الطبري ص ٢٣٢ .

٢ ـ من تاريخ الادب العربي ، العصر العباسي الاول ٢/٣٢٢ ، بيروت .

كلامه حول السيد الحميري فنعته بشاعر الاساطير الشيعية[١].

وبمثل ذلك في معجم الشعراء من خلال الرواية التي نقلها أبو الفرج وآخرون وهي المنقبة التي ظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة عندما ذهب للوضوء فتوضّأ ولمّا همَّ ان يلبس الخف وإذا بغراب يرفع الخف إلى الجو فيسقط منه أسود (حيّة) وفي هذه المنقبة ينشد السيد قصيدته الغرّاء التي يقول فيها:

ألا يا قوم للعجب العجاب ... لخفّ أبي الحسين ولِلحُباب[٢]

عدو من غُداة الجن وغدُ ... بعيدُ في المراد من الصواب

أتىٰ خفّاً له وأنساب فيه ... لينهش رجله منه بناب

إلى آخر الابيات، وقد ذكرناها فيما تقدم.

وقد نظم في هذه الكرامة والمنقبة الجليلة عدّة شعراء منذ القرن الثاني الهجري وإلى يومنا هذا.

فمنهم الناشيء الصغير[٣] في المحبّرة في قصيدته (بآل محمد عرف الصواب) قال:

ومن في خفّه طرح الاعادي ... حُبابا كي يلبسه الحباب

فحين أراد لبس الخف وافىٰ ... يمانعه من الخف الغراب

فطار به وأوقعه وفيه ... حباب في الصعيد له انسياب

وفي هذه المنقبة قال ابن علّوية[٤] في المحبّرة[٥]:

---

١ ـ أدب الشيعة ص ٢٨٦.

٢ ـ الحُباب: الحيّة.

٣ ـ أبو الحسن، علي بن عبد الله بن وصيف البغدادي، فاضل متكلّم وامامي وشاعر مشهور ولد سنة ٢٧١ هـ وتوفي ٣٦٠ هـ يروي عن المبرد وابن المعتز.

٤ ـ هو أحمد بن علّويه الاصبهاني، كان لغوياً وأديباً وكاتباً وشاعراً نادم الامراء، وعمّر طويلاً. ادرك

وكقصة الافعىٰ التي في خفّه كمنت ومنها يصرف النابانِ
رقشاء تنفث بالسموم ضئيلة صمّاء عادية لها قرنانِ
لما تيمّم لبسه ألوى به في الجو منقضّ من الغربانِ
حتى إذا ارتفعت به وتصعّدت أهوى كمثل مكائد حرّانِ
فهوىٰ هوي الريح بين فروجه متقطعاً غلفاً على الصّوانِ

وفي هذه المنقبة قال الشريف الرضي[٦]:

أما في باب خيبر معجزات تصدق أو مناجات الحباب
ارادت كيده والله يأبىٰ فجاء النصر من قبل الغراب
فطار به فحلّق ثم أهوى يصكّ الارض من بعد السحاب[٧]

هكذا كانت هذه المنقبة ـ وبقية المناقب ـ لها دوّي في أوساط الكوفيين من شعراء ومحدّثين وفقهاء ومورّخين حتى ان أبا الفرج الاصبهاني على بغضه وعناده فقد ذكر عدّة روايات في هذه المنقبة[٨].

⇒ الإمام العسكري عليه السلام ولم يروِ عنه. كان صاحب لغة يتعاطى التأديب ثم تركه. توفي سنة ٣٢٠ هـ ونيف وقيل سنة ٣١٢ هـ وقد تجاوز المائة.

٥ ـ المحبّرة قصيدة ابن علويه المتقدم ذكره، وهي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وهي ثمانمائة ونيف وثلاثون بيتاً، وقد عرضت علىٰ أبي حاتم السجستاني فقال: يا أهل البصرة غلبكم والله شاعر اصفهان....

٦ ـ هو السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ينتهي نسبه إلى الامام موسى الكاظم عليه السلام وهو جده الخامس. وهو أخو الشريف المرتضى علم الهدى. كان السيد الرضي علماً من أعلام الطائفة في الفقه والأدب والورع وعفة النفس وعلو الهمّة والجلالة، من أشهر كتبه (المجازات النبوية) و(حقائق التنزيل). وقد جمع خطب أمير المؤمنين ورسائله وحكمه وكلماته القصار في كتاب سمّاه بـ(نهج البلاغة) توفي السيد الرضي ببغداد صباح يوم الاحد في السادس من محرم سنة ٤٠٦ هـ.

٧ ـ الطليعة من شعراء الشيعة للسماوي ١/١٣٣، ط ١ بيروت.

٨ ـ الاغاني ٧/٢٥٦ ـ ٢٥٨.

ولا يسعنا ان نردّ على الدكتور طه حسين والدكتور عبد الحسيب طه ومن نعق معهم بأكثر مما جاء في كتاب العلامة المتبحّر المرحوم السيد محمد تقي الحكيم في كتابه (شاعر العقيدة: السيد الحميري) فقد كفانا المؤنة، فلله درّه وعلى الله أجره.

امّا عبارات طه حسين الاخرى في السيد... انه ضعيف العقل، شديد الايمان بالخرافات والاوهام وامثالها....

نجد هذه النغمة تتكرر في ألحان العازف الجديد، ألا وهو الدكتور (عبد الحسيب طه حميده الازهري) وقد اخذها مع زميله المتقدم من كلمات أبي الفرج حيث قال:

كان السيد يأتي الاعمش فيكتب عنه فضائل علي عليه السلام ويقول في تلك المعاني شعراً، حتى صح لنا أن نسميه شاعر الاساطير الشيعية.

وينقد الازهري شاعرنا علىٰ قصيدته التي نظمها عندما سمع المحدثين يروون: ان الحسنين ركبا على ظهر النبي عند سجوده....

فيقول عبد الحسيب بالحرف الواحد (وهكذا يمضي السيد يتلقّف من القصّاص ورواة الاساطير الشيعية ما يخلعونه من كرامات وأخبار علىٰ علي وابنائه، فينظم فيها شعراً حتى كان أحد ثلاثة لم يبزّه شاعر جاهلي ولا اسلامي في كثرة الشعر وحتى اربت قصائده الهاشميات على ألفين وثلاثمائة قصيدة)[1].

يا للعجب، بل يا للعمىٰ من هذا الازهري فان كتب الصحاح والسنن هي التي روت خبر امتطاء الحسنين ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمثاله كثير فقد رواه:

١ ـ النسائي في الخصائص بسنده عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١ ـ أدب الشيعة للدكتور عبد الحسيب طه ص ٢٨٦.

٢ ـ والنسائي بسنده عن عبد الله بن شراد عن أبيه مثله في حمل الحسن.

٣ ـ وروىٰ الترمذي بسنده إلى ابن عباس.

٣ ـ ورواه الحافظ أبو نعيم.

٤ ـ وروى البراء بن عازب مثله في حمل الحسين.

٥ ـ وأخرجه الطبراني وابن عساكر في تاريخه، انظر: ترجمة الحسن والحسين من الكتاب المذكور.

وفي قول الرسول ﷺ: (نعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما) انظر: الجامع الكبير للسيوطي ١٠٦/٧.

٦ ـ وأخرجه الاصبهاني في اغانيه ٢٥٨/٧ ـ ٢٥٩.

ثم ان كتب الصحاح الستة ومسانيد أئمة المذاهب وكلّ من جمع أحاديث النبي ﷺ وسننه وسيرته قد افردوا باباً خاصاً في صحاحهم ومسانيدهم في فضائل ومناقب الحسنين وهكذا في فضائل ومعاجز جدّهم النبي ﷺ وامّهم فاطمة الزهراء عليها السلام وأبيهم أمير المؤمنين عليه السلام.

فاي شيء من هذه المعاجز والمناقب والفضائل يعدّها طه حسين وعبد الحسيب طه ومحمد الخطيب وأضرابهم، أيّ منها تُعد أساطير وخرافات وغلو ...؟!

وما شعر السيد الحميري إلّا في تلك المناقب والفضائل، فأي شيء ينكرون منها ؟!

ثم ألم تروِ كتب التفسير والحديث الآيات النازلة بحق أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وهكذا الآيات النازلة بحق أهل بيت العصمة عليهم السلام ؟!

وألم تروِ كتب السنن والاخبار مئات الاحاديث التي قالها النبي

الاكرم ﷺ بحق علي وأهل بيته الاطهار ؟!

إذاً هل من السخافات في نظر د. طه حسين وعبد الحسيب وابن حزم و...

الآيات النازلة بحق أمير المؤمنين عليه السلام مثل:

١ ـ آية ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ انظر تفسير الطبري ٧٢/١٣، تفسير البحر المحيط ٣٦٧/٥، شواهد التنزيل ٢٩٤/١.

٢ ـ أم الآيات النازلة بحقه: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُوراً﴾.

انظر: تفسير الكشاف ٢٩٧/٣ وتفسير الفخر الرازي ٢٤٤/٣ أسد الغابة ٥٣٠/٥، أساب النزول للواحدي ص٣٣١، نور الابصار ص٢٠١.

٣ ـ أم آية التطهير: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

انظر مصادر التفسير عند علماء الجمهور ناهيك عن المصادر الخاصة عند الامامية.

٤ ـ أم آية التصدّق بالخاتم ونزول قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

انظر: أسباب النزول ١٤٨، تفسير الفخر الرازي ٢٦/١٢، تفسير الكشاف ٤٦٨/١ و....

٥ ـ أم آية الانفاق ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾

وقد نزلت في الإمام عليه السلام.

انظر: الكشاف للزمخشري ٣٠١/١ وتفسير المنار ٩٢/٣.

٦ـ أم آية النجوى الذي نزلت في الإمام.

انظر تفسير الفخر الرازي ٣٧/٢٩ والكشاف ٢١١/٣.

٧ـ أم آية التبليغ وآية اتمام النعمة، وفي ذلك أبلغ النبي امّته والصحابة بولاية علي في غدير خم.

انظر مصادر علماء الجمهور من محدّثين ومفسّرين ومؤرخين، بالخصوص كتب الصحاح والخوارزمي في مناقبه والحموينى في فرائد السمطين وحسان بن ثابت في شعره:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالنبي مناديا

وابن حجر في اصابته ٥٠٩/٢ والخطيب البغدادي في تاريخه ٣٧٧/٧ و٤٩٠/١ و٢٣٦/٤ وأحمد بن حنبل في مسنده ١٥٢/١ و٣٦٨/٤ و٣٧٠ و٣٧٢ و٣٧٤/٥ والترمذي في جامعه ٢١٣/٢ والنسائي في خصائصه ص ٢٢.

بل عشرات المصادر لعلماء السنّة، ويكفينا عناءَ التفصيل ما كتبه المرحوم العلّامة الاميني في كتابه الغدير في أحد عشر مجلّداً... فراجع.

أم هل من السخافات أحاديث النبي في حق علي كحديث النبي عندما قال:

١ـ «أنا مدينة العلم وعلي بابها» انظر: أسد الغابة ٢٢/٤.

٢ـ أم حديث علي اقضاكم... عن أنس: انظر ذخائر العقبى ٨٣.

٣ـ أم حديث فتح حصون خيبر وقلع بابه، انظر: الكامل لابن الاثير ١٤٩/٢ وحياة محمد، لمحمد حسين هيكل ص ٣٨٨.

٤ ـ أم حديث الطائر المشوي الذي رواه أنس وروى عن أنس خمس وثلاثون صحابياً وتابعياً وقد احتج المأمون بهذا الحديث على جمهور علماء السنة انظر : العقد الفريد ٢/٤٠٥ و٥/٩٧.

٥ ـ أم حديث سد الابواب ومصادره من كتب الصحاح الستة انظر : الغدير ٣/١٧٦ ـ ١٨٣ ودلائل الصدق ٢/٢٦٠.

٦ ـ أم حديث المناجاة.

٧ ـ أم حديث ردّ الشمس ومصادره من كتب السنة انظر : الغدر ٢/١١٧ ـ ١٢٩.

٨ ـ أم مبيت الإمام على فراش النبي يوم هاجر ﷺ إلى مكة ونزول الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّـهِ ...﴾ انظر تفسير الرازي ٥/٢٢٣.

٩ ـ أم حديث المؤاخاة انظر : أسد الغابة ٤/٢٥ والعقد الفريد ٥/٩٩.

١٠ ـ أم حديث الراية وواقعة خيبر وفتح الحصوة على يد الإمام عليه السلام انظر : السيرة الحلبية ٣/٤٣، وسيرة ابن هشام ٣/٣٨٦ والكامل لابن الاثير ٢/١٤٩.

١١ ـ أم بطولة علي في واقعة الخندق وفرار الشيخين وبقية الصحابة من زئير بطل الاحزاب عمرو بن ود انظر : السيرة الحلبية ٢/٣٣٧ ـ ٣٤٢ وعيون الاثر لابن سيد الناس ٢/٦١ ونهاية الادب للنويري ١٧/١٧٣ ـ ١٨٣.

١٢ ـ أم حديث لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا علي عليه السلام انظر : ذخائر العقبى ص ٧٤ وكفاية الطالب ص ٤٤ و١٧٤ والرياض النظرة ٢/١٩٠، وميزان الاعتدال ٢/٣١٧ وتذكرة الخواص ص ٣٠ والبداية والنهاية ٧/٣٣٥.

١٣ ـ أم قول عمر بن الخطاب: «لو لا علي لهلك عمر» انظر: كفاية الطالب ٩٦ و٩٧ و١٩٢ والاصابة ٤/٢٧٠ وينابيع المودة ٧٥ وذخائر العقبى ٨٢.

١٤ ـ أم قول عائشة: «النظر في وجه علي عبادة» انظر: ذخائر العقبى ٩٥، الرياض النظرة ٢/٢١٩، الصواعق المحرقة ٧٣، شرح ابن أبي الحديد ٩/١٧١، حِلية الاولياء ٢/١٨٣، لسان الميزان ٦/١٧٨.

في هذه الموارد المتقدمة نظم السيد فيها شعره، فكلّ تلك الوقائع مسندة إلى القرآن أو إلى النبي ﷺ، وقد حفظتها صدور الصحابة، ووعتها قلوبهم ثم رووها إلى التابعين، والاجيال من بعدهم تناقلتها بكل أمانة....

فأيّ اسطورة أو خرافة في هذه الآيات أو تلك الأحاديث ؟! فلو تلطّف علينا أصحاب الاقلام المأجورة والعقول الواهية وأصحاب الافكار السقيمة ان يرشدونا إلى واحدة من تلك الخرافات أو الاساطير من بين تلك المناقب والمعاجز التي جرت على يد النبي ﷺ أو على يد أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم ان هؤلاء رضعوا من لبان اليهود والنصارى، فحقدهم على الاسلام وعلى نبيّه الاكرم وعلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما انفكّ إلى اليوم، وما برح هؤلاء يطيقون عظمة الاسلام ـ الذي تجلّىٰ في علي بن أبي طالب وفي ابطاله الاشاوس، ولكن لا وسيلة لهم إلّا أن يجنّدوا هكذا عقولاً وأقلاماً للطعن بهذه الشريعة الغرّاء من خلال أفكار بعض ابنائه الأُجراء.

ممّا تقدّم عرفنا حقيقة شعر السيد الحميري؛ انه في فضائل أمير المؤمنين ومناقبه، وقد عرفتَ قلوب اعدائه منذ صدر الاسلام إلىٰ اليوم كيف تغلي كغلي المرجل حقداً وبغضاً، وإلّا أي خرافة أو اسطورة في شعر السيد ؟!

هذا بعض الذي أردنا تسجيله تعقيباً على أقوال الدكتور طه حسين،

والدكتور عبد الحسيب طه، ومحمد الخطيب ومن ضارعهم، راجين من الله سبحانه قبول الاعمال وشفاء الصدور بما تيسّر لنا من الدليل المنقول والمأثور، والحمد لله.

المحتويات

المقدمة..... ٥

تمهيد..... ١١

العصر السياسي والعصر الأدبي..... ١٤

الحياة السياسية في العصر العباسي الأوّل..... ١٩

بدء الدعوة للعباسيين..... ١٩

كشف النقاب عن جذور المؤامرة:..... ٢١

فماذا حدث؟..... ٢٣

نشاط الخوارج في العصر الأموي والعباسي..... ٢٩

عقائد الخوارج..... ٣٣

أشهر خطباء الخوارج..... ٣٤

نساء خارجيات..... ٣٤

أشهر شعراء الخوارج..... ٣٤

العلويون وحركتهم السياسية ضد العباسيين..... ٣٦

أيّام السفّاح والمنصور..... ٣٨

من جنايات المنصور..... ٤١

ومن جرائم الرشيد:..... ٤٣

أيام المهدي..... ٤٤

أيام الهادي..... ٤٤

أيام الرشيد..... ٤٤

أيام المأمون ٤٨
أيام المعتصم ٤٩
أيام المتوكل الذي كرب قبر الحسين عليه السلام وأجرى الماء عليه ٤٩
أيام المستعين ٥٠
أيام المعتز ٥١
حكومة ابن المعتز ٥١
أيام المهتدي ٥٤
أيام المعتمد ٥٥
أيام المعتضد ٥٦
أيام المكتفي ٥٧
أيام المقتدر ٥٧
الحياة السياسية ٦٢
أوّلاً: نفوذ الأتراك ٦٢
ثانياً: الأحداث السياسية ونفوذ الخدم وتقلب الوزارة ٦٥
ثالثاً: سيطرة الرقيق على الادارة العباسية ٧٤
رابعاً: سيطرة النساء على البلاط والأموال ٧٥
خامساً: نشوب الثورات ٧٦
حالة الترف في العصر العباسي ٨١
الحالة العقلية في العصر العباسي ٨٤
ومسألة خلق القرآن ٨٤
الحياة الإجتماعية في العصر العباسي ٨٦
النظام الإداري في الدولة العباسية ٩٩

الفصل الأوّل

السيد الحميري، حياته الأولى

السيّد الحميري ١٠٥ ـ ١٧٥ هـ ١٠٥
اسمه ونشأته: ١٠٥
شاعريته: ١٠٧
الجانب النقدي عند السيد الحميري: ١١٤
وهكذا تعرّض السيد بنقده لمحارب بن دِثار: ١١٧
الإمام الصادق عليه السلام وشعر السيد: ١١٨
شعر السيد الحميري وغزارته: ١٢١

الفصل الثاني

السيد الحميري، ومليح أخباره

بين العبدي والسيد: ١٢٨
بعض نوادر السيد: ١٢٩
ومن نوادره: ١٣٥
ومن نوادره وأخباره: ١٣٥
ومن نوادره وأخباره: ١٣٦

الفصل الثالث

السيد الحميري، وعقيدته

خلاصة ما قيل في عقيدته: ١٤٨
ثمرة البحث: ١٤٨

الفصل الرابع

السيد الحميري، وقصيدته العينية المشهورة

القصيدة العينية ١٥٣
ما يتبع القصيدة: ١٥٧
شروح القصيدة العينيّة: ١٦١

الفصل الخامس

السيد الحميري، ووفاته

نجاته من الهلاك وما في ذلك من حُسن العاقبة: ١٦٧
وفاته: ١٦٩

الفصل السادس

السيد الحميري، وآراء العلماء فيه

ما قيل فيه: ١٧٥
مكانة السيد عند الشيعة: ١٧٩

الفصل السابع

السيد الحميري وما اُتّهم به

تعقيب على ما قالوه من التهم: ١٨٣

الفصل الثامن

السيد الحميري، في التراث العربي

السيد الحميري في التراث العربي ١٩٣
البحوث والدراسات في السيد قديماً وحديثاً: ١٩٣

الفصل التاسع

السيد الحميري وأغراضه الشعرية

أغراضه الشعرية ١٩٩
الغزل: ١٩٩
غرض الهجاء: ٢٠٢
ومن هجاء السيد: ٢٠٤
غرض الرثاء: ٢٠٨
ومن جميل شعره يرثي أخاه: ٢٠٩
غرض المدح: ٢٠٩
ديوان السيّد الحميري ٢١٥

الفصل العاشر

السيد الحميري، شاعر المناقب والفضائل

تمهيد ٢٢٣
قال في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ذاكراً جملة من مناقبه: ٢٢٤
وقال في مدح أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فتح حصون خيبر: ٢٢٦
وفي حديث خيبر قال السيد الحميري: ٢٢٨

وله في حديث الطائر المشوي الأبيات: ٢٢٩
وله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر جملة من مناقبه عليه السلام: ٢٣٢
ومن قصائده الغرّاء في مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ٢٣٥
قصيدته المذهّبة ٢٣٩
في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ٢٣٩
شرح وتعليق: ٢٤٥
وله في ولادة الامام علي عليه السلام في الكعبة وهي منقبة
اختص بها الإمام دون سواه: ٢٥٦
وقال مادحاً لأمير المؤمنين عليه السلام وذاكراً مواقفه النبيلة مع عائشة
في يوم البصرة (واقعة الجمل) ٢٥٧
شرح وتعليق: ٢٥٩
وله في مناقب أميرِ المؤمنين عليه السلام ٢٦٣
شرح وتعليق: ٢٦٤
وقال الحميري في مدح أمير المؤمنين، مذكّراً بيوم الغدير: ٢٧١

الفصل الحادي عشر

جنايات أدبية

جنايات ادبية ٢٧٧
وقفة مع محمد الخطيب: ٢٧٨
المبحث الأول: في وفاة السيد الحميري ٢٧٩
المبحث الثاني: في عقيدة السيد رحمه الله ٢٨٣
المبحث الثالث: ادعاء الخطيب ان القصيدة الميمية منحولة ٢٨٧

القسم الأول مصادر الجمهور وحديث: انّ الخلفاء اثنا عشر: ٢٨٩
القسم الثاني روايات الطائفة المحقّة: ٢٩٠
عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله: ٢٩٢
عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله: ٢٩٣
عن عبد الله بن جعفر الطيار عن الرسول صلى الله عليه وآله: ٢٩٣
عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله: ٢٩٤
عن أمير المؤمنين؛ علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٩٤
عن عبد الله بن مسعود: ٢٩٥
عن فاطمة عليها السلام واللوح المبارك: ٢٩٦
الاسماء التي في اللوح عند فاطمة عليها السلام: ٢٩٦
عن الإمام الحسين بن علي الشهيد عليه السلام: ٢٩٧
عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ٢٩٨
عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: ٢٩٨
عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ٣٠٠
عن الإمام الجواد عليه السلام: ٣٠٤
الأعمش؛ هو سليمان بن مهران الاسدي ٦٠ـ١٤٨ هـ: ٣٠٥
المبحث الرابع: توبة السيد وانقطاعه عن الشراب ٣٠٩
خلاصة الأدلة المتقدمة: ٣١٢
المناوئون للسيد ٣١٤
عبد الله بن إباض: ٣١٦
ابو سليمان العباسي؛ (محمد) أو (جعفر): ٣١٧
أبو الخلال العتكي: ٣١٨

الاصمعي..... ٣١٩
المبحث الخامس: السيّد والجنبة القصصيّة في شعره ٣٢١
المحتويات..... ٣٣٣

أمير المؤمنين (ع)

في

شعر السيد الحميري

دار القارئ
للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان
بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com